جامعة القاهرة
كلية دار العلوم

عبد القادر البغدادى
وجهوده فى دراسة النحو واللغة

رسالة ماجستير

اعداد

صلاح محمد مصطفى رواى

المدرس بادارة شرق القاهرة التعليمية

باشراف

الأستاذ الدكتور عبد الحميد السيد طلب

أستاذ ورئيس قسم الدراسات النحوية والصرفية والعروضية

بكلية دار العلوم (سابقا)

١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦م

الإهـــــداء

إلى أستاذى الجليل الدكتور عبد الحميد السيد طلـــــــب

الذى لولا موازرته وتوجيهه وتشجيعه لما قُدِّر لهذا البحث أن يرى النور .

إلى أمّى (...) التى عودتنى الصدق مع نفسى قبل الآخرين ،

وعلمتنى كيف أستمد من الصّعاب عزما ومن الإخفاق جِدّا وحزما .

إلى زوجتى (...) وأولادى (عصام وطارق وحنان) الذيـــن

أخذنى هذا البحث منهم وقتاً كنت فيه بعيداً عنهم على قربى منهم .

إلى هؤلاء أقدّم بحثى هذا المتواضع عَلّه يكون لى شافعاً لديهـم

على ما قصّرت فيه من حقوق لهم علىّ .

شكـــر ووفـــــاء

لا أجدنى بحاجـــة ، وأنا أختم بحثى هذا المتواضع عـــــن عبد القادر البغدادى وجهوده فى دراسة النحو واللغة ، بقدر ما أنا فـى احتياج إلى تسجيل عظيم شكرى وجميل ثنائى لمن كانت له اليد الطولـــى فى سبيل إنجاز هذه الرسالة وإخراجها على وجه أرجو أن يُرضى الله جـل شأنه وعز ثناؤه ، وأن يَرْضَى عنه كل من توافرت لديه ملكة البحث أو الـدرس فى مجال العربية القرآء وعلومها ، ألا وهو أستاذى الدكتور عبد الحميـد السيد طلب أستاذ ورئيس قسم الدراسات النحوية بكلية دار العلوم سابقـا حيث أولانى من الموازرة الصادقة والدفع المستمر ما جعلنى أسير فى بحثـى هذا بخطى ثابتة على هَدْيٍ من توجيهه وإرشاده ، فإليه شكر الأخ ووفـاء الصديق ، واعتراف المدين .

ولا يفوتنى فى كلمتى هذه الموجزة إلا أن أسجل اعترافى بفضـل أستاذىَّ الجليلين عبد السلام محمد هارون أستاذ ورئيس قسم الدراسـات النحوية بكلية دار العلوم سابقا ، والدكتور ابرهيم نجا وكيل جامعة الأزهر لما تفضلا به من قبول التصدى لمناقشة رسالتى هذه التى تعتبر أولـــى الخطوات على طريق البحث الأكاديمى .

وإنى إذ أتقدم بجزيل شكرى وعظيم ثنائى إلى أساتذتى رئيـــس وأعضاء لجنة المناقشة الأجلاء لأعاهدهم عهد المؤمنين الصادقين علـــى أن أكـــون وفيًّا بما عاهدتهم عليه ، عملا بقول الحق تبارك وتعالى : " وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا " صدق الله العظيم .

صلاح رواى

ـ ١ ـ

اعتمـــاد لجنة المتحنـين

فهـــرس الموضوعـــات

	الصفحـــة
اعتماد لجنة المتحنيـــن	أ
المحتـــوى	ب
المقدمـــة	ج
البـــاب الأول	
الفصل الأول :	
أ) بيئة البغدادى الادبية والاجتماعية (عصره)	(١ ــ ١٩)
ــ الحالة السياســـيـــــة	٣
ــ الحالة الاقتصادية والاجتماعيـــة	٧
ــ الحالة العلمية والفكريـــــة	١٢
ــ الحالة الدينيـــــة	١٨
ب) نشأة البغدادى وحياتـــــه	(٢٠ ــ ٣١)
ــ مكانة البغدادى العلمية	٢٤
ــ صلة البغدادى بالشعر	٢٥
ــ تقدير البغدادى لشيوخه	٢٨
ــ دقة البغدادى فى عرض الحقائق	٣٠
ــ وفاة البغـــــدادى	٢٥
ــ بقايا خط البغدادى	٢٦
ج) أساتذة البغدادى وتلاميـــــذه	(٣٢ ــ ٤٥)
ــ محمد بن سالم الدين الحسينى	٣٢
ــ محمد بن يحيى الفرضـــى	٣٣
ــ شهاب الدين الخفاجى	٣٤
ــ يـــــس الحمصـــى	٣٧
ــ نور الدين الشراملـــى	٣٧

— ج —	الصفحة
— برهان الدين الميمونى	٣٨
— سرى الدين الدورى	٣٩
تلامذة البغدادى :	
— المحبى	٤٢
— أحمد تيمور باشا	٤٣
— عبد السلام هارون	٤٤
— محمد محى الدين عبد الحميد	٤٥
الفصل الثانى :	
أ) مؤلفات البغدادى	(٤٧ ـ ٤٩)
ب) تعريف بمؤلفات البغدادى	(٥٠ ـ ٦٥
— خزانة الادب	٥٠
— شرح شواهد الشافية	٥٦
— شرح شواهد المغنى	٥٨
— شرح شواهد شرح التحفة الوردية	٥٩
— تعريب تحفة الشاهدى	٦٠
— حاشية على شرح قصيدة " بانت سعاد "	٦١
— لغت شاهنامة	٦٣
— شرح مقصورة ابن دريد	٦٤
— رسالة فى معنى التلميذ	٦٤
— مختصر تا المتون الى شرح رسالة لبن زيدون	٦٥
— كتاب فى الرجم بدون عنوان	٦٥

الصفحـــــة

البـــاب الثانـــى

الفصل الاول :

(خزانة الادب) (٦٨ ـ ٨٣)
ـ تعريف بالكتاب ٦٨
ـ تاريخ تأليف الخزانة ٧٠
ـ مخطوطات الخزانة ٧١
ـ مخطوطة الشنقيطى ٧٢
ـ طبعات الخزانة وتحقيقاتها : ٧٧
ـ الطبعة الاولى ٧٨
ـ الطبعة الثانية ٨٠
ـ الطبعة الثالثة ٨٢
ـ الطبعة الرابعة ٨٣

الفصل الثانـــى :

أ) (دراسة مؤلفات البغدادى وطريقة تأليفه) (٨٥ ـ ١٣٩)
ـ خزانة الادب ٨٥
ـ شرح شواهد المغنى ١٠٦
ـ شرح شواهد شرح التحفة الوردية ١١٢
ـ شرح التحفة الشاهدية ١١٧
ـ حاشية البغدادى على شرح قصيدة " بانت سعاد " ١٢٢
ـ لقط شاهدية ١٢٤

	الصفحـــة
ـ شرح مقصورة ابن دريد	١٣٣
ـ رسالة فى معنى كلمة تلميذ	١٣٥
ـ مختصر تمام المتون الى شرح رسالة ابن زيدون	١٣٨
ـ كتاب فى التراجم بدون عنوان	١٣٩
ب) (شواهد الخزانـــــة)	(١٤٠ ـ ١٥٤)
ـ الشواهد النثرية	١٤٠
ـ الشواهد الشعرية	١٤٦
ـ تعقيـــــب	١٥١
جـ)(شواهد كتاب سيبويه)	(١٥٥ ـ ١٦٣)
ـ الشواهد النثريـــة	١٥٦
ـ الشواهد الشعرية	١٥٧
د)(صلة شواهد الخزانة بشواهد سيبويه فى كتابه)	(١٦٤ ـ ١٧٣)
ـ الشواهد النثرية	١٦٥
١ ـ القرآن الكريم	١٦٥
٢ ـ الحديث الشريف	١٦٧
٣ ـ كلام العرب وأمثالهم	١٦٨
ـ الشواهد الشعرية	١٦٩

الباب الثالـــث

الفصل الاول :

أ) مذهب البغدادى النحوى	١٧٦
ب) منهج البغدادى النحوى	١٨٣
جـ) منهج البغدادى اللغوى	١٩٢

	الصفحـــة
الفصل الثانى :	
(جهود البغداديين فى دراسة النحو واللغة)	(٢٠٣ ـ ٢٣٦)
أ) التأليف والتصنيف :	
— فى مجال شرح الشواهـد	٢٠٣
— فى مجال الشروح العامة	٢٠٦
— فى مجال الحواشـــى	٢٠٨
— فى مجال التمريب	٢٠٨
— فى مجال الخلق والابداع	٢٠٩
— فى مجال التراجم	٢١٠
ب) علوم العربية وتعليمها :	
— فى مجال الصرف	٢٣٠
— فى مجال فقه اللغة	٢١٥
— فى مجال لهجات العرب	٢١٦
— فى مجال الادب	٢١٦
— فى مجال البلاغة العربية	٢٢٠
— فى مجال العروض	٢٢١
— فى مجال النقـــد	٢٢٢
— فى مجال الامثال العربية	٢٢٣
— فى مجال السيرة النبوية	٢٢٥
— فى مجال التاريخ	٢٢٦
— فى مجال الاخبار	٢٢٧
— فى مجال القراءات وتخريجها	٢٢٩

	الصفحة
— في مجال المصارف العامة	٢٣١
الخاتمة	٢٣٧
القهارس	(٢٥١ ـ ٢٧٢)
فهرس الشواهد	٢٥١
فهرس الآيات القرآنية	٢٥٩
فهرس الأحاديث النبوية	٢٦١
فهرس الاعلام	٢٦٢
فهرس الأماكن والبلدان	٢٧٠
مصادر البحث ومراجعه	٢٧٣
موجز البحث (باللغة العربية)	٢٨١
موجز البحث (باللغة الانجليزية)	

(بسم الله الرحمن الرحيم)

" مقدمـــــة "

الحمد لله رب العالمين ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلـم ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد العرب والعجم ، ومنقذ البريـــة من عموم البلاء ونزول النقم ،

وبعد .. فقد خَرَجْتُ من بعض قراءاتى فى مجال العربية وفنونهـــا ، وبعض اطلاعاتى فى مجال فن النحو على وجه أخص ، بانطباع أثار دهشـــتى ، واستثار شفقتى وغيرتى ، إذ وقفت على عَلَم مُبَرِّز ، وعالِم محقق مدقق ، لا يقـــل عن أشهر النحاة تمكنا ورسوخ قدم فى مجال لغتنا العربية ـ تأليفا وشرحـــا وتحقيقا ـ قد غُمِط حقَّه ، وأُهْمِل ذكره ، فلم يحْظ من جانب من أثْرَوا بمدده مـــن المؤلفين والمصنفين بكتابة السير والتراجم ولو بقسط ضئيل من اهتمامهم وعنايتهـم حتى خرَجَت كل مؤلفاتهم ومصنفاتهم خُلَوا من ذكره ، أو الإشارة اليه ، إذا استثنينا من ذلك ما أثبته المحبى فى كتابة " خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشـــر وما تلاه من ترجمات مقتضبة ومبتورة ، هذا على الرغم مما قدمه البغدادى للغـــة العربية من أيادٍ بيضاء ، وما أضافه الى صرح النحو العربى من لبنات قيمـــة ، وما ساهم به فى إثراء المكتبة العربية من المؤلفات الجيدة والمصنفات النافعـــة ، فى زمن اقتصر التأليف فيه على مجرد الشروح والتعليقات وكتابة الحواشى علـــى مؤلفات السابقين ممن كانوا لا يزالون على صلة بما تقدم عصرهم من عصور التقـــدم العلمى والازدهار الفكرى ، ألا وهو عهد القادر بن عمر البغدادى ، مؤلـــف كتاب " خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب " .

وإزاء هذا الانطباع الذى خَرَجْت به من قراءاتى واطلاعاتى ، آليـــت على نفسى أن أعمل جاهدا على إخراج دراسة مستوعبة وبحث مستفيض ، أرد فيـــه للبغدادى حقه المسلوب ، وأوفيه قدره على شىء من الإنصاف والعدل ، ولا سيما

وأنني كنت بصدد إعداد رسالة أتقدم بها لكلية دار العلوم لنيل درجة الماجستير في النحو ، فوجدت الفرصة سانحة ، والمقادير تُلقي بزمامها بين يدي ، إذ الحافز موجود ، والموضوع يلحّ عليّ لتناوله ، فاستخرت الله العلي القدير في أن أجعل من عبد القادر البغدادي موضوعا لرسالتي ، ومن جهوده في دراسة النحو واللغة محورا يدور حوله بحثي ودراستي .

وما أن أخذت الأهبة ، وشحذت الهمّة ، لإعداد هذه الدراسة ، حتى تفتحت لي مغاليق الأبواب ، وأُلقيَت بين يدي مفاتيح الأسباب ، وكأن عالمنا البغدادي كان كنزاً مرصودا ، قصُرت همم المؤلفين والباحثين دون الوصول الى حَلّ (طلاسمه) ، وفك (تعاويذه) ، حتى جاء دوري ، وفجأة عن طريق الصدفة حلّلت الطلاسم ، وفككت التعاويذ ، فانفتح أمامي الكنز لأستحوذ من نفسي حارسا عليه ، مشيدا بذكره ، واضعا إياه في دائرة الضوء ليحتل مكانه بين علماء العربية الذين توسموا على عرش الشهرة والمجد .

وفي سبيل إخراج هذه الدراسة على الوجه الذي رسمته لها منذ الشروع فيها ، آليت على نفسي ألاّ أدخر وسعا في جمع ما تفرق من خبر نشأة البغدادي وحياته ، وأبذل قصارى جهدي لإماطة اللثام عما قدمه في سبيل خدمة اللغة العربية عموما ، والارتقاء بفن النحو على وجه أخص من جهود صادقة ، وما تنكبه في هذا الصدد من مشاق تشهد بها مؤلفاته ومصنفاته ، التي تعتبر معينا لا ينضب ، وغديرا لا حَدَّ لتدفقه ، لا يفتأ الدارسون ينهلون منه ، والباحثون يغترفون من نبعه العذب إلى يومنا هذا ، وحسبنا شاهد على ما لاقاه البغدادي من العناء والنصب في تحرير مؤلفاته وتحبير مصنفاته ، أنه إبّان شرحه لشواهد مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري أصيب برمد في عينيه كاد يذهب ببصرهما دون أن يثنيه ذلك عن مواصلة ما بدأه حتى بلغ منتهاه ، وفي هذا يقول في الخاتمة الخاتمة لشرحه لشواهد المغني : " ... وقد من الله علينا في أن وفقنا لشرح أبياته من الأول إلى الآخِر ، بعد أن كاد يذهب البصر بهما شديد ، فإني

لما وصلت الى الإنشاء [illegible] والأربعين بعد الستمائه حدث لى شقيقة وعدت بها عينى اليمنى ، وانطبقت عصبها اليسرى ، وذلك فى اليوم الرابع من ذى الحجة ختام سنة سبع وثمانين وألف ، فرمدت عينى بنزلة حادة مدة ثلاثين يوما ، فقصرت النازلة ، فانفتحت عيناى بعض الانفتاح وهى تحب التغميض ، فما زالت موجعة ونورها ينقص الى أن كدت لا أبصر شيئا ، حتى أنعم الله على بإبصارها ، فرجعت فى تكميل شرح الأبيات فى غرة ربيع الأول من شهور سنة إحدى وتسعين بعد الألف ، ولله الحمد على هاتين النعمتين ".

ولذا فقد اتخذت من عزيمة البغدادى وتصميمه مثالا احتذيته إبّان سيرى فى إعداد رسالتى هذه ، فأخذت نفسى بالاطلاع على كل شارد من مؤلفات القدامى والمحدثين والتنقيب عن مخطوطات السابقين من أولى الرأى وأرباب الثقة التى تعرّضت — ولو بالنذر اليسير — لطرف من نشأة البغدادى وحياته أو عنيت بما قدمه للمكتبة العربية من مؤلفات ومصنفات ، حتى بلغ ما اطلعت عليه واستعنت به فى اتمام دراستى هذه نحو عشرين ومائة مصدر بين مطبوع ومخطوط • استغرق البحث عنها والاطلاع عليها قرابة أربع سنوات كانت ، كرستها جميعا لإنهاء دراستى هذه على نحو مَرْضِىٍّ ومقبول •

وقد جعلت رسالتى هذه فى ثلاثة أبواب وقسمت كل باب منها إلى فصلين تشمل فى مجموعها بيان لما كانت عليه بلاد المشرق العربى من تأخر وتدهور فى عصر البغدادى وهو عصر الدولة العثمانية التى خلفت المماليك فى حكم البلاد العربية وما صاحب ذلك من هجرة العلماء قارين بعلمهم وفكرهم مثلما فعل البغدادى وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ، كما تناولت الرسالة ترجمة وافية لحياة البغدادى وصاحبته فى رحلة وترحاله حتى وافته المنية بمصر فى أحد الربيعين من سنة ثلاث وتسعين وألف من الهجرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم • وتعرضت الرسالة كذلك لمؤلفات البغدادى فتضمنت نبذة موجزة وافية عن كل مؤلف تبين التعريف به وطريقة تأليفه• كما أوضحت مدى العلاقة الوطيدة والصلة الأكيدة بين شواهد الخزانة وشواهد

كتاب سيبويه ، كما عُنِيَت هذه الدراسة بمحاولة إبراز مذهب البغدادى النحوي وإلى أى من مدرستى البصرة والكوفه كان انتماؤه ، كما أوضحت منهج البغدادى النحوى ، وكذا منهجه اللغوى الماثلين فى مؤلفاته وعلى رأسها كتابه خزانة الأدب ومن أهم ما عُنِيَت به هذه الدراسة المتواضعة هو الكشف عما بذله البغدادى من جهود صادقه ومشهوره فى سبيل الحفاظ على اللغة العربية قوية متماسكة ، وما ساهم به لاثراء المكتبة العربية بما قدمه لها من مؤلفات قيمة ومصنفات نافعة لازالت موضع دراسة الدارسين ومحل بحث الباحثين حتى الآن .

وهأنذا أقدم دراستى هذه عن عالمنا عبد القادر البغدادى إلى كل من يهمه البحث فى اللغة العربية وعلومها مراجيا من حضراتهم إن رأونى أصبت فحسبى أننى أعدت الحق إلى نصابه . وانصفت عالما مبرزا من مغمة الجفاء والنسيان ووضعته فى دائرة الضوء والعرفان ، وإن وجدونى قد قصرت أو أخطأت فليقومونى بهدايتى الى جادة الصواب مشكورين مجزولين .

والله الموفق الى سواء السبيل ، والهادى الى الصراط المستقيم ،

صلاح محمد مصطفى رضا

١٣٩٦ هـ
١٩٧٦ م

" البـــــاب الأول "

الفصـــل الأول :

أ ــ بيئة البغدادى الأدبية والاجتماعيــة

ب ــ نشأة البغدادى وحياتـــه .

جـ ــ شيوخ البغدادى وتلاميـــذه

الفصل الثانـــى :

أ ــ مؤلفـــات البغـــدادى

ب ــ تعريف بمؤلفات البغدادى .

" الفصـــــل الأول "

أ ـ بيئة البغدادى الأدبية والاجتماعية (عصره)

ب ـ نشأة البغدادى وحياته

جـ ـ شيوخ البغدادى وتلاميذه

(أ) بيئة البغدادى الادبية والاجتماعية

(عصره)

على الرغم من أن ما يهمنا ، ونحتاج إليه ونحن بصدد التعرف على بيئة عبد القادر البغدادى ، وما يتصل اتصالا مباشرا ببحثنا هذا هو الحالة العلمية الاجتماعية التى كان عليها ذلك العصر الذى نشأ البغدادى بين أحضانه ، إلا أننا نرى أنه لزاما علينا أن نعرض لكل جوانب تلك الحقبة التى تؤثر بشكل ملحوظ فى بلورة هذه البيئة بشقيها الأدبى والاجتماعى ، لأن البيئة التى يشب فيها الإنسان حاملا لسماتها ، وارجا على سلوكها ، مراعيا لكل ما تعارف عليه أهلها من عادات وتقاليد وقيم ، إن هى إلا نتاج مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والدينية ... الخ . ومن ثم نجدنا بحاجة إلى سرد كل من هذه العوامل ولو سردا موجزا نستبين منه مدى تأثيرها فى النهج الذى تنكبه عالمنا البغدادى لشق طريق حياته من حل وترحال وتحصيل للعلوم والمعارف حتى أصبح علما من أعلام العربية يشار إليه بالبنان .

أولا : الحالة السياسية :

خضع العراق لسلطان الدولة الصفوية الإيرانية عام ثمان وخمسمائة وألف ميلادية (١٥٠٨) [١] عندما حاول الشاه اسماعيل الصفوى نشر المذهب الشيعى فى العراق ، ولكن بالرغم من أن العراقيين كانوا يتشيعون المذهب الشيعى ، إلا أنهم استنجدوا بالسلطان سليم الأول فى آسيا الصغرى لكى يخلصهم مما أنزله بهم الصفويون من بطش وقهر ، وما أتبعوه فى سياستهم من من غلظة وشدة .

---

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ص ٧٧٤ ط دار الشعب .

ولما كانت الدولة العثمانية آنذاك تتجه فى فتوحاتها صـــوب أوربا والبلقان ، ولم تكن لتهتم بالشرق العربى ، لم يبادر السلطـــان سليم إلى نجدة العراقيين ، وإنما أرجأ ذلك إلى أن يتم ما اعتزمه مـــن فتوحات فى بلاد الفرنجه ، وهذا مما شجع الشاه اسماعيل الصفوى علـــى أن ينتهز فرصة الشقاق حول تولى السلطة بين أبناء البيت العثمانـــى ، محاولا نشر المذهب الشيعى فى الأناضول ذاتها ، إلا أن السلطان سليـــم الأول تمكن من القضاء على أبناء البيت العثمانى المناوئين لحكمه ، كمـــا قضى على الشيعة فى الأناضول قضاء تاما (١) . وهنا قام الشاه اسماعيـــل الصفوى مدافعا عن الشيعة ، بل وآوى إلى بلاده العثمانيين الفارين مـــن بطش سليم الاول ، كما أخذ فى تشجيع البلدان المجاورة للخروج علـــى السلطة العثمانية .

وهنا احتدم الصراع بين الدولة الصفوية الشيعية فى إيـــران وبين الدولة العثمانية السنية فى آسيا الصغرى ، وأصبح العداء بينهمـــا سافرا ، حيث أعد سليم الأول جيشا وسيره إلى العراق وإيران للقضـــاء على الصفويين ، فانتصر عليهم واستولى على ديار بكر وكردستان ، ولكنه اضطـــر إلى العودة لبلاده آسيا الصغرى دون إتمام الفتح ، وذلك بسبب الفتنه الـــتى قامت ضده من جنود الانكشارية بإيماز من بعض إخوته .

---

(١) وذلك لأن الدولة العثمانية كانت تتبع المذهب السنى .

وفى عهد السلطان سليمان القانونى الذى خلف سليم الأول فى رئاسة الدولة العثمانية ، هاجم الشاه اسماعيل الصفوى العراق متحديا النفوذ العثمانى فى الشمال ، واستولى على بغداد ، وأخذ فى نشر المذهب الشيعى من جديد ، فأعد سليمان القانونى حملة قوية استطاعت ـ رغم متاعب الشتاء ـ القضاء على الصفويين فى العراق وطردهم من أراضيه ، وأخذ القانونى فى معاملة العراقيين بالحسنى والتودد إلى الشيعة والسماح لهم بإعلان المذهب الشيعى صراحة ودون خوف ، مما ألف قلوب العراقيين والعثمانيين على ما بين مذهبيهما من اختلاف ، وبذا دخل العراق فى حوزة الحكم العثمانى عام ألف وخمسمائه وأربع وثلاثين . (١)

ولم تكن مصر والشام بمنأى عن أطماع الدولة العثمانية الفتية الراغبة فى التوسع على حساب الدوله المملوكية الضعيفة التى شاخت واستهلكت بفعل الزمن بعد أن دفعها الخوف من احتلال الصفويين لهما إلى التعجيل بفتحهما حيث كان سليم الاول يرى أن الصفويين لو سبقوه إلى احتلال مصر والشام ، ونشروا المذهب الشيعى فيهما ، سوف يحقق لهم ذلك ضربة قاضية ضد الدولة العثمانية ، ولذلك فإن سليم الاول لم يُضِع الوقت سدًى ، بل أخذ يتصيد الأسباب لاحتلال مصر والشام ، فأثار مشكلة إمارة " ذى القَدْرِيَّة " حيث كان قد طلب منها المملوكى مساعدته فى حملته على إيران ، ولكن الأمير امتنع عن مساعدته ، كما أن قنصوة الغورى كان قد فتح بلاده ، لإخوة سليم الأول الفارين والخارجين عليه بسبب الخلاف على السلطة فى الأناضول . فما كان من سليم الاول إلا أن رأى فى ذلك سببا مقبولا لفتح الشام ، فقاد حملة وتوجه بها إلى الشام ، واصطدم بقنصوة الغورى فى موقعة " مرج دابق "

---

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ص ١٠٢٨ ط دار الشعب .

سنة ألف وخمسمائة وست عشرة (١) حيث قتل فيها قنصوة الغورى وهزم المماليك شر هزيمة ، ومنذ ذلك الحين دخل الشام فى حوزة الحكم العثمانى .

بعد استيلاء العثمانيين على الشام ، يمموا شطر مصر حيث حمل لواء المقاومة فيها " طومانباى " ابن أخى الغورى وخليفته ، حيث جند المصريين ، وكون منهم مقاومة شعبية بعد أن خذله المماليك ، ونجح مؤقتا فى مفاجأة معسكر العثمانيين ، وتشتيت شملهم ، ولكن سرعان ما لملم العثمانيون زمام الموقف وألحقوا برجال طومانباى هزيمة ساحقة بفضل أسلحتهم الحديثة الغربية على المماليك ، وذلك فى موقعة " الريدانية " سنة ألف وخمسمائة وسبع عشرة (٢) ، حيث فر طومانباى الى الصعيد ، ولكن ما لبث أن قبض عليه وأعدم ، وبذلك أصبحت مصر ولاية عثمانية .

وبذلك استطاعت الدولة العثمانية أن تفرض سلطانها على كل دول الشرق العربى تقريبا ، وأن تقضى على دولة المماليك الذين كانوا قد بعثوا الخلافة العباسية من جديد ممثلة فى الخليفة المتوكل على الله العباسى الذى استقدمه الظاهر بيبرس وجعل مقامه بالقاهرة حتى يجعل منها مركزا للخلافة الاسلامية ويستمد من ذلك قوة تعوضه عما منيت به دولة المماليك من ضعف وشيخوخة . ولكن ما كاد سليم الأول يفتح مصر حتى انتقلت الخلافة الى الآستانة بتنازل آخر الخلفاء العباسيين عنها ، ويقال أنه اضطر الى الانتقال الى الاستانة حيث أخذه سليم الاول معه بعد فتح مصر اكتسابا للولاء الدينى لدى شعوب البلاد العربية المفتوحة (٣) .

---

(١) تاريخ الشرق العربى والخلافة العثمانية ص ٧

(٢) المرجع السابق ، عجائب الاثار فى التراجم والاخبار للجبرتى ١ : ٦٥

(٣) المرجعان السابقان .

ثانيا : الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

لم تكن بلاد المشرق العربى تحت الحكم العثمانى أسعد حالا منها تحت الحكم المملوكى ، فكلاهما غريب عنها لا يهتم بتقدمها ولا يعمل لرقيها ، ولا يفكر فى تحسين أحوالها اقتصاديا واجتماعيا أو غير ذلك .

فالمماليك كفرباء على الشرق العربى ، إنما جاءوا إليه لنهب ثرواته ، وسلب خيراته ، وكلهم آمال عريضة فى الإثراء على حساب هذه البلاد الغنية التى يأتيها رزقها رَغَدًا ويُسْرًا ، ولذا أعملوا أيديهم فى فرض الضرائب المتزايدة والمكوس الباهظة التى أثقلت كاهل الشعب ، والتى بلغت من كثرتها أن أصبحت العقبة الوحيدة أمام المماليك أن يجدوا أسماء يطلقونها على الضرائب الجديدة ، هذا إلى أعمال السلب للمنازل الآمنة والنهب للمحال التجارية وغيرها ، وفى تصوير تلك الحالة التى كانت عليها بلد كمصر من بلدان الشرق العربى التى رزحت تحت نير الحكم المملوكى يقول ابن إياس : " ومن الوقائع الغريبة أن شخصا من المماليك طُعِن ، فلما أشرف على الموت أحضر شهودا وأخرج بين أيديهم جملة قماشها بين بقج ومقاعد ومخدات وغير ذلك ، ومبلغا نحوا من ثلاثة آلاف دينار ، وأخبر أنه نهب ذلك من مكان سماه ، ثم قال لغلامه : إمض وائتنى بأصحاب تلك القماش ، فسلمهم ذلك المملوك وسلمهم تلك المال والقماش " (١)

هذا علاوة على أعمال السطو على التجارة المارة بالبلاد فى طريقها من الهند الى أوربا مما جعل الغرب يفكر فى طرق أخرى لتجارته أكثر أمنا وأقل تكلفة مما يفرضه عليها المماليك من ضرائب وإتاوات حتى اهتدى إلى طريق رأس الرجاء الصالح وحول إليه تجارته ، مما حرم المماليك من كل

---

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ٣ : ٣٨٠ ، ٣٨١

ما كانوا يحصلون عليه سواء عن طريق الضرائب والإتاوات أو السطو والاغتصاب ، وهذا ما كان له أسوأ الأثر على الحياة الاقتصادية فى بلدان المشرق العربى الخاضعة لسلطان المماليك ، وإزاء ذلك كان لابد للمماليك أن يتجهوا إلى سبل أخرى لتعويض ما حرموا منه من أموال بتحويل التجارة إلى رأس الرجاء الصالح ، فلم يكن أمامهم سوى المغالاة فى فرض الضرائب على الشعب بجميع قطاعاته ، حتى أصبحت الغالبية العظمى من أفراد الشعب لا تستطيع الوفاء بالتزاماتها من هذه الضرائب ، مما جعل المماليك يفتشون فى جبايتها بطريقة أو بأخرى كأن تؤخذ من ماشية الفلاح أو محصوله ، أو من آلة الصانع أو تجارة التاجر ، حتى أصبحت الحالة الاقتصادية فى البلاد فى الدَّرْك الأسفل من الانحطاط والتدهور .

ولا يخفى علينا ما لهذه الحالة الاقتصادية المتدهورة من آثار سيئة على الحالة الاجتماعية حيث أصبح الفلاح لا يأمن على أرضه وماشيته ، والصانع لا يأمن على آلته ومصنعه ، والتاجر لا تسلم له تجارته ، والموظف غير مستقر فى وظيفته ، فأصبحت البلاد بحالة من عدم الاستقرار ، مهددة بشلل اقتصادى واجتماعى حاد . وفى ذلك يقول ابن إياس مصوِّرا حالة القهر والظلم والاستعباد التى كان يعانيها الشعب ، بل والاستهانة بالقيم والأخلاقيات التى كانت مهددة على أيدى المماليك : " تزايد شر المماليك وجاروا على الناس بخطف القماش من الدكاكين والبضائع من الأسواق ، وصاروا يستخفون بالسلطان والأمراء حتى قيل أن بعض المماليك كان راكبا على فرس حرون ، فصادف جنازة فى وجهه ، فنفر منها فرس ذلك المملوك ، فسقط على الأرض ، فخرج خلفه وهناش على الحمالين الذين حاملين الميت ، فلما عاينوا ذلك هربوا وألقوا الميت على الأرض ، فلما هربوا أخذ الدبوس وقع فى

الميت فضربه به حتى اشتفى ، فصار الميت ملقى على الأرض لم يدفن إلى آخر النهار" . (١)

ثم جاءت الدولة العثمانية لتخلف الدولة المملوكية فى كل شىء حتى فى تدهورها الاقتصادى والاجتماعى ، بل وشتى نواحى الحياة ، ولا غَرْوَ فالعثمانيون كذلك غرباء عن المشرق العربى لا يهتمون إلا بالإثراء على حساب هذه البلاد التى تملك من أسباب الثراء والغنى الجم الغفير ، ولكنها لا تتم به حيث يذهب إلى جيوب السادة الحكام طيبا مستساغا ، ونظرة متأنية فاحصة إلى نظام الحكم العثمانى فى بلاد الشرق العربى يتضح معها أسلوب أولئك العثمانيين فى العمل على إثراء أنفسهم ضاربين بمصلحة شعوب تلك البلاد عرض الحائط ، من الوالى وقصر مدة حكمه التى كان يوقفها على جمع الضرائب والأموال له ولسيده العثمانى ، حتى يعود الى بلاده بعد انقضاء مدة حكمه غنيا ثريا ثراء يأمن معه أن يعيش بقية حياته عيشة سعيدة وغيدة ، إلى نظام الالتزام الذى كان الملتزم يكرس جهده لأن يجمع من الشعب أضعاف ما دفعه للوالى حتى يحقق لنفسه ربحا وفيرا وغنى سريعا على حساب مواطنيه وعلى جلدته ، إلى الحامية العثمانية التى كانت تأتى مع الوالى لتشد من أزره وتحميه من بطش أهالى البلاد الأصليين على ألا تكون من أبناء البلد المرسلة إليهما حتى لا تأخذها بهم شفقة ولا رحمة ، فأطلقت تلك الحامية يدها فى السلب والنهب والسطو على مقدرات الناس وأرزاقهم .

وقد أُهْمِلت تبعا لذلك كل شئون الزراعة كمشروعات الرى والصرف وتوزيع المياه وإقامة القناطر والجسور والمحافظة على الممتلكات الشخصية ، فكان ذلك سببا فى جفاف الترع وإتلاف الأراضى وتأخر الزراعة بصفة عامة .

---

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ٣ : ٣٧٩

ولم تكن الصناعة بمنأى عن هذا العبث أو بمعزل عن هذه الفوضى ، فقد تسببت كثرة الفتن واضطراب الأحوال وفقد الأمن وعبث الجنود العثمانيين بالقيم والحريات إلى اضمحلال الصناعة وتدهور الفنون التى كانت تزدان بها البلاد من قبل ، وأدهى من ذلك وأمر مما نتج عنه تأخر الصناعة وتدهور الفنون ما أقدم عليه سليم الأول من نقل لمهرة الصناع وصفوتهم وعذاقهم إلى الآستانة وحرمان بلادهم الأصلية منهم ومن علمهم وفنهم ، وفى هذا الصدد يقول الجبرتى مصوّرا عودة سليم الأول إلى بلاده :

" ... ثم رجع إلى بلاده ، وأخذ معه الخليفة المعاسى ، وانقطعت الخلافة والمبايعة ، وأخذ صفيته ما انتقاه من أرباب الصنائع التى لم توجد فى بلاده ، بحيث أنه فقد من مصر نيف وخمسون صنعه " . (١) ثم يأتى بعده عبد الرحمن الرافعى فيصف هذه المهزلة بقوله : " ... أن السلطان سليم بعد أن استقر له الأمر فى القاهرة جمع رؤساء الصناعات التخصصية فى الفن والصناعة ، ونقلهم إلى الآستانة ، لينشروا فيها صناعاتهم وفنونهم ، فكان ذلك سببا فى نضوب معين الصناعة والفن فى البلاد ، وتلاشت صناعات كثيرة " . (٢)

وكان من الطبيعى أن تنعكس هذه الحالة الاقتصادية المتدهورة على الحالة الاجتماعية فى البلاد انعكاسا غاية فى السوء ، فقد كان الشعب مقسما إلى طبقات ثلاث :

---

(١) عجائب الاثار فى التراجم والاخبار ١ : ٦٥ ط لجنة البيان العربى

(٢) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ١ : ٤٣

العلماء : وهم أرباب العلم ورجال الشرع ، وكان لهم فى ذلك العهد تأثير عظيم فى نفوس الأمة ، وقيادة أفكارها ، ومحل استرضاء الحكام ومما لأتهم .

الملاك والتجار : وكانوا أغنى طبقات الشعب وأحسنهم حالا ، ذلك أن الزراع كانوا أكثر الناس استهدافا لظالم الحكام وفداحة القوانين .

المزارعون والصناع : ومنهم يتكون الشطر الأكبر من الأمة ، وكانوا فى حالة يرثى لها من الجهل والفاقة نظرا للتدهور الذى مُنِيَت به المشروعات الصناعية على يد السلطان سليم الاول كما تقدم ، والتقهقر الذى أصاب الزراعة ومشروعاتها بسبب حرمان البلاد من منشآت الرى والصرف التى نوهنا عنها آنفا . (١) حتى أصبح الناس عاجزين عن الوفاء بالتزاماتهم تجاه السلطة فى البلاد ، إذ أن الفلاحين كانوا يتركون أرضهم التى هى مصدر رزقهم الوحيد ويعملون أجراء عند آخرين من أصحاب الإقطاعيات ، أو ينزحون من بلادهم مهاجرين إلى بلد آخر قد ينعمون فيه بالهدوء والاستقرار ، هربا مما تفرضه عليهم الدولة من ضرائب يعجزون عن دفعها فتستولى على محصولهم وماشيتهم ويذهب مشردين طول العام أدراج الرياح هباء منثورا .

وفى تصوير هذه الحالة التى كانت تعيشها البلاد من الفوضى والسلب والنهب ينقل لنا الرافعى ما قاله ابن إياس فى كتابه " تاريخ مصر "

---

(١) عن تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ١ : ٤٩ـ٥٢ البيان العربى .

الجزء الثالث حيث يقول : " إن السلطان سليم خرج من مصر ومعه ألف جمل محملة من الذهب والفضة فضلا عن التحف والسلاح وأعدة الرخام والصيني والنحاس ، وأخذ من مصر من كل شئ أحسنه ، وذلك عدا ما غنمه وزراؤه من الأموال الجزيلة ، وكذلك عسكره فإنهم غنموا من النهب مالا يحصى ، وطل من مصر نحو خمسين صفقه . " (١)

هذا إلى تفشّى العادات الذميمة والأعمال التى تتنافى والذوق العام وتجانب الأخلاق والدين نظراً لانعدام الضمير والوازع النفسى الذى يحكم تصرفات المسئولين .

ثالثا : الحالة العلمية والفكرية :

لا ريب أن العلم لا ينمو ولا ينتشر إلا حيث الاستقرار والأمن ، وأن الفكر لا ينتج ولا يؤتى ثماره إلا حيث الهدوء والراحة الذهنية والارتياح النفسى ، ولذا كانت البيئة الطبيعية والخصبة لنماء العلم وإزكاء الفكر هى التى يسودها استقرار سياسى ورخاء اقتصادى وطمأنينه للواقع الاجتماعى ولا شئ من ذلك كان يمكن أن يتحقق لدول المشرق العربى تحت حكم السلطتين المملوكية أو العثمانية .

ونظرا لأن الدولة العثمانية تعتبر امتداداً لما كانت عليه الدولة المملوكية من فساد وتأخر وتخلف ، فسوف تقصر كلامنا على ما كان عليه العلم والفكر إبان الحكم العثمانى ، فبالرغم من القول بأن الحكم العثمانى استطاع أن يحفظ لمجتمعات الشرق مقوماتها الرئيسية ، وأن يدافع عنها

---

(١) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ١ : ٤٣
(ط البيان العربى)

ضد الاستعمار الغربى لفترةطويلة من الزمن (١) ، إلا أن ذلك لم يكـــن سببه حب العثمانيين للعرب أو عطفا عليهم ، ولكن كان سببه خوف العثمانيين أنفسهم من خطر الاستعمار الغربى (٢) الماثل على حدود الشرق العربـى منذ بداية القرن السادس عشر ، مما جعلهم يمضون فى سياسة الحـــذر والاحتياط ، فأحاطوا الشرق بسياج منيع ، وحالوا بينه وبين العالم الخارجى فلم تمد أحداث الشرق الأوسط خلال العصر العثمانى الأول تتصل مـــن قريب أو بعيد بالأحداث الدولية أو العالمية .

ولم تكن عزلة الشرق الأوسط خلال العصر العثمانى الأول سياسيـة واقتصادية فحسب بل كانت أيضا حضارية ، فلم يصل الشرق الأوسط عنصـــر واحد من العناصر المكونة للحضارة الغربية ، والتى كانت تسير بخطى سريعـة فى طريق التقدم ، وذلك بسبب رجعية الحكم العثمانى وعدم إيجابيته فـــى الدفع بالمجتمعات العربية فى طريق التقدم ، بل لم يكن العثمانيون يرحبون كثيرا بأى تجديد لنظم الحياة السياسية أو العلمية أو الفكرية ، وهذه الحقيقة كانت تمثل يد ى ممثلى الدولة ،فأصحاب الأفكار الجديدة لا يحوزون رضـــا السلطة بل ربما يكونون موضع ريبتهم وسخطهم ، وفى هذا الصدد يقـــول أستاذنا الدكتور محمد ضياء الدين الريس : " وكانت الدولة العثمانيـــة حين ضمت إليها هذه الأقطار فى أوج مجدها وعزها ، ولكن هذا المجـــد لم يكن ليدوم أمده طويلا ، فقد كان مجدا حربيا أساسه القوة المادية وحدها ، ولم يكن مستندا إلى أسس من التقدم العلمى أو النهضة الاجتماعية أو التطـور المذهبى ، وكانت الروح الغالبة عليه الدائمة إليه هى روح جامدة — روح القرون الوسطى — بما تمثل من نزعات المحافظة وسيطرة القوة على العقل ، وإيثـــار

---

(١) الدولة العثمانية والشرق العربى للدكتور محمد أنيس ص ١٤١ الأنجلو المصرية .

(٢) المصدر السابق .

الواقع ، ومقاومة الاصلاح . (١) ثم يستطرد أستاذنا الريس فيقول : " ورغم أنه قد أتاح لها القدر وزراء مخلصين مثل أسرة كبريللى (١٦٤٠ـ ١٦٧٦) ومن أشهر وزرائها اثنان هما : " محمد كبريللى ١٦٥٧ ـ ١٦٦١ " ؛ " أحمد كبريللى ١٦٦١ ـ ١٦٧٦ " وأصل الأسرة من ألبانيا ، الذين بدت الدولة فى عهدهم وكأنها تسترد مكانتها أوتستعيد بعض مجدها ، ولكن هذا لم يكن ليغير من حقيقة الواقع شيئا ، وهو أن الدولة كانت متخلفة عن الزمن ولا تساير ركب الحضارة ". (٢)

هذا إلى ما أجمع عليه المؤلفون وما ذخرت به مؤلفات المؤرخين ومصنفاتهم مما كان يلجأ إليه الولاة العثمانيون من الحد فى التوسع فى التعليم ونشر الثقافة ، حيث ما كانوا ليشجعوا الأهالى على ذلك بل يلجأون إلى إغلاق المدارس والمعاهد اللهم إلا بعض الكتاتيب التى كانت تقوم على تحفيظ القرآن الكريم فحسب ، توطيدا لسلطانهم وإيثارا لإشاعة الجهل والتخلف بين المواطنين حتى لا يتبصرون حقوقهم ولا يفطنون إلى مساوئ الحكم ، فيقومون بالمطالبة بالتجديد أو الحصول على حقوقهم المسلوبه ولم ينج من هذه الحملة الشعواء سوى الأزهر الشريف الذى وقف صامدا مخذولا لهذه التيارات المعادية الاستعمارية ، ممثلا فى علمائه الذين اثبتوا وجودهم فى كثير من المواقف بالرغم من أنه قد أمكن النيل منهم بعد ذلك على يد الداهية محمد على . وفى تصوير هذه الحالة التى كانت عليها مصر ـ كدولة من دول الشرق الواقعة تحت الحكم العثمانى ـ يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعى : " ... وفشا الجهل فى البلاد ورزح الشعب تحت نير العبودية وظلام الجهالة وحرمت البلاد من معاهد العلم والتعليم ، ولم يبق بها سوى الأزهر الذى كان

---

(١) تاريخ الشرق العربى والخلافة العثمانية للدكتور الريس ص ٦ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق

قائما قبل عصر البكوات المماليك وبعض المدارس الملحقة بالمساجد .. وكان بالقاهرة وبعض البنادر والثغور كتاتيب ينفق عليها من أموال الصدقات والأوقاف ، لكنها كانت قليلة النفع بصفة عامة لاثر فى تبديد ظلام الجهالة فى البلاد .» (١)

ثم يستطرد الرافعى قائلا : " وذَوَت العلوم والآداب فى مصر بعد أن كانت زاهية زاهرة ، فقد ظلت الآداب العربية إلى عهد السلاطين البحرية والبرجية (الشراكسة) حافظة مكانتها التى كانت لها من قبل ... أما فى عهد الولاة العثمانيين والبكوات المماليك فقد اضمحلت الآداب العربية وجمدت القرائح وركدت حركة العلم ... وتقهقرت البلاد وساءت إدارتها واندثرت المدارس التى كانت زاهية فى عهد الفاطميين والأيوبيين وخلقائهم ، وتبددت خزائن الكتب التى يرجع إنشاؤها إلى عهد الفاطميين ، ولم يبق منها إلا بعض المكاتب الملحقة بالمساجد كمكتبة الازهر . » (٢)

وحتى الأزهر الشريف لم يَنسج من هذا التيار الجارف نحو التدهور والتخلف ، فقد امتدت إليه يد العبث وعاثت فيه فسادا أيَّما فساد ، وأحِب أن أثبت هنا ما قاله الرافعى نفسه فى هذا الشأن حيث يقول : " واقتصر التدريس فى الازهر على العلوم الفقهية واللسانية وبطل تعليم العلوم العقلية والرياضية ، والطبيعية التى كان يدرسها أسلافهم والتى كانت تزدان بها جامعات بغداد وقرطبة فى عصر ازدهارها إبان ازدهار الحضارة الإسلامية ... من أجل ذلك قلما نبغ فى عهد الفتح التركى شاعر أو عالم أو أديب ، ولا تكاد تعد فى هذا العصر سوى شهاب الدين الخفاجى والزبيدى صاحب تاج العروس والصبان والجبرتى . » (٣)

---

(١) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ١ : ٤٤
(٢) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ١ : ٤٤ ـ ٤٦
(٣) المصدر السابق ١ : ٤٦ ـ ٤٧ .

على أن ذلك لا يدفعنا إلى القول بأن هذه الحقبة — على طولها — كانت خُلوًا من العلم والمشتغلين به ، ومن الأدب والمهتمين بالبحث فيه ، فإن العصور الزاهرة المتقدمة حين تزول أو يَجُر عليها الدهر ذيل الصَفَاء لا تندثر مقوماتها فجأه وعلى حين غرة ، وإنما تظل ممتدة ومتصله بما يليها من عصور بسبب أو بآخر ، ولا سيما العلم والعلماء ، بل وآثار أولئك العلماء التى تظل نبراسا يضيء لمن يخلفهم طريق الرشد والهداية ، ومعين ينهل منه المريدون ومن تتوافر لديهم ملكة الأخذ والاغتراف مما ترك سلفهم الصالح . وتبعا لذلك ، فإن العصر العباسى الزاهر الذى كان موئلا للعلم وموطنا للعلماء وأرباب القلم حين قضت له الدولته ، لم تنقطع به الأسباب عما تلاه من عصور ، وإنما ظل له امتداد علمى وأدبى وفكرى على مدى العصرين المملوكى والتركى ، ممثلا فى العلماء الذين داوموا على مزاولة العلم والبحث فى أصول المعارف ، وإخراج المؤلفات القيّمة التى وَجَدت من تتلمذ عليها وأكبّ على دراستها والاستفادة منها حتى خرجوا على الناس علماء أجلاء ، أعلام يقتفى أثرهم على طريق العلم والمعرفة ، ويُلْجأ إليهم بغية الهداية والرشاد .

ولعل الله تعالى قد أراد للغة الضاد والبقاء والاستمرار وسط هذه العاصفة من الصراعات والتحديات تهيأ لها من الظروف ما ساعد على استمرارها وتمكنها ، ونسوق لذلك مثالين :

١ — إن بعض العلماء الأجلاء فى العراق عندما قضى الزحف المغولى على مظاهر الحياة فى العراق بكل جوانبها ، قد تمكنوا من النجاة بأنفسهم إلى حيث الأمن والاستقرار ، فمنهم من هاجر إلى مصر أو الشام ، ومنهم من لاذ بالحرمين الشريفين مثل الرضى الاستراباذى الذى أقام بالمدينة المنورة بجوار الحرم المدنى حيث ألف شرحه على كافية ابن الحاجب فى النحو . وفى هذا يقول المؤرخ عبد الرحمن الراقمى : " ... وكانت مصر دائما ملجأ

للناطقين بالضاد ممن فروا أمام التتار فى العراق وفارس وسوريا وخراسان ، وبقيت لغة حكومتها عربية .. ونبغ فيها طائفة من فطاحل الشعراء والأدباء والعلماء كالبوصيرى والسراج وابن نباته المصرى والقلقشندى والأبشيهى وابن منظور وغيرهم من أجله العلماء ". (١)

٢ — بعد موت " تيمورلنك " وتعاقب خلفائه بعده واحتدام الصراع بينهم على السلطة ، أسلم بعضهم وأخذوا فى التودد الى العلماء استجلابا لمودة شعوبهم خوفا من مناهضة الدولتين العثمانية والصفوية لهم ، وأكبر مظاهر تودد هم للعلماء ما فعله سلطان هراه (حسين ميرزا) مع العالم الجامى وشموله إياه بالتقريب والمودة اللذين حالا بينه وبين الاتصال بأى سلطان آخر على كثرة طلبهم إياه . كذلك الدولتان العثمانية والصفوية كان طبيعيا وحتما مقضيا على كليهما أن تصانع شعوبها وتتقرب إلى خواصها للتنافس بينهما ، وهذا ما حفزهما إلى إحاطة العلماء بالتكريم والتبجيل . (٢)

على أن هذه الدول لم تحن على اللغة العربية من أعماق قلوبها ، لأنها ليست عربية تغار على لغتها الأصلية ، فالتتر إن حدبوا عليها فى آخر عهدهم فلا سترضاء شعوبها ، كما أن الدولة الصفوية كانت توثر اللغة الفارسية على العربية ، وكذلك سلاطين الدولة العثمانية لم يكونوا ليوثروا العربية على التركية حتى أنهم عادوا بعد ذلك ونكصوا على أعقابهم وفرضوا التركية على أهالى مصر والشام . (٣)

---

(١) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ١ : ٤٥
(٢) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوى ص ٢٤١
(٣) المصدر السابق

وخير ما تختتم به الكلام عن الحالة العلمية والفكرية فى العهدين المملوكى والتركى ما قاله المرحوم على باشا مبارك وصفا لهذه الحالة إذ يقول " من ابتداء القرن التاسع إلى القرن الثانى عشر يعنى مدة ثلاثة قرون قد أُهْمِل أمر المدارس وامتدت أيدى الأطماع إلى أوقافها وتصرف فيها النظار على خلاف شروط وقفها ، وامتنع الصرف على المدرسين والطلبة والخدمة ، فأخذوا فى مفارقتها ، وصار ذلك يزيد فى كل سنة عما قبلها لكثرة الاضطرابات الحاصلة بالبلاد ، حتى انقطع التدريس فيها بالكلية وبيعت كتبها وانتُهِبت ، ثم أخذت تتشعث وتخرب من عدم الالتفات إلى عمارتها وسرقتها ، فامتدت أيدى الناس والظلمة إلى بيع رخامها وأبوابها وشبابيكها حتى آل بعض تلك المدارس الفخمة والمبانى الجليلة إلى زاوية صغيرة تراها مغلقة فى أغلب الأيام وبعضها زال بالكلية وصار زريبة أو حوشا أو غير ذلك ، ولله عاقبة الامور ". (١)

رابعا : الحالة الدينية :

كانت الحالة الدينية فى بلاد المشرق العربى أوفر حظا من غيرها من الحالات فنظرًا لأن كلا من المماليك والعثمانيين يدين بالدين الإسلامى ويعرف مدى تأثير الروح الدينية على الناس فى الشرق العربى ، فقد أرادوا أن يتخذوا من الدين دعامة قوية يشجبون عليها كل مساوئهم ، فكان المماليك يبالغون فى التظهر بالمظاهر الدينية من بناء المساجد والزوايا إلى المبالغة فى الاحتفال بالأعياد الدينية وإقامة الموالد والاهتمام بأضرحة الأولياء .

---

(١) الخطط التوفيقية ١ : ٨٧ ــ ٨٨

ثم جاءت بعدهم الدولة العثمانية فزادت من المبالغة فى ذلك ، وساروا على نهج سابقيهم بل وزادوا عليه ، حتى أن سليم الاول عند مغادرته مصر آثران يصطحب معه الخليفة العباسى المقيم فى القاهرة الى الآستانة حتى يجذب الروح الدينية والعاطفة الإسلامية إلى عاصمة ملكه ، لدرجة أو وجدنا من يأتى بعد ذلك من السلاطين العثمانية يطلق على نفسه لقب خليفة المسلمين ليدين له الناس بالطاعة والولاء ، حتى أنه ما كانت تكاد تحدث ثورة فى احدى البلدان التابعة للحكم العثمانى الا ويخذل لها الشعب لمجرد علمه بأنها موجهة ضد الباب العالى خليفة المسلمين عملا بالولاء الدينى ، ومن أشهر الأمثلة لاستغلال العثمانيين لمبدأ الولاء الدينى ما قام به سليم الاول عند دخول مكة حيث تسلم من شريفها مفاتيح الكعبة واطلق على نفسه لقب " خادم الحرمين الشريفين " . وفى هذا يقول أستاذنا الدكتور محمد ضياء الدين الريس : " ... فأضحى من حقه أن يضيف إلى ألقابه لقب (خادم الحرمين الشريفين) وهو من الاسس التى تعتمد عليها دعوى الخلافة ". (١)

وأخيرا فإن الحكم العثمانى قد ساعد على تقوية أو تأكيد الحياة الدينية لمكان الشرق الأوسط وذلك بتمسكه بأحكام ومبادىء الشريعة الإسلامية أساسا لحكمها . (٢)

---

(١) تاريخ الشرق العربى والخلافة العثمانية للدكتور محمد ضياء الدين الريس ص ٧ .

(٢) الدولة العثمانية والشرق العربى للدكتور محمد أنيس ص ١٤٥

(ب) نشأة البغدادى وحياتـــه

فى غمرة الصراع المحتدم بين الدولتين الصفوية والعثمانيـــة فى العراق ، وما صاحب ذلك من قلق اجتماعى وعدم استقرار للحيـــاة العامة ، حتى أصبح من ينجو من غلظة الشاه اسماعيل الصفوى — رأس الدولة الصفوية — قلة رجاله ، لا يسلم من بطش الجنود العثمانيين وسطوتهـــم التى أصبحت مضرة للناس جميعا حتى للوزراء العثمانيين أنفسهم .

فى غمرة هذه الأحداث المضطربة ، ولد عبد القادر بن عمر بـــن يايزيد بن الحاج أحمد البغدادى [1] فى مدينة بغداد سنة ألف وثلاثين هجرية (١٦٢٠ ميلادية) ، ومع اجتياز عبد القادر لسنى عمرة المبكـــرة الغضة كان الصراع يشتد والحرب يزداد أوارها ويمتد لهيبها حتى ليلفـــح جبين الأمة ، فيصرف الناس عن تدبير شئونهم ، ويقعدهم عن السعـــى والتماس ما يقيم حياتهم ويضمن لهم معيشتهم ، إلا أن ذلك التيار الجـــارف لم يصرف عبد القادر عما رسمه لنفسه واختطه لحياته — وربما كان ذلـــك لحداثة سنه واستعداده الفطرى للعلم والمعرفة — بل لقد عمل على أن يحيل هذه الظروف القاسية فرصة سانحة تعود عليه وعلى العربية بعد ذلـــك بالنفع الكثير ، فقد جعل من اجتماع الأمتين التركية والفارسية فى بغـــداد فرصة مواتية ألقت بزمامها بين يديه ليفيد منها فى تعلم اللغتين التركيـــة والفارسية [2] إلى جانب لغته العربية الأصيلة ، مما جعل إفادته فيمـــا بعد من علوم هاتين اللغتين وآدابهما سهلة المنال. موفورة المأخذ طيبـــه التنكب والمرتقى .

---

(١) خزانة الأدب ص ٣ تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون ط الكاتب العربى بالقاهـــرة .

(٢) مجلة الزهراء م ٥ ج ٢ ص ٢١٠

وظل عبد القادر على هذه الحال ، ينهل من ذلك المعين الذى يحوى المزيج الفارسى التركى العربى ، وبغداد كالكرة تتناوبها أرجل الفريقين الصفوى الفارسى والعثمانى التركى ، حتى أطلت برأسها سنة ثمان وأربعين وألف بعد الهجرة النبوية الشريفة تحمل معها الفوز والغلبة للفريق التركى على خصمه الفارسى ، حيث استطاع جنود السلطان مراد الرابع انتزاع بغداد من براثن الجنود الإيرانية بعد أن ألحقوا بهم هزيمة نكراء ، وأصبحت بغداد بذلك ولاية عثمانية ، وفى هذه الأثناء فكر عبد القادر — ابن الثامنة عشرة — فى مغادرة بغداد إلى بلد ينعم فيه بالراحة والدعة ، ويجد فيه جوًّا من الطمأنينة والهدوء ، ولا سيما وأنه قد بلغ فى تعلم اللغتين التركية والفارسية شأوا يجعل اطلاعه على علومهما وآدابهما ميسورا ، والإفادة منهما ميسورة .

وبعد أن استخار عبد القادر ربه ، وجد ضالته فى دمشق عاصمة الشام ، فشد اليها الرجال ، عاقدا عزمه ، شاحذا همته على أن يغشى حلقات العلم بها ، وحضور مجالس العلماء من أبنائها ، فما كادت قدماه تطأن أرض دمشق ، حتى يمم نقيب أشرافها ، وعَيْن أعيانها السيد محمد بن كمال الدين الحسينى كبير بيت آل حمزة (١) ، الذى عطف عليه وأكرمه وبوأه منزلا فى المسجد المقابل لداره فى الحى المعروف بزقاق النقيب ، وهو الحى الواقع به منزل الأمير عبد القادر الجزائرى وبنيه وأحفاده ومنازل آل حمزه ، وكان فيه أيضا منزل الشيخ طاهر الجزائرى قبل هجرته الى مصر . (٢)

وبعد أن عبّ عبد القادر من دروس النقيب ما وسعه العب ، ونهل من مخذيوه حتى الثمالة ، قصد حلقة النجم محمد بن يحى الفرضى (٣) فاغترف من معينه ما صقل معارفه وغنى مداركه .

---

(١) مجلة الإحياء م ٢ ج ٢ ص ٢١٠ .
(٢) المصدر السابق

وبقى البغدادى مقيما بالمنزل الذى أنزله اياه السيد النقيب مدة سنة ، ثم أنهج الرحيل الى مصر حيث وصلها فى العام الخمسين بعد الألف الهجرى ، وهو بعد لم يتعد العشرين من عمره ، وما كاد يدخل القاهرة حتى بزغ فى دراسة العلوم الرسمية وأحكامها العقلية والنقلية على يد شيخة الأكبر وقدوته الأعلى شهاب الدين الخفاجى وغيره من علماء الأزهر الأجلاء مثل الشيخ يس الحمصى ، والنور الشبراملسى ، وسرى الدين الديوى ، والبرهان المأمونى (أو الميمونى على خلاف يسير) (٢) ، وكان أكثر لزوم عبد القادر واستفادته من الشهاب الخفاجى والشيخ يس الحمصى ، حيث قرأ على الأول كثيرا من علوم التفسير والحديث والآداب ، ولذا كان يحفظ لهما قدرهما ويعترف بفضلهما حتى أننا لا نكاد نجد لأىّ منهما ذكر فى مؤلف له إلا ويذكره بلفظ "شيخنا" ، حتى عندما أشيد بعلمه وسعة اطلاعه وجودة حفظه واستحضارة ، لم يتملكه الغرور والصلف ، ولم ينس أستاذه ، ولم يغفل الاعتراف بفضله ، حيث أجاب بأن كل ما حفظه قطرة من غدير الشهاب ، ولم يستفد هذه العلوم الأدبية إلا منه .

أقام عبد القادر فى مصر نحوا من سبع وعشرين عاما ، عاكفا على الدراسة والتدريس والتأليف والتصنيف ، ثم حدثته نفسه بالخروج الى القسطنطينية — عاصمة آل عثمان — فغادر القاهرة فى الثامن عشر من ذى القعدة سنة سبع وسبعين وألف هجريه ، وكان وقتئذ مشتغلا بتأليف سفره الجليل "خزانة الأدب" ، حيث كان قد بلغ فى تأليفه إلى الشاهد التاسع والستين بعد الستمائه ، حيث يقول فى خطبة ختام الخزانة : " ... فإنى لمّا وصلت فى شرح الشاهد التاسع والستين بعد الستمائه سافرت الى القسطنطينية...

---

(١) خلاصة الاثر ١ : ٤٥ ذكر اسمه (الميمونى) عند ترجمته ، ٢ : ٤٥٢ ذكر اسمه (المأمون) عند ترجمة ، البغدادى .

الثامن عشر من ذى القعدة من سنة سبع وسبعين " . ولكن يبدو أنه لم تطب لعبد القادر الإقامة فى عاصمة آل عثمان ، فغادرها بعد خمسة أشهر عائدا الى مصر ، حيث دخل القاهرة فى السابع من ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وألف هجرية ، ثم اتصل بواليها العثمانى ابرهيم باشا كتخدا الذى اتخذه نديما وسميرا ، وأنزله من نفسه ومجلسه المنزلة اللائقة به قرابة سبع سنوات وهى مدة ولاية ابراهيم باشا لمصر حيث خلفه عليها حسين باشا فى العام الخامس والثمانين بعد الألف .

ولما تنكب ابراهيم باشا جادة السفر عائدا إلى بلاده ، آثر عبد القادر اصطحابه إلى بلاد الروم ولاءً له ، أو ربما كان ذلك إصرارا من ابراهيم باشا إجلالا لعبد القادر واحتفاءً به . وكان سفرهما بطريق الشام حيث قدر للبغدادى أن يدخلها بعد غيبة عنها وافت خمس وثلاثين سنة .

وفى الديار الرومية أقام البغدادى بأدرنه واتصل بالوزير الأعظم احمد باشا ابن محمد كوبريللى الذى كان من كبار العلماء ومن المشتغلين بالطب والتدريس (١) أيام شبابه ، ثم انتقل من ذلك إلى الوظائف المدنية حيث وصل إلى منصب الوزارة المعظمى فلما عرف الوزير فى البغدادى رسوخ قدمه فى العربية وسعة اطلاعه فى علومها ، أجله من نفسه المحل الأرفع ، وجعله من خاصته وندمائه ، وأراد عبد القادر من جانبه أن يحفظ للوزير كرمه وحفاوته به فألف حاشيته العظيمة على شرح " بانت سعاد " لابن هشام وجعلها باسمه .

أخذ اسم عبد القادر البغدادى يلمع ويذيع صيته وينتشر ، حتى وصل الى مسامع السلطان العثمانى محمد ابن السلطان ابراهيم بن احمد خان الذى تولى السلطنة بعد مقتل أبيه ، وظل يشغل هذا المنصب احدى وأربعين سنة (من ١٠٥٨

---

(١) مجلة الزهراء : م ٥ جـ ٤ ص ٢١٥ .

الى ١٠٩٩)[1] الذى ما أن لمس فضل البغدادى وأحس علمه وإتقانه حتى قدره حق قدره وأحله محل الرفعة والسمو ، مما حدى بالبغدادى أن يتوج خزانته باسمه اعترافا بفضله وتقديرا لكرمه .

وقد بلغ عبد القادر فى ذلك الحسين بأدرنه شأوا عظيما من تقدير السلطان له وتبجيل الوزير الأعظم لمقامه ، حتى كان قِبْلَة طالبى العلم ومريديه ، ومقصد الباحثين والمنقبين ، وقد زاره المحبى صاحب خلاصة الأثر وهو فى أوج عزه ومكانته حيث يقول : " ولما حللت بأدرنة فى ذلك العهد زرته مرة فى مجلسه ، وكان بينه وبين والدى حقوق ومودة قديمة ، فرحب بى وأقبل علىّ ، وكان إذ ذاك فى غاية من إقبال الكبراء عليه . "[2]

مكانة البغدادى العلمية :

حفظ عبد القادر منذ حداثة سنه مقامات الحريرى وكثيرا من دواوين الشعراء المتقدمين ، فصارت له ملكة النقد الصحيح واستحضار الأشباه والنظائر ، مع حسن حديث وألطف أداء . وفى ذلك يقول المحبى : " وهو أحسن المتأخرين معرفة باللغة والأشعار والحكايات البديعة ، مع التثبت فى النقل ، وزيادة الفضل والانتقاد الحسن ، ومناسبة إيراد كل شىء منها فى موضعه مع اللطافة وقوة المذاكرة وحسن المنادمة ، وحفظ اللغة الفارسية والتركية ، وإتقانهما كل الإتقان ، ومعرفة الأشعار الحسنة منهما ، وأخبار الفرس ، فخرج من بغداد وهو متقن لهذه اللغات الثلاث ".[3]

---

(١) الخزانة تحقيق عبد السلام هارون عن تحفة الناظرين للشيخ الشرقاوى . ص ٨
(٢) خلاصة الاثر : ٢ : ٤٥٣ .
(٣) خلاصة الاثر ٢ : ٤٥١

وقد بلغ من سعة اطلاع عبد القادر ومعرفته بخفايا الأمور ومشكلها أن أستاذه الشهاب الخفاجي على تبحره في العلوم ورسوخ قدمه فيها ، كان يراجع عبد القادر في المسائل المشكلة لمعرفة مظانها ، ويمهد إليه بنقل الغريب من اللغة .

صلة البغدادي بالشعر :

على الرغم من غشيان البغدادي لمعظم مجالات العربية ، ووقوفه على الكثير من مظان المعارف ومشكلاتها ، إلا أنه لم يؤثر عنه ما ينبئ عن شاعريته أو أن له شعرا تناقله الرواة أو حفل بتدوينه المصنفون في تصانيفهم ، اللهم إلا أربعة أبيات أوردهم الشبلي في كتابة " عقد الجواهر والدرر في أعيان القرن الحادي عشر ، مع أنه شعر ماجن ، متكلف لا يليق بعالم في مثل مكانة عبد القادر واعتزازه بنفسه : وفي هذا يقول المحبي (١) : " وكان مع متجره في الآداب ومعرفته الشعر لم يتفق له نظم ، حتى طلبت من بعض المختصين به شيئا من شعره لأثبته في ترجمته فذكر لي فيما زعم أنه لم يتفوه بشيء منه ترفعا عنه . ثم رأيت الشبلي ذكر له في ترجمته هذه الأبيات في هجاء طبيب يهودي يعرف بابن جميع :

يَابْنَ جَمِيعٍ أَصْبَحْتَ تَنْتَحِلُ النَّحْـ ـوَ وَدَعْوَاكَ فِيهِ مَنْحُولَهْ
أُمُّكَ مَا بَالُهَا فَقَدْ ذَهَبَتْ مَرْفُوعَةُ السَّاقَيْنِ وَهْيَ مَفْعُولَهْ
فَاعِلُهَا الأَيِّرُ وَهْوَ مُنْتَصِبٌ مَسَائِلٌ قَدْ أَتَتْكَ مَجْهُولَهْ
وَالصِّينُ عُطْلٌ وَعَيْنُ عُصْفُورِهَا بِنُقْطَةِ الخَصْيَتَيْنِ مَشْكُولَهْ

(٣) وفاة البغدادي :

ظل عبد القادر مقيما بأدرنة في حظوة من السلطان العثماني والوزير الأعظم وفي غاية من إقبال الكبراء والعلماء عليه ، حتى هجمت عليه علة قاس منها آلاما عظاما ، فت

(١) خلاصة الاثر ٢ : ٤٥٣

فتصدى لمعالجته الكثير من الأطباء والجهابذة حتى لم يبق طبيب إلا باشر معالجته فبدأ الملل والسآمة يزحفان على فؤاده وخارت قوته ، وضعفت همته عن نيل أمانيه وفتر عزمه عن تحقيق آماله ، وضاق به الأمر ، فسافر إلى مصر ، ثم لم يلبث أن عاد ثانية إلى أدرنة حيث ابتُلِيَ برمد في عينيه حتى قارب أن يُكَف ، وكان ذلك في عام سبع وثمانين وألف هجريه (١) ابان تأليفة لكتاب شرح شواهد مغني اللبيب ، فانقطع لهذا نحو شهر عن التأليف ، ثم أبرأه الله من رمده ، وسافر الى القسطنطينية في العام الحادي والتسعين بعد الألف الهجرى ، ثم عاد من طريق البحر إلى مصر حيث لم تطل إقامته بها إذ توفاه الله في أحد الربيعين من سنة ألف وثلاث وتسعين هجرية ، رحمه الله .

بقايا خط البغدادي :

من الواضح أن مخطوطة الشنقيطي لخزانة الأدب التي تم نسخها في المدينة المنورة والمحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١ نحوش) قد نقلت من نسخة بخط البغدادي لكثرة ما ورد بها من عبارة "كذا بخط المؤلف" ، وقد اطلع عليها الشنقيطي بنفسه كما هو واضح من عبارته التي أثبتها بآخر المخطوطة قائلا : " وجدته بخطه رحمه الله " . فلا يبعد إذن أن تكون هذه النسخة التي كتبها عبد القادر موجودة بإحدى خزائن المدينة المنورة العامة حتى الآن .

كذلك ذكر الشنقيطي في خاتمة مخطوطته لشرح شواهد الشافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤ مجاميع ش) أنها منقوله من خط المؤلف ، فلا يبعد كذلك أن يكون هذا الأصل الذي كتبه المؤلف موجودًا أيضا إلى يومنا هذا .

---

(١) شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي (الخاتمة)

ويقول الأستاذ محب الدين الخطيب أنه توجد قطعة من شرح شواهد الشافية بخط البغدادى فى مكتبات أوروبا . (١)

كما توجد نسخة من كتاب " فرحة الاديب " لابى محمد الاعرابى بخط البغدادى كان قد كتبها لنفسه ، وهى الآن مودعة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٧٨ مجاميع م) وقد ختمها البغدادى بكلمة أثبت فيها تاريخ بدء النسخ ونهايته الذى استغرق تسعة أيام ، كما أثبت أيضا تاريخ الأصل الذى نقل منه هذه النسخة .

وتوجد كذلك بدار الكتب المصرية مسودة بخط البغدادى من شرحه لشواهد شرح التحفة الوردية لابن الوردى محفوظة تحت رقم (١١١٣ نحو) .

ويقول الأستاذ عبد العزيز الميمنى (٢) أن بخزانة باتكى بور فى الهند نسخة من كتاب " مجمع الأمثال " للميدانى قد كتب عليه البغدادى بخطه هذه العبارة " من نعم الله على عبده الفقير إليه عبد القادر بن عمر البغدادى " .

وكذا وجد على كتاب " المعمرين " لابى حاتم السجستانى الذى طبع فى ليدن والموجود الآن ببعض حواضر الغرب بقايا خط للبغدادى ، وكذا على كتاب " الوصايا " للسجستانى أيضا الموجود بالغرب كذلك . (٣)

والمتصفح لكتاب " معجم الأدباء " لياقوت الحموى ، يجد فى ترجمته للحصرى صاحب (زهر الآداب) (٤) هذه العبارة " وله عندى كتاب الجواهر والملح والنوادر . كتبه عبد القادر البغدادى " مقحمة فى صلب الكتاب كأنها أصلية فيه ،

---

(١) مجلة المزهر ج ٤ م ٥ ص ٤٥٣ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .
(٤) معجم الادباء ٢ : ٩٧ ط دار المأمون .

وذلك لأن البغدادى كان قد كتبها فى هامش الأصل ، ولكن المستشرق مرجليوث عندما اضطلع بطبع الكتاب لم يفطن لما بين زهن البغدادى وزمن ياقوت الحمـــوى من فرق ، فأدخل عبارة البغدادى فى صلب الترجمة ، فجاءت قلقة فى مكانهـا ، غير مستساغة فى موضعها .

وخط البغدادى متوسط متقن ، ومضبط بالشكل ما أشكل . (١)

تقدير البغدادى لشيوخه :

بالرغم مما بلغه عبد القادر من مكانة علمية تشرئب إليها الأعناق وتقصـــر دونها الهمم ، لا يصرفه ذلك عن الوقوف موقف الإجلال والتقدير لشيوخه والاعتراف بفضلهم عليه ، ويبرز ذلك جليا واضحا فى عدد من مواقفه منهم ، نذكر منها علـى سبيل المثال لا الحصر :

١ — عندما يورد قولا لأحد شيوخه يسبقه بكلمة " شيخنا " . ومثال ذلـــك ما ورد فى الشاهد الخامس والاربعين بعد المائتين ونصه : (٢)

(فأنت طلاق — والطلاق ألية — ثلاثا ، ومن يخرق أعق وأظلم)

حيث يقول : " وكتب شيخنا الخفاجى عند بيان الأربعة التى قصد تلاجل الإعراب : وما ادعاه من بطلان الوجوه الأربعة إذا وقع الطلاق منصـــب عزيمة (٣) وثلاث ، على الحالية أو المفعولية ، غير مسلم لانه لا يجـــوز أن يكون خبر مبتدأ مقدر : أى وهذا الطلاق . وباب التقدير واسع " .

---

(١) مجلة الزهراء ج ٤ ، ٥ ص ٤٥٣ .
(٢) الخزانة ٢ : ٧٣ بولاق .
(٣) على الرواية التى تقول : والطلاق عزيمة يدل والطلاق ألية .

٢ — لا يدع الفرصة تفوته أنى وجدها دون إطراء مشايخة والإشادة بفضلهم والاعتراف بأياديهم البيضاء عليه ، ومثال ذلك ما حكاه المحبى من أن الفاضل مصطفى فتح الله قال : " قلت له (١) لما رأيته من سعة حفظه واستحضاره : ما أظن هذا العصر سمح برجل مثلك : فقال لى : جميع ما حفظته قطرة من غدير الشهاب ،(٢) وما استفدت هذه العلوم الأدبية إلا منه " .

٣ — لا يصرح بتخطئة ما قال به شيخة إذا رآه بجانب الصواب ويجد فى الحقيقة وإنما يتلمس له الأعذار حتى ينفى عنه مظنة الخطأ ، ومثال ذلك :

أ — ما ورد فى معرض شرح الشاهد السابع والعشرين بعد المائتين عندما أورد رأيا للرضى صرح بأنه نقله عن سيبويه ولم يعثر البغدادى عليه بعد طول بحث وتنقيب لدى مصنفات سيبويه ، حيث يقول :(٣) هذا محصل ما نقله الشارح المحقق عن سيبويه ، وليس فى كلام سيبويه فى هذا المقام واحد منها ، ولعل ما نقله الشارح ثابت فى موضع آخر من كتابه " .

ب — كذلك ما ورد فى شرح الشاهد الثمانين بعد المائتين عندما أورد رأيا آخر للرضى صرح بأنه نقله عن الفراء مما ورد فى تفسيره حيث يقول عبد القادر : (٤) " لعل الفراء قال ما نقله الشارح المحقق عنه فى غير تفسيره ، فإنه لم يتعرض لهذا ولا لغيره أيضا " .

---

(١) أى البغدادى — خلاصة الاثر ٢ : ٤٥٣ .
(٢) أى شهاب الدين الخفاجى وكان استاذا للبغدادى بمصر .
(٣) الخزانة ٢ : ١٩٠ بولاق . (فى ليلة لا نرى بها أحدا ... يحكى علينا هلالا كواكبها)
(٤) الخزانة ٢ : ١٤٤ بولاق . (... ولات ساعة مندم)

دقة البغدادى فى عرض الحقائق :

عند عرض البغدادى للحقائق العلمية ، لا يسلّم تسليما مطلقا بما قاله العلماء وما تواتر عنهم ، ولا يقف عند مجرد النقل عما أُثِر عنهم ، بل لا يعتمد إلا على ما يتوصل هو إليه ، وما يتوثق لديه ، ومثال ذلك قوله عن الشاهد التاسع والثلاثين (١) : " هذا البيت فى غالب كتب النحو ، ولم أظفر بقائله ، ولم يعزه أحد لقائله غير العينى فانه قال : هو لرؤبة بن العجاج ، وقد تصفحت ديوانه فلم أجده فيه ، والله أعلم " .

وكذا ما ورد فى معرض شرح الشاهد الثالث والثلاثين بعد المائتين (٢) عندما وجد العينى والسيوطى ينسبانه الى الأخطل ، إذ يقول : " وقد راجعت ديوانه مرتين ولم أجده فيه ، ورأيت فيه أبياتا على هذا الوزن يهجو بها جريرا ويفتخر فيها بقومه ، وليس فيها هذا البيت ، وما أورده كذلك عند شرحه للشاهد الخامس والاربعين (٣) عند تعقيبه على كلام ابن خلف الذى صرح بأنه نقله عن بعض النحاة ، بقوله : " ولم أر هذا النقل فى الكتب المدونة فى اللغة ولا فى غيرها " .

وعلى الرغم من تقدير عبد القادر لشيوخة ، واعترافه لهم بالفضل فى كل ما حصله وحفظه ، إلا أنه كان معتزا بعلمه ، محررا فى تفكيره ، فلم يشأ مجاملتهم على حساب العلم ، بل كان يأتى بالحقيقة ناصعة بيضاء وإن كانت مخالفة لما ذهب اليه أى منهم ، فتراه يعترض فى عدم تهجم ولا صلف على أستاذه الخفاجى عندما وجد ، يعزو بيتا لعمرو بن معد يكرب الى المفضليات ، فيقول عبد القادر : (٤)

---

(١) الخزانة ١ : ١٣٤ بولاق (نبئت أخوالى بنى يزيد ... ظلما علينا لهم قيود)
(٢) الخزانة ٢ : ٣٧ بولاق (رأيت الناس ما جاشا قريعى ... فانا نحن أفضلهم فعالا)
(٣) الخزانة ١ : ١٤٩ بولاق (لهيك يزيد ضارع لخصومة ... ومختبط مما تطيح الطوائح)
(٤) الخزانة ٤ : ١٧ بولاق .

" والعجب من شيخنا الخفاجى أنه نسبه إليه فى حاشية البيضاوى وقال : هو من قصيدة مسطورة له فى المفضليات ، مع أنه غير موجود فى شعره فى المفضليات لا من قليله ولا من كثيره " . كما نجده يعترض على ما ذهب اليه شيخه يس الحمصى فى غير موضع من خزانته . (١)

وبذا يقف البغدادى علما بين المحققين المدققين موثرا الحقيقة ونصرة الحق على مشايخه مع اعترافه الدائم لهم بالأستاذية والإمامة متمثلا الأثر الاغريقى المطروق " أفلاطون أحب إلىّ من نفسى ولكن الحقيقة أحب إلىّ نفسى من أفلاطون " .

---

(١) الخزانة ٤ : ٤١٠ ـ ٤٣٢ بولاق .

(ج) شيوخ البغدادى وتلاميـــذه

عرفنا مما تقدم أنه حينما حاقت الفتنه بالعراق ، واحتدم الصراع الصفوى التركى حول بغداد آلى عبد القادر البغدادى على نفسه إلا أن ينزح عنهـــا الى حيث يجد الهدوء والاستقرار حتى يستكمل علومه وينمى معارفه ، فغـــادر بغداد الى دمشق ، ثم تكرر حله وترحاله فمرة الى مصر وأخرى الى أدرنـــة وثالثة الى القسطنطينية وراجعة الى مصر مرة أخرى ، وكان فى كل مرة يحل فيهـــا بدمشق أو القاهرة لا تكاد قدماه تحطان أرضهما حتى يبادر إلى حلقات العلمـاء بهما مكبا على الدرس والتحصيل ، فكان بذلك كل شيوخه فى دمشق والقاهرة .

١ — فى دمشـــق :

وقد درس البغدادى فى دمشق على يدى عالمين من أجلة العلماء فـــى مجال العربية وعلومها إلى جانب العلوم الشرعية وأحكامها العقلية والنقليـــة ، وإليك طرفا من ترجمة كل من شيخيه فى دمشق :

محمد بن كمال الدين الحسينى :

هو محمد بن كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسينى المنتمى الحنفى المذهب(١) . ولد بدمشق فى غرة رجب من العام الرابع والعشرين بعـــد الألف الهجرى ، تربى فى حجر والده و قرأ القرآن وجوده على الشيخ أبى بكـــر السليمى ، كما درس العربية وعلومها إلى جانب العلوم الشرعية وأحكامها علـــى كثير من العلماء الأفاضل وأشهرهم الشيخ عبد الباقى الحنبلى والشمس الميدانـــى والحافظ أبى العباس المقرى ، وغيرهم حيث أجازوه بكل ما قرأ عليهم .

---

(١) خلاصة الاثر ٤ : ١٢٤ ، وقد أورد المحبى نسبه كاملا حتى أوصله إلـــى الامام على بن أبى طالب ، رضى الله عنه وذلك عند ترجمته لأخيه حســـين فى خلاصة الاثر جـ ٤ ص ١٥٥ .

كان كثير السفر الى بلاد الروم ، ولما عاد الى دمشق ، حط بها رحالـه ، وولى النيابة الكبرى بها وقسمة العسكر ، ولما توفى والده ، ولى مكانه النقابـــــة ، فكان بذلك نقيب الشام ، وكان فقيها محدثا نحويا شاعرا ، ألف التآليف الكثيـرة مثل حاشية على شرح الخلاصة لابن الناظم ، وتحريرات على الهداية ، إنتفع بـه كثير من أفاضل العلماء ، وأجلة المهتمين بالدين والدنيا على السواء .

أورد له المحبى فى خلاصة الأثر شعرا كثيرا ، ثم قال عنه : " وقد وقفـت له على أشعار كثيرة وقد ذكر ولده الصغير الكبير الشأن السيد الفاضل ابراهيم أنـه جمع ديوانا لنفسه ". (١)

توفى محمد بن كمال الدين بدمشق ختام صفر عام ألف وخمس وثمانيـــن هجريه عن إحدى وستين سنة ودفن بمقبرة الفراديس رحمه الله .

محمد بن يحى الفرضـــى :

هو محمد بن يحى بن تقى الدين بن عبادة بن هبة الله الملقب نجـــم الدين الفرضى فقيه نحوى محدث . أخذ عن والده ، وأخيه الملقب كمال الديـــن الفرضى ، ثم درس على يد كثير من أجلة العلماء ، وأشهرهم الشرف الدمشقـــى ، والشيخ العمادى ، والشيخ الغزى ، ثم جلس مجلس التدريس فانتفع به الأفاضـــل طبقة بعد طبقة ، ثم انقطع عن التدريس عامين لوفاة والده ، ثم عاد للتدريـــس العام فى محراب الحنابلة ، فأقرأ وشرح العديد من الكتب القيمة النافعة ، وكـان يحضر درسه ما يربو على الأربعين ، منهم الشيخ المالكى والمفيزلى والشيخ خليـــل

---

(١) خلاصة الأثر ٤ : ١٣٠

الحصائى والشيخ عز الدين الحصى ، وهم من أفاضل علماء عصرهم . يقول عنه المحبى : (١) " كان أعظم شيخ أدركناه واستفدنا منه ، وكان فى العلم والتقوى والزهد فرد الزمان وواحد الأقران ، ولم أر مثله فى تفهيم الطلبة ، والحرص على تهذيب قرائحهم ، وجبر خواطرهم ، مع أنه رحمه الله كان حاد المزاج سريع الانفعال ، لكنه اذا انفعل رضى فى الحال ، ويتلافى ما كان منه ، وكان فى نفسه مباركا ، ما قرأ عليه أحد إلا انتفع ببركته .

وقد توفى الفرضى يوم الجمعة الثانى عشر من شهر صفر سنة تسعين بعد الألف الهجرى ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

٢ — فى القاهرة :

ولما نزح عبد القادر إلى مصر فى العام الخمسين بعد الألف الهجرى ، ولما يتمدَّ العشرين من عمره — كما تقدم — ، أخذ يغشى حلقات الدرس ومجالس العلم لكثير من أفاضل العلماء فى القاهرة آنذاك ، ينهل من معينهم العذب ، ويصب من عذيوهم الصافى ، وكان من أشهرهم :

شهاب الدين الخفاجى :

هو شهاب الدين بن احمد بن محمد بن عمر الخفاجى المصرى ، وقد ذكر الشهاب فى مقدمة الريحانة انتساب أسرته الى بنى خفاجه (٢) ، بينما يقول المحبى فى خلاصة الاثر : " والخفاجى نسبة الى أبيه خفاجى ولا أدرى ماهو . (٣)

ولد الخفاجى فى العام السابع والسبعين بعد التسعمائه الهجرى لأب من خيرة علماء

(١) خلاصة الأثر ٤ : ٢٦٥
(٢) ريحانة الالبا ١ : ٤ الطبعة الاولى تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو .
(٣) خلاصة الاثر ١ : ٣٤٣ .

عصره ، ونشأ الشهاب فى حجر أبيه يعلمه ويؤدبه ، وعليه تخرج فى كثير من الفنون ، ثم انطلق الى رحاب أوسع ، فدرس النحو وعلوم العربية على خاله أبى بكر الشنوانى ، ثم درس المعانى والمنطق وبقية علوم الأدب ، ونظر كتب المذهبين الحنفى والشافعى على كثير من أجلة العلماء وأفاضلهم فى عصره ممن أجازه بجميع مؤلفاتهم ومروياتهم ، وأشهرهم شمس الدين الرملى المشهور بالشافعى الصغير ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، وابن غانم الخزرجى ، والاسقراييني ، والملقى ، كما درس الطب على داود الأنطاكى ، والرياضيات على داود الجد وقرأ عليه إقليدس وغيره .

ثم جلس الشهاب للتدريس ، فأخذ عنه علماء كثيرون ، منهم أحمد بن يحى الحموى المعروف بالمسكرى ، وعبد القادر البغدادى ، وفى ذلك يقول المحبى عن البغدادى : (١) " وأكثر لزومه كان للخفاجى ، قرأ عليه كثيرا من التفسير والحديث والآداب ، وأجازه بذلك وبمؤلفاته ، وكان الخفاجى مع جلاله وعظمته يراجعه فى المسائل الغريبة لمعرفته بمظانها وسعة اطلاعه وطول باعه . كما يعترف البغدادى نفسه بأنه فى كل ما حصله كان عالة على الشهاب وعلومه كما سبق وأشرنا عن تقدير البغدادى لشيوخه . وممن أخذ عن الشهاب أيضا فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبى والد صاحب خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر الذى كتب عنه أصل الريحانة الذى سماه " خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا . " (٢) وقد ألف الخفاجى الكتب النافعة والمصنفات القيمة التى بلغت واحدا وعشرين مؤلفا كلها مذكورة فى ترجمة بريحانة الألبا (٣) .

---

(١) خلاصة الاثر ٤ : ٤٩١ — ٤٩٢ .
(٢) خلاصة الاثر ٣ : ٢٧٧ — ٢٨٦ .
(٣) ريحانة الألبا : ٣٦٨ .

ولم يكن فضل الخفاجى على عبد القادر بعد وفاته أقل منه إبان حياتـــه ، فما أن توفى الشهاب حتى تملك عبد القادر أكثر كتبه التى كانت تذخر بها مكتبتـــه ضمن ما تحويه من نفائس ودرر ما بين دواوين للأدب ومجاميع للشعر العربى القديـم وتعليقات لأئمة العربية على الكثير منها .

توفى الخفاجى فى العام التاسع والستين بعد الالف الهجرى .

اجازة الخفاجى للبغدادى :

واليك نص إجازة الشهاب الخفاجى لعبد القادر البغدادى بكل مروياتـــه ومؤلفاته رأيتا إثباتها هنا تتميما للفائدة :

" تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام ، المحيى مآثر الأعيان بنشر ثنائهـم المخلد فى صحف الأيام ، والصلاة والسلام على أفضل الرسل الكرام ، وعلى آلـــه وصحبه ما طرز البرق برود الغمام .

أما بعد — فإن الفاضل الأريب ، والماجد المهذب الأديب ، خليل روحـى الشقيق ، ومن هو فى سبيل الطلب سمير ورفيق ، حاوى المفاخر ، الأخ الأعـــز عبد القادر ، لما قرأ علىّ "كتاب " الرحلة " وغيره مما سودت به وجه الصحـــف وأخذته عن الأجلة ، وسمى بسمة العلم ولست بأهله .

إذا كانَ الزمانُ زمانَ ســـوءٍ فيومٌ صالحٌ منه غنيمـــةُ

فأجزته بما لى من التآليف والآثار ، وما رويته عن مشايخى الأخيار . صانـــه الله عن عين الكمال وحماه ، وقلد جيد مجده بفرائد حلاه " . (١)

---

(١) ريحانة الالبا : ٣٨٦ .

يس الحمصـــي :

هو يس بن زين الدين بن أبي بكر بن محمد بن الشيخ عليم الحمصـــي الشافعي الشهير بالعليمي (١) ولد بحمص ، ورحل مع والده ، وهو صغير إلى مصر ، أخذ عن كثير من علماء عصره الأجلاء ، وأشهرهم الشيخ منصور السطوحي ، والشهاب العنيمي ، والشمس الشوبري ، حتى صار نحويا فقيها محدثا شاعرا ، ثم تصـــدر للتدريس بالأزهر ولازمه أعيان أفاضل عصره ، ألف الكثير من الكتب النافعة والمفيـــدة ، ومعظمها حواش على الكتب القيمة النادرة ، مثل : حاشية على المطول ، وثانيـــة على المختصر ، وثالثة على شرح القطر للفاكهي ، ورابعة على شرح التهذيـــب للقبيصي ، وخامسة على شرح ألفية ابن مالك وغير ذلك ، وأثر عنه شعر كثير أكثـــره جيد ، كان ذكيا حسن الفهم ، وذاع صيته وشاع ذكره ، وكان ذا مال وغير وأنعام كثيرة على طلبته ، متواضعا ، حليما .

توفي يوم الأحد العاشر من شهر شعبان سنة إحدى وستين بعد الألـــف الهجرى .

نور الدين الشراملس :

هو علي بن علي أبو الضياء نور الدين الشبراملسي الشافعي القاهـــرى ، ويقول المحبي : (٢) " الشبراملس بشين معجمة فموحدة فراء فألف مقصورة علـــى وزن سكرى كما في القاموس مضافة الى ملس بفتح الميم وكسر اللام المشددة فالسين المهملة ، أو مركبة تركيب مزج ، وهي قرية بمصر " . ولد نور الدين عام تسعمائه وسبع وتسعين أو وثمان وتسعين ببلدة شبراملس وحفظ بها القرآن .. وكان ضريرا لجـــذرى

---

(١) خلاصة الاثر ٤ : ٤٩١ ـ ٤٩٢
(٢) خلاصة الاثر ٣ : ١٧٤ ـ ١٧٧

أصابه وهو ابن ثلاث سنين • نزح الى القاهرة عام ثمان وألف للهجرة بصحبة والده ، وتلقى العلم على يد علماء أفاضل منهم الشيخ عبد الرحمن اليمنى ، والشيخ عبد الرؤف الطاوى ، والنور الحلبى ، والشهاب الفنيمى ، ثم تصدر للتدريس بالجامع الازهر ، فأخذ عنه أكابر علماء عصره ومنهم الشيخ يس الحمصى ، والشهاب البشبيشى ، ومنصور الطوخى وغيرهم • ألف العديد من الكتب أشهرها حاشية على المواهب اللدنية من خمس مجلدات ضخام ، وحاشية على شرح المنهاج والنهاية للشمس الرملىّ وغيرها من المؤلفات القيمة النافعة ، التى أخذ عنها خلق كثير • ويقول عنه المحبى : (١) " كان نحويا فقيها محدثا محققا ، أعلم أهل زمانه ، لم يأت مثله فى دقة النظر وجودة الفهم ، واللطف والحلم والإنصاف " •

توفى نور الدين ليلة الخميس الثامن عشر من شهر شوال سنة ألف وسبع وثمانين للهجره •

برهان الدين الميمونى :

هو الشيخ ابراهيم بن محمد بن عيسى الاحسى الشافعى الملقب برهان الدين الميمونى (٢) ولد عام تسعمائه وواحد وتسعين للهجرة ولزم والده لعدة سنوات ، وهو محمد بن عيسى أحد علماء عصره الأجلاء ، وكان يحضر معه وهو صغير درس الشمس الرملىّ ، وأخذ عن الشنوانى والطبلاوى والفنيمى ، وأجازة جل شيوخه بمؤلفاتهم وما أخذ عنهم ، فكان نحويا فقيها محدثا بليغا • أخذ عليه علماء أجلاء ، أشهرهم أحمد الفنيمى ، وعبد القادر البغدادى ، وشاهين الحنفى • ألف المؤلفات القيمة النافعة مثل : حاشية على المختصر ، وثانية على المواهب اللدنية ، وثالثة على تفسير البيضاوى وتعليقات على شرح التلخيص المسمى بالأطول ، وتحريرات على حاشية الجامى •

(١) خلاصة الاثر ٣ : ١٧٤ ـ ١٧٧ •
(٢) خلاصة الاثر ١ : ٤٥ ـ ٤٦

توفى برهان الدين يوم الثلاثاء الثانى عشر من شهر رمضان سنة ألف وتسع وسبعين هجرية ، ودفن بتربة المجاورين . (١)

سرى الدين الدرورى :

كان معاصرا للشيخ نور الدين الشبراملسى ، حيث كان يقدره حق قدره ، ويعترف له بصحة العلم وقوة الحافظة ، وكان سرى الدين فريد عصره فى العلوم النظرية ، اذا طالع الدرس لا يقدر عليه أحد فيه الا من قلة فى الإستحضار ، لم أقف له على ترجمة سوى ما ذكره المحبى عند ترجمته للشيخ نور الدين الشبراملسى حيث يقول (٢) : " وقال فيه العلامة سرى الدين الدرورى : لا يكلمه أحد إلا علاه فى كل فن . وكان يقول : ما فى الجامع إلا الأعمى ، ويشير إليه . وكان سرى الدين فريد عصره فى العلوم النظرية ، وسئل البشبيشى عن سرى الدين ومن المترجَم (٣) فقال : إن سرى الدين كان إذا طالع الدرس لا يقدر عليه أحد فيه وإذا نقل إلى غيره وقف يشير إلى قلة استحضاره ، أما الشبراملسى فكان إذا نقل إلى أى فن كان لا يختل ولا يتوقف لقوة فهمه وسرعة استحضاره . "

ويقول أستاذنا عبد السلام هارون إن سرى الدين الدرورى قد ترجم له جمال الدين محمد بن أبى بكر الشبلى فى كتابه " عقد الجواهر والدرر فى أعيان القرن الحادى عشر " ومن هذا الكتاب نسخة فى خزانة رامبور بالهند ". (٤)

---

(١) خلاصة الأثر ١ : ٤٥ ـ ٤٦
(٢) خلاصة الاثر ٣ : ١٧٥
(٣) أى الشبراملسى .
(٤) خزانة الادب ١ : ٥ ـ ٩ هامش ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط. الكتاب العربى .

تلاميذ البغـــدادى:

لم تذكر الكتب المتداولة بين أيدينا للبغدادى تلاميذا ، ولم تحو المصنفات الحالية ذكرا لأحد ممن أخذوا عنه مشافهة ، وربما كان مرجع ذلك إلى أن التأليـــف فى عصر البغدادى ــ المملوكى والتركى ــ كان قاصرا على تدوين الشروح والحواشـــى على مصنفات القدامى ومؤلفات السابقين ــ كما توهنا أنفا (١) : واستمر الحال علـــى ذلك حتى يومنا هذا دون إضافة جديد أو ابتداع حديث ، حتى كان آخر ما أُلـــف فى الطبقات والتراجم تقريبا هو طبقات النحويين واللغويين للزبيدى (٢) ، الـــذى ينتهى بترجمة شيخة محمد بن يحيى الرباحى المتوفى سنة (٣٥٨ ق) هجرية ، ولـــم يحاول أحد بعد ، أن يخرج للناس كتابا مثله يشفى الغليل أو يبل الصدى ، اللهـــم إلا ما جاء اقتفاء لأثره أو امتدادا له ككتاب خلاصة الأثر للمحبى ، ولذا كان مـــن الطبيعى ألا نعثر على ترجمة للبغدادى نفسه إلا فى خلاصة الأثر أو ما جاء منقـــولا منه أو محيلا عليه فى كثير من سيرته ، فكيف إذن والحال هذه بتلاميذ البغـــدادى الآخذين عنـــه .

وربما كان السبب فى عدم توصلنا الى معرفة تلاميذ البغدادى ، أنه كـــان دائم السفر والترحال . لا يكاد يستقر به المقام فى بلد حتى نراه آخذا أهبة السفـــر الى بلد آخر ، فمن بغداد الى دمشق الى القاهرة الى أدرنه ثم الى مصر ثانيـــة ثم الى أدرنة مرة أخرى ، ثم الى مصرة مصر ، والى بلاد الروم مرة ثالثة ، ثم الـــى مصر حيث وافته المنية : ومن ذلك نرى أنه كان قليل الحل كثير الترحال ، مما قـــد يكون قد تسبب فى عدم جلوسه للتدريس فى أى بلد من البلدان التى رحل بها حيـــث كان لا يكاد يستقر فى بلد حتى يفكر فى مغادرتها الى بلد آخر .

---

(١) راجع الحالة العلمية والفكرية فى كل من المصرين المملوكى والتركى من هذا البحث .

(٢) الذى ظهرت طبعته الاخيرة بتحقيق الاستاذ محمد أبو الفضل ابرهيم . دار المعارف

وربما كان هناك سبب ثالث لذلك ، وهو أنه لم يكن يعتزم الرحيل الى بلد إلا وتكون شهرته قد سبقته اليها ، فما تكاد قدماه تطآن أرض البلد حتى تكون دعوة رئيس القوم فى انتظاره ليتخذه سميرا وند يما ورفيق مجلس ، مثل ما حدث له مع الوالى العثمانى ابراهيم باشا كنخدا فى مصر حيث احتسبه لنفسه وأنزله المنزلة اللائقة به فرابة سبع سنوات وهى مدة ولايته على مصر ، بل ولم يشأ أن يفارقه بعد انتهاء ولايته وعودته الى بلاده حيث اصطحبه معه الى ديار الروم ، وكذا ما وقع له من حفاوة وتكريم على يد الوزير الأعظم أحمد باشا كبريللى فى الديار الرومية حيث أحله المحل الأرفع ، وجعله من خاصته وندمائه ، مما جعل البغدادى يؤلف حاشيته على قصيدة (بانت سعاد) ويجعلها باسمه علاوة على ما كان له من السلطان العثمانى محمد ابن السلطان ابراهيم بن أحمد خان الذى ما أن سمع بفضل البغدادى وأحس علمه واتقانه حتى قدره حق قدره وأحله محل الرفعة والسمو بين خاصته وجلسائه مما جعل البغدادى يتوج خزانته باسمه اعترافا بفضله وتقديرا لجميل صنعه — فربما كان ذلك مما جعل البغدادى يختص بمجالسة ومنادمة الخاصة وعليه القوم ، بعيدا عن عامتهم ودهمائهم ولذا لم تكن له حلقة علم ومجلس درس بينهم ، ولو شئنا أن نتخذ للبغدادى طلبة ممن أخذوا عنه ، لاتخذنا هؤلاء السادة الذين استخلصوه لانفسهم دون غيرهم من الناس وعلى رأسهم السلطان العثمانى .

وربما عرض لنا سبب رابع لعدم وجود تلاميذ حلقة للبغدادى ، وهو تأخر ظهور البغدادى كنحوى عن النحاة المتقدمين المبرزين الذين اكتظت بذكرهم المؤلفات والمصنفات حتى ليبدو أنها قد اكتفت بذلك عن بعدهم ، فلم نشأ أن نورد لهم ذكرا الا ما تدر ، وربما كان ذلك اشارة فى ثنايا حديث عن عالم مبرز أو نحوى علم ، حتى أننا نجد كتابا كتاب " نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوى

" على حداثته واتخاذه التأريخ لأشهر النحاة منهجا له كما يتضح من عنوانه ، نجده يغفل ذكر البغدادى على شهرته ، فلم يشأن أن يعده ضمن النحاة المشهورين ولم يورد له ذكرًا الا عندما تكلم عن ندرة ترجمة الرضى الاستراباذى فى كتب التراجم .(١)

على أنه لا يخفى أن التلمذه ليست مجرد الأخذ عن الأستاذ مباشرة أو التلقى عنه مشافهة فحسب ، بل قد تكون الأخذ عن كتب الاستاذ أو التزود مما ألفه وصنفه عن طريق وضع الشروح لها أو تناولها بالضبط والتحقيق أو المكوف على دراستها والاقتباس منها : وربما كان تلاميذ اليوم لا يعرفون أساتذتهم إلا من خلال كتبهم ومؤلفاتهم التى يتخذ منها مادة لدراستهم ، وآرائهم التى يتخذون منها مشاعل تضىء لهم طريق العلم والمعرفة .

واذا عرضنا صاحبنا عبد القادر البغدادى على هذا المنهج الأخير وجدنا له من التلاميذ الذين تتلمذوا على كتبه ومصنفاته ما يفوق أضعافا من تتلمذوا على غيره مشافهة وتلقيا مباشرا . ولو شئنا حصر تلاميذ البغدادى تبعا لذلك لضاق بنا المقام ، ولذا سوف نجتزىء بأمثلة من هؤلاء الذين أصبحوا الآن فى مجال العربية أعلاما يشار اليهم بالبنان ومن هؤلاء ..

المحبى :

هو المؤرخ المولى محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد بن محب الله بن أبى بكر ابن تقى الدين بن داود ، المعروف بالمحبى ، الحموى الأصل الدمشقى المنشأ ، المولود فى دمشق سنة (١٠٦١) هجرية والمتوفى سنة

---

(١) نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوى : ٢٤٤ ط المعارف

(١١١١) هجرية ، مؤلف كتاب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر والذي ضمنه تراجم ألف ومائتين وتسع وثمانين فاضلا وأميرا وعينا من مشهوري رجال القرن الحادي عشر الهجري ، وهو في أربع مجلدات طبع بالمطبعة الوهبية " بالقاهرة سنة (١٢٨٤ هـ) ، وكذا كتاب " في ما يصول عليه في المضاف والمضاف اليه " في النحو (١). وفدا لمحبي على البغدادي أثناء اقامته في أدرنه من بلاد الروم ، وكان لوالده صلة وثيقة به ، اذ يقول المحبي في ذلك (٢) : " فرحب بي وأقبل علي ، وكان إذ ذاك في غاية من إقبال الكبراء عليه " . فلا يبعد أن يكون المحبي قد أخذ عن البغدادي في هذه الوفادة وإن لم يصرح بذلك ، واذا لم يكن أخذ عنه مشافهة ، فقد أخذ عن مؤلفاته الكثير ، حيث ذكر ذلك بقوله (٣) : " وألف المؤلفات النافعة ، منها شرح شواهد شرح الكافية الوفى الاستراباذي في ثماني مجلدات ، جمع فيه علوم الأدب واللغة بأسرها الا القليل ، ملكته بالرم وانتفعت به ونقلت منه في مجاميع لي نفائس أبحاث يعز وجودها في غيره " .

أحمد تيمور باشا :

وهو ممن تتلمذوا على مؤلفات البغدادي وتصانيفه حيث أوقف قدرا من حياته لدراسة مؤلفات البغدادي إما بالشرح والتحقيق أو وضع الفهارس والاستشهاد والتعليق ، فقد عمل سبع فهارس فنية لحاشية البغدادي على شرح قصيدة " بانت سعاد " لابن هشام بخطه ، كما عمل أربع فهارس على شرح البغدادي لشواهد شرح التحفة الوردية في النحو بخطه ، وكذا كتابة نسخة من بحث البغدادي اللغوي المسمى " رسالة في صفي التلميذ " لنفسه بخطه سنة (١٣٢٢) هجرية (٤) .

---

(١) لهجات العرب لاحمد تيمور باشا : ٨٥
(٢) خلاصة الاثر ٢ : ٤٥٢
(٣) خلاصة الاثر ٢ : ٤٥٢
(٤) الخزانة ١ : ١٩ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

استشهد أحمد تيمور فى كتابه المسمى (لهجات العرب) بما أورده البغدادى فى خزانته وشرحه على الشافية ، وشرحه على التحفة الوردية ، فنجده فى كتـــاب (لهجات العرب) يحيل على ما ورد فى هذه المؤلفات الثلاث حتى بلغ مـــا أحاله على شرح شواهد الشافية فى سبع مواضع من كتابه ، وعلى الخزانة فى ثلاثـة عشر موضعا ، وفى التحفة الوردية شاهدا واحدا .

كما أضاف أحمد تيمور باشا بعض تحقيقات وتعليقات على الطبعة الناقصة لخزانة الأدب التى طبعت بالمطبعة السلفية بالقاهرة فى الفترة من ١٣٤٧ ـ ١٣٥١ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون وإشراف الاستاذ محب الدين الخطيب .

عبد السلام محمد هارون :

أستاذ ورئيس قسم الدراسات النحوية بكلية دار العلوم سابقا بالقاهـــرة ، وقد أخذ على عاتقه عبء إحياء تراث عبد القادر البغدادى ، فقام بتحقيق خزانـــة الأدب (الطبعة الناقصة التى صدرت منها أربعة أجزاء طبعة المطبعة السلفيـــة بالقاهرة فى الفترة (١٣٤٧ ـ ١٣٥١) بإشراف الاستاذ محب الدين الخطيب ، كما يقوم الآن بتحقيق طبعه جديدة للخزانة صدر منها أربعة أجـزاء عن دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة وقد سبق أن نشر ترجمة لعبد القادر البغـدادى فى مجلة الزهراء (١) التى كان يرأسها الاستاذ محب الدين الخطيب ، وكـــذا قام بنشر بحث لغوى لعبد القادر البغدادى باسم (بحث لغوى فى مغنى التلميذ) فى مجلة المقتطف . (٢)

---

(١) مجلة الزهراء جـ ٤ م ٥ : ٢٠٩ ـ ٢١٧ .
(٢) مجلة المقتطف : ٢٥٥ (مارس ١٩٤٥)

محمد محى الدين عبد الحميد :

ومن التلاميذ الذين عكفوا على تناول مؤلفات البغدادى الأستاذ محمد محى الدين عبد الحميد الأستاذ السابق بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر .

حيث أشرف على تحقيق شرح شواهد شرح الشافية للبغدادى الذى قام به كل من الأستاذين محمد نور الحسن الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر سابقا ، محمد الزفزاف الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة سابقا كما قام بتحقيق خزانة الأدب للبغدادى (طبعة ناقصة صدر منها جزءان عن المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٤٧ هجرية .

(الفصـــل الثانـــى)

أ ـ معلقات البغـدادى

ب ـ تعريف بمعلقات البغدادى

(أ) مؤلفات البغدادى

إن من يتصدى لمعرفة مؤلفات عبد القادر البغدادى وحصرها لا يجد مشقةً ، ولا يصادف عقبة تحول دون التعرف عليها والتوصل إليها نظرا لشهرتها وذيوع صيتها بين المؤلفات والمصنفات المعنية بالبحث فى لغة الضاد وعلومها ، ثم لا يلبث الباحث أن يجد بين يديه حشدا من المؤلفات والمصنفات معقولا يتفق ومكانة عالمنا عبد القادر البغدادى الذى وقف حياته منذ حداثة سِنّه على دراسة العربية وعلومها ، والتأليف فيها ، والتصنيف لها ، رغم ما كان يصادفه من عقبات ، وما يعترضه من ضيقات كانت كفيلة بأن تصرفه كلية عما هو آخذ فيه لولا قوة عزيمته وتصميمه الأكيد ، حتى لتراه وقد أصيبت عيناه برمد شديد كاد يذهب ببصرهما وهو آخذ فى إخراج أحد مصنفاته فيصر على إتمامه غير عابئ بنصائح الأطباء ، ولا ممتثل لتحذير المعالجين (١) حتى أقعد وقد كاد يكف بصره .

على أن المتصفح لمؤلفات البغدادى لا يلبث أن يجد معظمها معنى بشرح الشواهد العربية ، وكأنما أراد البغدادى أن يتخذ من ذلك سُلّما ومرتقىً يصل به إلى صاحب الشاهد وسيرته وما يتعلق بحياته من نوادر وملَح وطرائف مثلما فعل أبو الفرج الأصفهانى عند تأليف كتابه " الأغانى " الذى يعتبر أول تاريخ قومى للعرب ، علاوة على أن بعض هذه المؤلفات تعريب لمؤلفات ليست عربية أو حواشٍ على شروح المتقدمين

---

(١) حدث ذلك عندما وصل إلى شرح الشاهد الثالث والأربعين بعد الستمائة من كتاب مغنى اللبيب لابن هشام ، وسوف يأتى ذلك عند الكلام عن مغنى اللبيب .

من أفاضل العلماء ، حيث كان هذا هو نمط التأليف والتصنيف فـــــى تلك الحقبة التى نشأ البغدادى بين ظهرانيها والتى اصطلت فيها الأمـــة العربية بنيران الصراع الصفوى التركى والتى وقعت فيها البلاد فريســـة سهلة بين براثن السلطتين المملوكية والعثمانية ، حتى أصبحت هذه الحقبه خلواً من "المجددين المبدعين ، اللهم إلا النذر اليسير ممن كانـــت نشأتهم سابقة على هذه الفترة وظهر إنتاجهم إبّانها ، وفيهم يقول المؤرخ المصرى عبد الرحمن الرافعى (١) : "..... من أجل ذلك قلّما نبـــغ بعد عهد الفتح التركى شاعر أو عالم أو أديب ، ولا تكاد تمُدّ فـــى هذا العصر سوى شهاب الدين الخفاجى (٢) والزبيدى صاحب تـــاج العروس ، والصبان (٣) ، والجبرتى (٤) ".

ونظرا لما تنكبه البغدادى من صعاب ومشاق فى سبيل إخـــراج مؤلفاته دون أن تحول دون إتمامه لما أخذ نفسه به ، فقد رحل عالمنـــا عن الدنيا ولحق بالرفيق الأعلى بعد أن أضاف إلى المكتبة العربية مـــن التأليف والتصانيف ما يعتبر مشاعل على طريق العربية يهتدى بها الباحث فى خبايا اللغة ومنعطفاتها ، ويستضىء بها السالك فى مجاهل النحـــو ومخبآته ، ويستعين بها الدارس على فهم معضلات الألفاظ ومشتقاتهـــا ، ويسترشد بها المُهتمّ بتصريف القواعد وتخريجاتها ، حتى أصبحت لكـــل هؤلاء غناء أىّ غناء عن غيرها من المؤلفات والمصنفات ، وإن شئت فقـــل : " مؤلفات البغدادى لما أخذت له ".

---

(١) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ١ : ٤٦ ــ ٤٧ .
(٢) الخفاجى من أساتذة عبد القادر البغدادى .
(٣) صاحب حاشية الصبان فى النحو .
(٤) الجبرتى المؤرخ صاحب " عجائب الآثار فى التراجم والأخبار " .

والآن نسوق ثبتًا بهذه المؤلفات التى حظيت بها المكتبة العربية وازدانت باحتضانها ، ثم نعرفها بتعريف لكل مؤلف على حده :

١ ـ خزانة الأدب (شرح شواهد الكافية)
٢ ـ شرح شواهد الشافية .
٣ ـ شرح شواهد المغنى .
٤ ـ شرح شواهد التحفة الوردية .
٥ ـ تعريب التحفة الشاهدية .
٦ ـ حاشية على شرح قصيدة " بانت سعاد " لابن هشام .
٧ ـ لفت شاهنامة (شاهنامة الفردوس)
٨ ـ شرح مقصورة ابن دريد .
٩ ـ رسالة فى معنى التلميذ .
١٠ ـ مختصر تمام المتون إلى شرح رسالة ابن زيدون .
١١ ـ كتاب فى التراجم بدون عنوان .

(ب) تعريف بمؤلفات البغدادى

نسوق الآن تعريفا لكل مؤلف من مؤلفات عبد القادر البغدادى يلقى بعض الضوء عن ماهيته ومحتواه ويكشف النقاب عن أهم ما يمتاز به بين مؤلفات العربية ومصنفاتها ، ولنبدأ بالتعريف بكتابة " خزانة الأدب " حيث به خُلِّد اسم البغدادى ، وحُمِل على جناح الشهرة إلى شتى الأمصار يانعة ، فكان جديرًا بأن يحتل مكان الصدارة بين أقرانه .

١ — خزانة الأدب :

شرح لشواهد شرح الرضى الاستراباذى على الكافية ، وقد وسمه البغدادى بخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، والكافية أحد كتابين للعلامة ابن الحاجب (١) ، أفرده بعلم النحو ، وخص الثانى بعلم الصرف وأطلق عليه اسم " الشافية " ، وقد قام الرضى الاستراباذى (٢) بشرح كل من الكافية والشافية شرحا مسهبا محققا مدعما بالشواهد المثبته لما احتواه من القواعد النحوية والصرفية ، بحيث جاء الشرحان يوفيان بالغرض المقصود منهما ، ويقول أستاذنا المحقق عبد السلام هارون عن كتابى ابن الحاجب : " ويُعَد هذان الكتابان — أعنى الكافية والشافية — النبع الذى استقى منه ابن مالك سر تسميته لمنظومته الكافية والشافية التى جمع فيها بين علمى النحو والصرف ، وكانت هى الأصل الذى أختزل منه

---

(١) هو أبو عمرو عثمان جمال الدين بن عمرو بن أبى بكر بن يونس الكردى الأصل المشهور بابن الحاجب ، وقد اشتهر بذلك لأن أباه كان حاجبا للأمير عز الدين موسك الصلاحى بالقاهرة ولد فى إسنا سنة ٥٧٠ هـ وتوفى بالاسكندرية سنة ٦٤٦هـ (نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوى ص ٢١٧ دار المعارف ط ٥٠ ومعجم شواهد العربية للاستاذ عبد السلام هارون ص ٥٩)

(٢) هو محمد بن الحسن الاستراباذى ، وقد زاد الشريف الجرجانى اسم " الرضى " بعد الحسن وذلك فى إجازته لمن قرأ عليه شرح الكافية الخزانة ١ : ٢٩ الكاتب العربى تحقيق عبد السلام هارون .

الخلاصة المسماه بالألفية ". (١)

وقد بدأ البغدادى شرحه لشواهد شرح الكافية (خزانة الأدب) بمقدمة ضمنها ترجمة للعلامة الرضى الذى قـــام على شرح الكافيـة الذى خرجت الخزانة شرحًا لشواهده : ويعتبر هذه أول ترجمة وافيـــة للرضى لم يُسبَق إليها ، فقد جَلَت عنه ما اكتنفه من غموض وما شاع حولـــه من ضباب قصرت كل محاولة سابقة على البغدادى فى تجليته وكشف أستاره ، وإن لم تف أيضا بحق الرضى ومكانته بين علماء العربية ونوابغها ، فقـــد كان حجة عصره دون منازع ، وفيه يقول الشيخ محمد الطنطاوى : " وأعجب العجب أن هذا الإمام التعلامة يفوت على أصحاب المعجمات الإفاضـــة فى ترجمته ، فلم نَدْرِ متى وأين ولد ونشأ ، وأين كانت مراحل حياته ؟ وكم مؤلفاته ؟ وفيم كانت ؟ ومتى وأين كانت وفاته على التحقيق ؟ ومَن تلقـــى عنهم ؟ ومَن تخرج على يديه ؟ ومما يزيد الأسف عدم معرفتهم اسمـــه ، فإن السيوطى وهو من متأخرى أصحاب المعجمات المصنفين بالتراجـــم اضطر الى ذكره فى بغية الوعاة فى " حرف الراء " اكتفاء بشهرة لفـــظ " الرضى " ، وقال فى ترجمته : " ولم أقف على اسمه ولا على شىء مـــن ترجمته ... أما بعد فإن المحقق البغدادى فى مقدمة " خزانة الأدب " قد جمع نُتَفاً متفرقة فيها إلمام إجمالى بترجمة الرضى ، والتنويه بشرحـــه للكافية ... " (٢)

كما ضمن البغدادى مقدمته للخزانة ثبتا مطولا للمراجع الـــتى اعتمد عليها فى اخراج خزانته مصنفا لتلك المراجع تصنيفا فنيا دقيقـــا ،

---

(١) الخزانة ١ : ٢٠ الكاتب العربى تحقيق عبد السلام هارون .
(٢) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ص ٢٤٤ ــ ٢٤٥ دار المعارف ط ٥

فمنها ما يوجع إلى علم النحو ، وما ينتمى إلى شروح الشواهد ، وما يندرج تحت دفاتر وأشعار العرب ، ومنها ما يوجع إلى فن الأدب أو إلى طبقات الشعراء وغيرهم ، أو إلى كتب اللغة أو يتعلق بأغلاط النحويين ومنها كتب الأمثال وكتب الأماكن والبلدان ، مما قد يمد بالمئات ويدل على ما لدى عالمنا البغدادى من سعة إطلاع وسرعة تحصيل ، بل ويقوم شاهدَ صِدقٍ على أن ما يحويه الخزانة بينه فقيه هو خلاصة كل ما أثبته العلماء المتقدمون فى هذه الموارد وما جادت به قرائحهم من شارد ونادر حتى خرج كتابه — الخزانة — كأكبر موسوعة فى علوم العربية وفنونها ، وممن لا يغضب يَرِدُه الباحث والدارس ، والمحقق والمدقق ، والشارح والمعلق ، فيجد كل فيه بغيته ، ويصادف فيه طِلْبَتَهُ .

وقد حوى كتاب الخزانة تسعمائه وسبعة وخمسين شاهدا قد يكرر الواحد منها فى مواضع مختلفة من الشرح ، فاذا تكرر الشاهد نبه البغدادى على ذلك ولم يدخله فى نطاق العدد (١) . هذا وقد وقع السهو من عبد القادر فى غير موضع من الكتاب بالنسبة لتعداد الشواهد وهو ما يقع من مهرة المصنفين وحُذّاق المؤلفين — قديما وحديثا — وقد نبّهت على ذلك فى الفصل الثانى من الباب الثانى من هذا البحث عند الحديث عن شواهد الخزانة .

وعلى الرغم من أن كتاب الخزانة قد يتبادر الى الذهن أنه مصنف فى علم النحو فحسب — كما أراد له مؤلفه — إلا أن المتصفح له المستقرئ لما حواه من الشروح يقف على أنه قد شمل كل شارد ووارد من علوم

---

(١) راجع الخزانة ١ : ٢٠ (الكاتب العربى) تحقيق عبد السلام هارون .

العربية وفنونها ، فقد حوى الكثير الوافر من علوم الصرف ، والبلاغة ، والعروض والقافية ، والقراءات وتخريجاتها ، كما حوى الجم الغفير من التراجم والاخبار ، والأماكن والبلدان ، وأقوال العرب وأمثالهم ، وعادات الأولين وضروب معيشتهم ، حتى خرج الكتاب بحق موسوعة عربية شاملة لكل مظاهر الحياة العربية مصوّرة لكل جوانبها الاجتماعية والأدبية والعلمية ، كما جاء أول كتاب يخلد اسم صاحبه على مر العصور وتوالي الدّهور ، حتى قال فيه أستاذنا المحقق المدقق عبد السلام هارون : " هو الكتاب الذي خلّد اسم البغدادي ، ويعد أعلى موسوعة في علوم العربية وآدابها ". (١)

ولا يفوتنا — ونحن بصدد الحديث عن خزانة الأدب — التنويه بما تضمنه والإشارة إلى ما حواه من تراجم لعلماء العرب وأدبائهم وسادتهم ، فما يكاد البغدادي ينفض يده من شرح الشاهد وإثبات كل ما دار حوله من أقوال ، وما أُبدِيَ بشأنه من آراء ، حتى يختم كل ذلك بترجمة مستفيضة وافية يتناول فيها نشأة قائل الشاهد وحياته وكل ما يتعلق به من أخبار وطُرَف ونوادر تُلقِي الضوء على ما يحيط به من عوامل بيئية أو نوازع نفسية حتى لا يشعر القارئ للشاهد أو الباحث فيه أنه آتٍ من فراغ ، وإنما جاء نتيجة لتأثر الشاعر بما يشيع حوله من عادات وتقاليد بيئته ، وما يتعرض له من أحداث قد يشارك فيها إما بشخصه أو بإنتاجه الأدبي ، وكلا الأمرين لا يقل أحدهما شأنا عن الآخر ، ولم يفتأ البغدادي يلتزم هذا النهج الذي أخذ نفسه به في دقة وتناهية وتمحيص متقن ، معتمدا في ذلك على أوثق المصادر وأصح المراجع وأصدق الروايات ، حتى خرجت خزانته للباحثين والدارسين

---

(١) راجع الخزانة ١ : ١٩ (الكاتب العربي) تحقيق عبد السلام هارون .

والمحققين والمدققين تضارع أكبر المؤلفات التى صنفت فى التراجم والسِّيَر ، وأشهر المصنفات التى تفرّدت بتناول هذا الفن : على أننا قد نجد البغدادى ينهى الكلام عن أحد الشواهد دون ترجمة لقائله ، ولكن لا يتركه هكذا خلوا من إشارة إلى مكانٍ سابق قد أثبت فيه ترجمة لذلك القائل ، أو التنويه بأنه لم يصرفه ، أو أنه رأى إرجاءه إلى موضع آخر خشية الإطالة والاستطراد مما قد يبعث السأم والضجر فى نفس الدارس أو الباحث .

ومن أجود ما سطره البغدادى فى خزانته ما أثبته فى مجال المعارف العامة التى قد لا تكون لها صلة مباشرة بالشاهد ، وانما قد تلقى الضوء على مظاهر الحياة العربية وأوجه النشاط فيها ، مما قد نجد العديد من المؤلفين المبرزين يأخذون وجها منها ويجعلونه موضوعا لمؤلَّف أو مصنَّف بذاته يفردونه له قافسين بذلك ، على حين يحشدها البغدادى جميعها حشدًا فى خزانته ، وأصدق مثال على ذلك حديثة عن أسواق العرب (١) حيث بسط القول فى كل من عُكاظ ومِجنَّة ، ذى المَجاز ، حُباشة ، موضحا معناها وموعد قيامها وانتهائها ومكانها ، وما كان يدور فيها ، فيروى لنا ما قاله الفاكهى (٢) " ولم تزل هذه الأسواق قائمة فى الاسلام إلى أن كان أول ما ترك منها سوق عكاظ فى زمن الخوارج سنة تسع وعشرين ومائه وآخر ما ترك منها سوق حُباشة فى زمن داود بن عيسى بن موسى العباسى سنة سبع وتسعين ومائه . إلى أن يسرد علينا ما رواه الزبير بن بكار فى كتابه (النسب) (٣) من أن أسواق العرب كثيرة منها " ذو الخيول " التى كانت تقام غرة ربيع الأول إلى

---

(١) الخزانة ج ١ : ٢٧٤ وما بعدها (ط بولاق)
(٢) المصدر السابق
(٣) المصدر السابق

النصف منه ، وكانت المبايعة فيه بإلقاء الحجارة على السلعة ، فمن أعجبته ألقى حجرا عليها فتركت له ، و " المُشَفّر " وتقام غرة جمادى الآخرة ، وكان البيع فيها بالملامسة والإيماء والمهمهة خوف الحلف الكذب ، ثم " صُمار " وتقام لعشر يمضين من رجب لمدة خمسة أيام ، ثم " الشّجْر " وتقام فى النصف من شعبان ، وكان بيعهم فيه بالحجارة أيضا ، ثم " صنعاء " وتقوم فى النصف من رمضان إلى آخره ، ثم سوق " حضرموت " وتقوم فى النصف من ذى القعدة ثم يقام " عكاظ " فى هذا اليوم الى آخر ذى القعدة ، فإذا أهل ذو الحجة أتوا " ذا المجاز " فتقام سوقه إلى التروية ثم يصيرون إلى منى ، وتقام سوق " نَكَاة " بخيبر ، وسوق " حجر " يوم عاشوراء إلى آخر المحرم(١).

وقد ذكر ابن الكلبى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يغشى هذه الأسواق ليدعو الناس الى الاسلام ويبلغهم رسالة ربه ، فيروى حديث ابن عباس رضى الله عنهما الذى يقول فيه : " انطلق النبى صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق " عكاظ " ، كما يروى ابن حجر فى شرح البخارى حديث جابر القائل : " ان النبى صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم فى الموسم بمجنة وعكاظ يبلغ رسالات ربه ".(٢)

هذا الى غير ذلك مما ورد بخزانة الأدب من المعارف العامة والمدارك النافعة مثل الحديث عن الاماكن والديار ، وأيام العرب وحروبهم ، وعمن سموا باسم " محمد " فى الجاهلية ، مما يمد مؤلفه الخزانة مرجعا هاما يغنى الباحث والدارس عن سواه من مطولات الكتب

---

(١) الخزانة ١ : ٢٧٤ وما بعدها (ط بولاق)
(٢) المصدر السابق

وغوامض المصنفات ويهد به الى بغيته من أقرب الطرق وأيسر السبـــل دون ضياع وقت أو بذل مجهود لا طائل من ورائه .

وعن الخزانة يقول أستاذنا عبد السلام هارون ـ وهو الـــذى ارتبطت باسمه جُلّ مؤلفات البغدادى إن لم تكن كلها ولا سيما خزانـــة الأدب الذى قام على تحقيقه وشرحه غير مرة ـ : " وهو أهم كتب الشواهـد بعد كتاب سيبويه ، وذلك للجهد الصادق المحقق الذى بذلـــه البغدادى فى دراسة تلك الشواهد وتمحيصها ، وهو جهد مثالى لـــم نَرَ أحدا فى القديم ولا فى الحديث صنع مثله تحقيقا وتدقيقا وسعة اطـلاع على الكتب النادرة التى ضاع بعضها من التاريخ أو ضاعت بعد وفاتـــه هو ، ولكنه حفظ لنا نصوصا عزيزة منها فى أثناء الخزانة ".(١)

وقد ألف عبد القادر خزانته وجعلها باسم السلطان محمد خان ابن السلطان ابراهيم خان من آل عثمان اعترافا منه بحفاوته به وحســـن صنيعه معه ، وهذا ما أورده البغدادى فى خطبة المقدمة للخزانة . وسوف نفرد لخزانة الأدب فصلا برمته حتى توفيه حقه من البحث والدرس نظـرا لأهميته بين المصنفات العربية ، ومكانته بين المؤلفات التى اهتمت باللغة العربية وعلومها .

٢ ـ شرح شواهد الشافية :

" الشافية " هو المصنف الثانى لابن الحاجب بعد الكافيـــة ، وقد أفرد بعلم الصرف كما قصر الكافية على علم النحو ـ مثلما نوهنا آنفا ـ

---

(١) معجم شواهد العربية ص ٩ ، ١٠

وقد قام الرضى والجاربردى بشرحها شرحا وافيا جامعا شاملا • ووصفا لها من الشواهد ما دللوا بها على صحة ما حواه من قواعد صرفية ، وأثبتوا به نظريات لغوية ، ثم جاء بعدهم عبد القادر البغدادى فقام على شرح تلك الشواهد شرحا سهلا ميسورا يفى بالغرض المنشود ، متبعا فى ذلك نفس النهج الذى انتهجه فى شرحه للكافيه ، وأولاه من الدقة والعناية ما لا يقل شأنا عما بذله فى شقيقه ـ الخزانة ـ ، ولا غرو فالصلة بين الكتابين وطيدة والعلاقة بينهما وشيجه ، حتى أننا نجد البغدادى فى غير موضع من شرحه للشافية يحيل الى ما سبق إثباته فى شرحه للكافية حتى بلغ ما أحاله الى ما جاء بالخزانة من ترجمات الأعلام والشعراء أربعا وثلاثين ترجمة ، حيث كان عبد القادر يأتى الى ترجمة قائل الشاهد فيجد أنه قد سبق إثبات ترجمة له بالخزانة ، فيحيل إلى تلك الترجمة فى موضعها ذاكرا رقم الشاهد والصفحة ، مجتزئا بذلك عن إثبات الترجمة مرة ثانية •

وقد بلغ من دقة البغدادى فى تصنيف شرحه للشافية أنه بعد أن أشار الى الترجمات السابق إثباتها فى مواضعها ، قد أكد ذلك بثبت مستقل لهذه الترجمات صدّر به شرحه هذا للشافية الذى فاق ما عداه تدقيقا وتحقيقا جعلا منه موردا سهلا ينهل منه الباحثون والدارسون فيجدون فيه ما يغنيهم عن طول بحث وتنقيب فى مطولات الصرف ومصنفاته •

ويوجد من شرح البغدادى لشواهد شرح الشافية نسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية : الأولى تحت رقم (٤ صرف ش) ، والثانية تحت رقم ٢٨٥١ صرف) ، كما يوجد منه الجزء الأول من نسخة مطبوعة من تحقيق وضبط وشرح الأستاذين محمد نور الحسن الأستاذ بجامعة الازهر سابقا ، ومحمد الزفزاف الأستاذ بكلية دار العلوم سابقا وإشراف الأستاذ محمد محى الدين عبد الحميد ، وهى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت

رقم (٥١٢١ هـ) ، ولعله لم يصدر من هذه الطبعة سوى هـــــذا الجزء حيث يمد يذل الجهود المضنية لم أهتدِ الى سواه .

٣ـ شرح شواهد المغنى :

وهو من أبرز كتب الشواهد التى صُنّفت فى العربية وعلومهـــــا ، صنفة ابن هشام الأنصارى (١) ، وسماه " مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب " وقد ألفه لد واقع ثلاثة أوضحها فى مقدمة الكتاب وهى : كثرة التكرار الـــتى تكتنف كتب المر - على اختلاف اتجاهاتها ، وإيراد ما لا يتعلق بالإعراب كالكلام فى اشتقاق اسم وغيره ، وإعراب الواضحات كالمبتدأ والخبر أوالفاعل ونائبه والجار والمجرور والعاطف والمعطوف .

ويستوعب مغنى اللبيب تسعمائه وخمسين شاهدا (٢) ، قام البغدادى بشرحها شرحا دقيقا مستفيضا فى مؤلف أسماه (شرح شواهد المغنى) انتهى من تأليفه فى وقت العصر السادس من شهر رجب سنة سبع وثمانيـــن بعد الألف الهجرى ـ كما هو مدون بالخطبة الخاتمة للشرح .

ونظرا لشهرة الكتاب بين كتب شواهد العربية ، فقد شهد العلماء بمكانته وعلو شأنه بين كتب النحو واللغة ، اذ يقول فيه أستاذنا عبـــــد السلام هارون : " وهو كتاب فَذّ ومعجم من المعاجم النحوية " (٣) ، ولا عجب أن رأينا العديد من المحققين والمدققين يبادرون إلى شرح شواهـــــده ، ويتصدون لإجلاء الآراء النحوية القيّمة التى اشتمل عليها ، وإيضاح ما قـــد يشق على الباحث أو الدارس التوصل إلى كنهه واستنباط المراد منـــــه ،

---

(١) هو جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصارى .
(٢) معجم شواهد العربية للاستاذ عبد السلام هارون ص ١٠
(٣) معجم شواهد العربية للأستاذ عبد السلام هارون ص ١٠

فنجد العلامة جلال الدين السيوطى — وهو ما هو بين العلماء المحققين المدققين فى مجال العربية وعلومها — يخرج له شرحا عن المكتبة الوهبية سنة ١٣٢٢ هـ ، كما نجد نسخة أخرى من المغنى تخرج من مطبعة الترقى سنة ١٣٨٧ هـ من تحقيق الأستاذ محمد محى الدين عبد الحميد الأستاذ بجامعة الازهر سابقا ، ثم توافينا طبعة حديثة من شرح العلامة السيوطى لشواهد المغنى بتحقيق أحمد ظافر كوجان سنة ١٩٦٦ م .

ويوجد من شرح شواهد المغنى للبغدادى نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢ نحو ش) وتقع فى مجلدين أولهما فى خمسمائه واحدى وأربعين ورقة ، وثانيهما فى خمسمائه وستين ورقه ، كما توجد نسخة أخرى بمكتبة أيا صوفيا بالقسطنطينية تحت رقم (٤٤٨٩) وتقع فى مجلد واحد (١).

٤ — شرح شواهد شرح التحفة الوردية :

والتحفة الوردية هى مقدمة فى النحو اختصر فيها ابن الوردى (٢) ما نظمه الحادى الصغير فى البهجة من نحو خمسة آلاف بيت . وقام بشرحها واستشهد لبعض الأحكام فيها بأبيات يعتمد ركها على الأفهام لما فيها من ألفاظ عربية ونكات عربية أدبية وهى من أشعار العرب القديمة لا تدرك إلا بفضيلة تامة وطبيعة مستمذبه ، فقام عبد القادر البغدادى بشرحها شرحا ميسرا ، وسيطا غير طويل فيمل ، ولا قصير ليخل .

---

(١) مجلة الزهراء م ٥ ج ٤ ص ٢٠٩ — ٢١٧

(٢) هو عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس بن على الامام العلامة الأديب المؤرخ زين الدين أبو حفص عمر الشهرى المعرى ثم الحلبى الشهير بابن الوردى . (عن طبقات الشافعية لابن شهبه)

ويقع شرح البغدادى لشواهد شرح التحفة الوردية فى مجلد من (٢٨٠ ورقة) وهو مخفوظ بالخزانة التيمورية تحت رقم (٢٧٣ نحو تيمور) وهو مخطوط ، كما توجد نسخة مخطوطة أيضا بدار الكتب المصرية تقع فى (١٨٧) صفحة تحت رقم (٣ حرف ش) ملحقة بشرح شواهد الشافية .

كما توجد نسختان أخريان بدار الكتب المصرية تحت رقمى (١١١٣ نحو) ، (١١٤٣ نحو) . وتحوى التحفة الوردية (٢١٢ شاهدا)

٥ — تعريب تحفة الشاهدى :

التحفة الشاهدية نظمها الأديب التركى المعروف بالشاهدى (١) ترجمة للتحفة الحمامية الفارسية إلى اللغة التركية ، ثم قام عبد القادر البغدادى بنقلها الى العربية شارحا ألفاظها شرحا حل به مشكلها وأزال معضلها .

وقد نظم الشاهدى تحفته على نظام المثنوى كما هو الحال فى التحفة الحمامية ، وقد انتهج فى ذلك نهجا موفقا حيث كان يأتى بالقطعة من النظم الفارسى ثم يقابلها باللغة التركية ، فإذا أتى إلى نهايتها أثبت التفاعيل التى تدل على البحر الذى صيغت على وزنه ، ثم يختمها ببيت مُصَرَّع على أن يكون المصراع الأول فارسيا والمصراع الثانى تركيا على نفس الوزن والتفصيلة ليكون التركى مقابلا للفارسى سواء بسواء .

---

(١) هو الأديب التركى ابراهيم دده المعروف بالشاهدى من بلد قسطمونية اشتغل بالعلم ثم مال الى التصوف واتبع الطريقة المولوية فى قونية . توفى سنة ٩٢٧ على ما ذكره شمس الدين سامى بك فى قاموس الأعلام والمعلم ناجى فى كتابه (أسامى) وجاء فى السجل العثمانى أن وفاته سنة ٩٥٧ — مجلة الزهراء م ٥ ج ٤ ص ٢٠٩ — ٢١٧ .

ويوجد من تعريب البغدادى التحفة الشاهدى نسخة مخطوطه بدار الكتب المصرية تحت رقم (٨٨ لغات) وتقع فى اثنتين وستين ورقة من القطع الصغير ، كما توجد فيها نسختان بالخزانة التيمورية إحداهما تحت رقم (٥ لغات تيمور) .

٦ — حاشية على شرح قصيدة " بانت سعاد "

وهى تلك الحاشية الجيدة التى كتبها عبد القادر البغدادى على شرح قصيدة بانت سعاد التى ألفها كعب بن زهير بن أبى سلمى فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وقام بشرحها ابن هشام الانصارى ، وقد ضمن البغدادى تلك الحاشية تحقيقات نادرة ، وأكثر فيها من المسائل النحوية ، وناقش الشارح فى عدة مواضع ورد عليه ، كما شرح شواهده وهى زهاء أربعمائه بيت وترجم قائليها ، إلا أنه اختصر فى كثير من التراجم ، وأحال فيها على ما أثبته من تراجم فى كتابه " خزانة الادب " .

وقد ألفها البغدادى بعد أن قرأ ذلك الشرح بمصر سنة ١٠٨١ وجعلها برسم الوزير الأعظم ابن الوزير الأعظم أحمد بن محمد وزير السلطان محمد بن ابراهيم العثمانى (الكويريللى) ، وكان تمامها فى ضحوة يوم الإثنين التاسع والعشرين من جمادى الآخره سنة ألف واثنتين وثمانية هجرية . (١)

وعند وفاة البغدادى على دمشق أهدى حاشيته هذه على شرح قصيدة " بانت سعاد " لابن هشام الى السيد محمد بن كمال الدين بن حمزه الحسينى نقيب السادة الطالبية الذى قرظها بقصيدة بديعة نجد

---

(١) هكذا ذكر البغدادى فى خطبة ختام الحاشية .

لزاما علينا إثباتها ونحن بصدد الحديث عن مكانة البغدادى ورسوخ قدمه بين أهل العلم وأرباب الفضل حيث يقول : (١) - ولما قدمت فى هذه الوفادة دمشق الشام فى سابع ذى القعدة من سنة أربع وثمانين وألف سمع بهذه الحاشية السيد الشهم والنبيل الفخم من طاب أصله وزكى ميلاده وأقر بفضله فى جميع العلوم حسادة السيد محمد بن كمال الدين بن حمزه الحسينى نقيب السادة الطالبية بدمشق المحمية ، استعارها منى ، فبعد أن تأملها ودقق نظره فيها قرّظها بهذه القصيدة والقافية البديعة الفريدة التى تدخل الأُذُن بلا إذن وتستقر بمجامع القلوب لا فى الدفاتر والجيوب ، وكتبها على ظهر الأصل بخطه الشريف وملأها بذكر هذا العبد الضعيف وهى :

هَذِى فرَائِدُ كالفرائِد ... زادَت بهىً يِحُلىَ القلائِد
طالَعتُها فظَفِرْت بالـ ... فضْلِ المُزَيَّدِ بالشواهِد
مِن كلِّ تحريرٍ لبحْـ ... ـثٍ فيه أقْحَمَ كلَّ جاحِد
ومَتِين تقرِير لِمَا ... بَهَرَ العُقولَ مِن الفوائِد
وبَدِيع تَمْهِيد وتسْـ ... ـدِيدِ تقيِيد الشَوارِد
وجَمِيل تَذلِيل وتَذْ ... ـيِيلٍ لتسْهِيل المَقاصِد
وأزاهِر نُسِقَت وقَد ... نُسِبَت على عِقْدِ الفَرائِد
فَهِىَ المُشِيرَة باليَدِ الـ ... ـعُليا على أقوَى القَواعِد
لا غَرْوَ أن تاهَتْ بِهِ ... شَرَفاً وجَرَّتْ رِدْنَ مائِد
فهُو الفَرِيدُ الفَضْلَ تِرْ ... بُ المَكْرُمَاتِ أبو المَحامِد
مُبْدِى السَّوانِح مَنْ قَرا ... ئِحه جَلِيَّاتُ الشَواهِد

---

(١) حاشية البغدادى على شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام — المقدمة للنسخة التيمورية .

ومُعِيدُ آثَـــارِ الأوَا ... ئِلِ مِنْ أوَالِيةِ التَّلاَمِـــــد
هُوَ ذاكَ عبدُ القادِرِ الـ ... رَّاقِي إلىٰ أعلىٰ المصَاعِـــد
صدرُ الأفاضِلِ مُنْتَهَـى ... شَرَفِ المحَافِلِ والمحَـامِـد
وَهَّاجُ قَدْحِ الزَّنْدِ عنـ ... ـدَ التَّقْدِ وَضَّاحُ الفَرَاقِـــد
لا زالَ محْمُودَ المَـآ ... ئِرِ آمِنًا مِنْ كلِّ حاسِـــد

وتوجد من هذه الحاشية نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٧٤٦ شعر تيمور) ، وتقع فى مجلدين كبيرين : الأول فى ستمائه وسبع وستين صفحة ، والثانى فى سبعمائة واحدى وخمسين صفحة .

٧ — لغت شاهنامـــة :

الشاهنامة هى شهنامة الفردوس (١) ، وهى الكتاب الذى خلد اسم صاحبه ، وبه جرت أشعاره على ألسنة العامة والخاصة ، وهى ملحمة فارسية تقع فى نحو ستين ألف بيت من الشعر الفارسى ، نظمت على نظام المثنوى من بحر المتقارب وهو أحسن الأوزان وأنسبها فى شعر الملاحم والقصص فى اللغة الفارسية ، وهى تحكى تاريخ الأمة الفارسية منذ فجر التاريخ حتى الدولة السامانية التى حكمت بعد الإسلام .

وقد ألف البغدادى عليها شرحا باللغة التركية ضمنه إيضاحا لغريب الألفاظ الفارسية التى وقعت فيها وذلك سنة ١٠٦٧ هـ . ونشره كيرولس زالمان فى مدينة بطرسبرج سنة ١٨٩٥ م عن نسخة كتبت بمدينة أدرنة سنة ١٠٨٢ هـ فى حياة البغدادى . (٢)

---

(١) الفردوس : هو أبو القاسم الفردوسى ولد سنة ٣٢٩ هـ فى قرية (باز) من نواحى طبران حوالى طوس ، وتوفى سنة ٤١١ أو سنة ٤١٦ على خلاف .

(٢) مجلة الزهراء م ٥ ج ٤ ص ٢٠٩ — ٢١٧ .

٨ — شرح مقصورة ابن دريد :

المقصورة قصيدة طويلة عدتها مائتان وستة وثلاثون بيتا ، نظمها ابن دريد (١) في مدح الشاه وأخيه ابى العباس اسماعيل ابنى ميكال عندما صحبها الى فارس ، وكانا يومئذ على عمالتها (٢) ، ويقول عنها البغدادى " لها شروح كثيرة لا تحصى ، وأحسن شروحها شرح العلامة الأديب أبى على محمد بن أحمد بن هشام بن ابراهيم اللخمى ". (٣)

وقد اشتملت المقصورة على نحو الثلث من المقصور ، وفيها كل مثل سائر ، وخبر نادر ، مع سلاسة ألفاظ ، ورشاقة أسلوب ، والسجام متّانٍ يأخذ بمجامع القلوب . (٤)

٩ — رسالة فى معنى التلميذ :

وهو بحث لغوى فى بيان معنى كلمة " تلميذ " ومادتها وأصولها ، قام به البغدادى لمّا رأى خلو كتب اللغة المتداولة منها ، وعدم تعرض القائمين على اللغة ، المعنيين باشتقاقها وتوليدها لهذه الكلمة ، وهو بحث جيد أضاف به البغدادى الى العربية فضلا جديدا يضم الى سائر ما قدمه اليها من أيادٍ بيضاء ناصعة .

ويوجد من هذه الرسالة ثلاث نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية بالأرقام : (٦ مجاميع ش) ، (١٨١ مجاميع) ، (١٢٢ مجاميع)

(١) هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، وينتهى نسبه الى الأزد بن الغوث ومنه إلى قحطان وهو أبو قبائل اليمن . ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ ولازم ابن ميكال حتى عزلها فاتصل بالخليفة المقتدر العباسى فأجرى عليه كل شهر خمسين دينارا الى حين وفاته . توفي يوم الأربعاء الثامن عشر من شعبان سنة ٣٢١ هـ ببغداد (الشاهد الأخير من شرح شواهد الشافية "مخطوط").

(٢) الخزانة : الشاهد (١٧٨) ١ : ٤٩٠ وما بعدها بولاق.

(٣) الخزانة : ١ : ٤٩٠ بولاق. (٤) الخزانة ١ : ٤٩٠ بولاق.

كما توجد نسخة بالخزانة التيمورية بخط العلامة أحمد تيمور باشا ، كتبها لنفسه سنة ١٣٢٢ إلا أنه لم يتم العثور عليها .

وقد قام أستاذنا عبد السلام هارون بنشر هذه الرسالة مرتين إحداهما فى مجلة المقتطف (عدد مارس سنة ١٩٤٥ ، ص ٢٥٤ وما بعدها والأخرى فى المجلد الأول من نوادر المخطوطات (١ : ٢١٧ — ٢٢٥) ، كما توجد نسخة من هذه الرسالة فى بطرسبرج برقم (٤٦) (١) كما ذكر بروكلمان .

١٠ — مختصر تمام المتون الى شرح رسالة ابن زيدون :

شرح رسالة ابن زيدون ألفه العلامة الصفدى وفيه يشرح الرسالة التى كتبها ابن زيدون الى الوزير ابن عبدوس على لسان ولادة بنت المستكفى بالله تهكما به وتعريضا بوزارته ، وقد ذكر الأستاذ عمر كحاله فى كتابه " معجم المؤلفين " أن عبد القادر البغدادى قد صنف مختصرا لشرح الصفدى هذا أسماه " مختصر تمام المتون إلى شرح رسالة ابن زيدون " وقد اختصر فيه شرح الصفدى بأن حذف ما اكتنفه من حواشٍ مطولة ، وشرح غريبه ، وقرّب الى الأفهام معانيه ، حتى جاء على صورة ترضى الباحث والدارس وتفى بالغرض المقصود دون عناء أو مشقة .

---

(١) الخزانة ١ : ١٧ — ١٨ تحقيق عبد السلام هارون .

البـــاب الثانـــــى

الفصل الأول : (خزانة الأدب)

أ ــ تعريـــف بالكتـــاب

ب ــ تاريخ تأليف الخزانة

جـ ــ مخطوطات الخزانـــة

د ــ طبعات الخزانة وتحقيقاتها

الفصل الثانى :

أ ــ دراسة مؤلفات البغدادى ــ نحويا ولغويا ــ وطريقة تأليفه

ب ــ شواهد الخزانـــة

جـ ــ شواهد كتاب سيبويه

د ــ صلة شواهد الخزانة بشواهد سيبويه فى كتابه .

" الفصـــــل الأول "

خـزانة الأدب

أ ــ تعريف بالأدب

ب ــ تاريخ تأليف الخزانـــــة •

جـ ــ مخطوطات الخزانـــــة •

د ــ طبعات الخزانة وتحقيقاتهـا •

خزانـــــة الأدب

(أ) تعريف بالكتـــاب :

هو ذلك المصنف الذى خلد اسم البغدادى ، وحملة على جناح الشهرة الى شتى الأمصار ومختلف البقاع ، فكان جديرا بأن نفرد له هذا الفصل برمتـــه لكى نوفيه حقه من التعريف والإبانة حيث يعتبر موسوعة شاملة فى العربية وعلومها ، وهو الذى ألفه عبد القادر البغدادى شرحا لشواهد شرح كافية ابن الحاجـــب فى النحو الذى وضعه العلامة الرضى الاستراباذى .

وقد صدّر عبد القادر خزانه بخطبة أوضح فيها السبب الذى حملـــه على تأليفها حيث يقول : " ... الا أن أبياته [1] التى استشهد بهـــا — وهى زهاء ألف بيت — كانت محلولة المقال ، ظاهرة الإشكال لغموض معناهـــا ، وخفاء مغزاها : وقد انضم اليها التحريف ، وبان عليها التصحيف ... فشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد ، وشرعت فى شرحها على وفق المنى والمراد " [2] وقـد جعله البغدادى يرسم السلطان محمد خان ابن السلطان ابرهيم خان من آل عثمان .

ثم ضمن البغدادى المقدمة بعد ذلك ثلاثة أمور هى من الأهمية بحيـــث كان تصدرها الخزانة أمرا محتوما ، وهى :

الامر الاول :

فى الكلام الذى يصح الاستشهاد به فى اللغة والنحو والصرف — شعـــرا ونثـــرا .

---

(١) أبياته : (أى شرح الرضى على الكافية)
(٢) الخزانة : المقدمة .

الامر الثانـــى :

وهو ذكر للموارد التى اعتمد عليها البغدادى فى كتابه ، وقد بلغـــت نحو تسعمائه وخمسة وأربعين عنوانا ، واذا ضمت الى تلك العنوانات شروحهـــا والكتب المؤلفة فى تلخيصها أو نقدها جاوزت أربعمة آلاف كتاب ، منها ما يرجـــع الى علم النحو ، وما يرجع الى شروح الشواهد ، وما يرجع الى تفسير أبيـــات المعانى المشكلة ، وما يرجع الى دفاتر أشعار العرب ، وما يرجع الى فـــن الادب وما يرجع الى كتب [illegible] وكتب الصحابة وأنساب العرب ، وما يرجع الى طبقـــات [illegible] ، وما يرجع الى كتب اللغة ، وما يتعلق بأغلاط اللغويين ، وكتـــب الأمثال ، وكتب الأماكن والبلاد ، [illegible] من هذه الكتب قد فقد وضاع. (١)

الامر الثالـــث :

ويتعلق بترجمة شارح الكافية الامام العلامة الجليل الرضى الاستراباذى.

وقد بلغت شواهد شرح الرضى للكافية التى قام بشرحها البغدادى تسعمائه وسبعة وخمسين شاهدا قد يكرر الشاهد فيها فى غير موضع من الشرح ، فينبهـــه البغدادى الى ذلك دون أن يعطيه رقما فى سلسلة الشواهد ، الا أنه ربمـــا لانشغاله فيما هو أهم نجده يسهو أحيانا فيدخل الشاهد المكرر ضمن سلسلـــة الشواهد ويعطيه رقما ، كما حدث وكرر الشاهد الثالث عشر فى الشاهد الرابـــع عشر بعد المائة ونصه :

ألا يا نخلةً من ذاتِ عـــرقٍ عليك ورحمةُ الله السلامُ . (٢)

---

(١) المصدر السابق .
(٢) الخزانة ١ . ١٩٢ ـ ٣٤٣ . بـــولاق

وقد عنى البغدادى بخزانته عناية فائقة ، موجها اهتمامه الى الغرض الذى من أجله جىء بالشاهد ومعالجة المسائل النحوية وتحقيقها ودراستها دراسة مستفيضة اعتمادا على أمهات الكتب فى النحو ومطولاته ، ومراجع شروح الشواهد ، مع اثبات القصائد التى انتزع منها الشاهد وشرحها شرحا محققا قد لا يقل عن شرح الشاهد نفسه ، وحرصه على اثبات التراجم الوافية لقائلى الشواهد مع ذكر ما يتصل بهم من أخبار وطرائف ونوادر ، وكذا السبب الذى من أجله قال الشاعر القصيدة .

كما أكثر البغدادى من ذكر أمثال العرب وشرحها وتحقيقها مع بيان مضاربها وموارد ها ، مع حشد للغات العرب ولهجاتها ، علاوة على ما شحن به خزانته من النصوص النادرة التى ربما قد فقدت أسانيدها أو اندثرت ، حتى جاء الخزانة مرجعا وافيا ، وثبت محققا لكل ما يتصل بالعرب والعربية سواء فى الجاهلية والاسلام ، أو ان شئت فقل أن الخزانة يعتبر أكبر موسوعة فى علوم العربية وآدابها ، وأخبار العرب وأيامهم ، وفيه يقول المحبى : " ... وألف (١) المؤلفات الفائقة ، منها شرح شواهد [illegible] الكافية للرضى الاستراباذى فى ثمان مجلدات ، جمع فيه علوم الادب واللغة بأسرها الا القليل ، ملكته بالروم وانتفعت به ، ونقلت عنه فى مجاميع لى نفائس أبحاث يعز وجودها فى غيره . " (٢)

(ب) تاريخ تأليف الخزانة :

يتضح جليا لمن يتعرض لكل مؤلفات البغدادى بالبحث والدرس ، أنه كان يوجه اهتماما خاصا ، بل ويحرص تمام الحرص على أن يثبت تواريخ بدء ونهاية

---

(١) أبو عبد القادر البغدادى
(٢) خلاصة الاثر ٢ : ٥٢

تأليفها ، فلا يكاد يخلو مؤلف أو مصنف له من إثبات تاريخ البدء فى تأليفه وتاريخ الانتهاء منه بغاية الدقة ومنتهى الأمانة والحرص .

ومما ذيل به البغدادى خزانته ، نقف على أنه بدأ تأليفها فى عشرة شعبان سنة ثلاث وسبعين بعد الألف الهجرى ، وانتهى منها فى الثانى والعشرين من جمادى الأخرة سنة ألف وتسع وسبعين هجرية ، وهذا يكون قد استغرق تأليفها ست سنوات ، وإليك ما سطره عبد القادر فى خطبة الختام :

" وكان ابتداء التأليف بمصر المحروسة فى عشرة شعبان من سنة ثلاث وسبعين وألف ، وانتهاؤه فى ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين . فتكون مدة التأليف ست سنين ، مع ما تخلل فى أثنائها من المطلة بالرحلة ، فانى لما وصلت إلى شرح الشاهد التاسع والستين بعد الستمائه ، سافرت الى قسطنطينية فى الثامن عشر من ذى القعدة من سنة سبع وسبعين ، ولم يتفق لى أن أشرح شيئا الى أن دخلت مصر المحروسة فى السابع من ربيع الأول من العام القابل ، ثم شرعت فى ربيع الآخر ، وقد يسر الله التمام وحسن الختام " .

(جـ) مخطوطات الخزانة :

حتى يومنا هذا لم يعثر أحد من الباحثين على أى مخطوط لخزانة الأدب سوى مخطوطة الشنقيطى المودعة بدار الكتب المصرية برقم (١ ش نحو) ، وكذا قطعة من نسخة أخرى تستوعب الجزء الثالث من الخزانة حيث تبدأ بشواهد الفصل وتنتهى بشواهد المصدر ، وقد تم نسخها فى العام الثامنين بعد الالف الهجرى ، وهى مودعة أيضا بدار الكتب المصرية برقم (١٣ ش نحو) ؟ وما ذكره الاستاذ الراجكوتى بقوله : " ان فى خزانة جامعة بنجاب جزءا مخطوطا

من الخزانة ، وتوجد أجزاء أخرى فى برلين وغيرها من مدائن أوروبا . (١)

مخطوطة الشنقيطى :

مخطوطة كاملة تقع فى مجلدين كبيرين : الاول فى ٣٤٩ ورقة ، منهـــا عشر ورقات للفهرس ، وورقة لترجمة البغدادى ، و ٣٣٨ ورقة للشرح ، ويبـــدأ المجلد بفهرس للشواهد مرتبة ترتيبا أبجديا بحسب حرف الروى ، وكذا أسمـــاء السور والأبواب الذهبية التى وردت فيها الشواهد ، ثم تلى الفهرس ترجمـــة البغدادى منقولة من كتاب خلاصة الأثر للمحبى حيث ختمها الناسخ بقولـــه : " انتهى من خلاصة الاثر فى معرفة رجال القرن الحادى عشر " .

ويستوعب المجلد الاول الشواهد من الاول حتى الشاهد الخامـــس والثمانين بعد المائة ، وقد صدّره الشنقيطى بخطه ، وهو أقرب شىء الـــى الخط الكوفى قائلا : " وقف ملكه بفضل ربه وكرمه محمد محمود بن التلاميـــد التركزى ثم وقفه على عصبته وقفا مؤبدا فمن بدل له فائمه عليه وكتبه محمد محمود بالمدينة المنورة عام ١٢٨٨ " (٢) ثم يختم الناسخ المجلد الاول بهذه العبارة : " تم الجزء الاول من خزانة الادب بعون الله وتوفيقه على يد كاتبه أفقر الورى وأحوجهـــم الى مولاه على بن محمد بن مصطفى الملقب بابن رجب وبابن الترجمان الجزائـــرى نشأة المدنى دارا غفر له ولوالديه وأشياخه وأصحابه والمسلمين أجمعيـــــن ،

---

(١) مجلة الزهراء جـ ٤ م ٥ : ٢٠٩ ـ ٢١٧ .

(٢) وهذا خلاف ما ذكره استاذنا عبد السلام هارون عند الكلام عن مخطوطـــه الشنقيطى بصدر النسخة المطبوعة التى حققها ، حيث ذكر أن هذه العبارة مدونة بصدر المجلد الثانى ، والصحيح ما أثبت هنا ، على أنه توجد عبارة مماثلة بصدر المجلد الثانى ولكنها مؤرخة عام ١٢٩١ هجرية ولم يشـــــر اليها استاذنا هارون ، وربما كان الشنقيطى يؤرخ لكل مجلد على حدة فور الانتهاء منه .

وكان الفراغ من كتابته فى [illegible] يوم الاثنين المبارك خامس ربيع الأول الأنور من شهور سنة ١٢٩٨ كتبه لأخيه وحبيبه العالم الفاضل الورع العامل الأديب اللبيب الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزى حفظه الله تعالى وزاده رفعة وكمالا "

وقد لاحظت أثناء تجوالى بين محتويات المخطوطة إقحام الشاهد الثانى والعشرين بعد الخمسمائه من شرح المؤلف لشواهد مغنى اللبيب لابن هشام ونصه :

أَجَاعِلٌ أنتَ [illegible] مُسَلَّمَةً ذَرِيعَةً لكَ بَيْنَ اللهِ والمَطَرِ

فى نهاية المجلد الاول دون مبرر حتى بدا وكأنه ضمن شواهد الخزانة ، دون أن ينتبه الى ذلك أحد ممن قاموا على تحقيق المخطوطه أو ينبه عليه رغم أن الناسخ قد ساق استدراكا على الشاهد المقحم بالمداد الاحمر يقول فيه : (انتهى من شرح المؤلف لشواهد مغنى اللبيب) .

أما المجلد الثانى من المخطوطة فيقع فى (٣٣٦ ورقة) منها إحدى عشر ورقة للفهرس ، ٣٢٥ ورقة للشرح ، ويبدأ بفهرس للشواهد مرتبة ترتيبا أبجديا أيضا بحسب حرف الروى ، وكذا أسماء الشعراء والأبواب النحوية التى وردت فيها الشواهد وسبب الاستشهاد ، وقد ختم الناسخ الفهرس بقوله : " تمت الفهرسة بحمد الله تعالى وحسن عونه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين " . ثم صدره الشنقيطى بهذه العبارة التقليدية وهى بخط أقرب الى الكوفى : " وقف — ملكه بفضل ربه وكرمه محمد محمود بن التلاميد التركزى نسبا ثم وقفه على عصبته وقفا مؤيدا فمن بدله فاثمه عليه وكتبه محمد محمود بالمدينة المنورة نصف رجب الحرام ١٢٩١ " .

ويبدأ المجلد الثانى بشرح الشاهد السادس والثمانين بعد الأربعمائه ونصه :

كأن فعلتكم نُهلا مراكبُها دويارُ بكرٍ ولم تخلعْ ولم تَهَبِ

وهو أول شواهد الكنايات . وينتهى بنهاية شرح الشاهد الأخير وهو السابع والخمسون بعد التسعمائه ونصه :

فعيناش عيناها وجيدش جيدها سوى أن عظم الساق منش دقيق

وهو آخر شواهد شين الكشكشة . (١)

ويختمه البغدادى بخطبة يذكر فيها تاريخ بداية التأليف وتاريخ نهايته (٢) كما يختمه الناسخ بخطبة مشابهة كما ختم المجلد الاول أحب أن أثبتها تتميما للفائدة وهى : " انتهى الجزء الثانى من شرح العلامة الشيخ عبد القادر ابن عمر البغدادى ، وكان الفراغ منه فى يوم الأحد المبارك التاسع عشر من شهر

---

(١) الكشكشة : هى ابدال حرف الكاف شينا كما فى حرش وأصله حرك وهى لغة فى تميم ، وقد روى أنه لا تبدل شينا سوى كاف المؤنث فى الوقف حيث يقول المبرد فى كتابه الكامل : " بنو عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا لقرب الشين من الكاف فى المخرج فانها مهموسة مثلها فارادوا البيان فى [illegible] فإن فى الشين تفشيا .. والتى يدرجونها بدعوتها "كافا" ولكن ثعلب [illegible] فى أماليه أن ابدال الكاف شينا قد يقع فى الكاف الأصلية المكسورة توكيدا لكسرها واستشهد لذلك بما رواه ابن الاعرابى (حتى تنقى كنقيق الديش) فان أصله — الديك — وكافة أصلية ، وهناك جماعة من بكر يزيدون الشين بعد كاف المؤنث فى الوقف تأكيدا لحركتها فيقولون : " أعطيتكش " .
وقد حبانا أستاذنا الكريم الدكتور عبد الحميد طلب من فضله وكرمه فأحاطنا فى ثنايا تمحيضه لهذه الرسالة بأن هذه اللغة لازالت مستعملة فى الكويت حتى الان فى كل كاف تقع للمخاطبة ، فله منا الشكر الجزيل بدءا وختاما وقد لاحظت أثناء لقاءاتى مع بعض الاخوة العراقيين ونحن بالدراسات العليا أنهم يبدلون الكاف شينا دائما فى كل كاف مكسورة كأن يقولون : " ماهد احشى " والأصل فيه — حكى — أى كلام ، وذلك عندما يعترضون على قول ما .

(٢) راجع (تاريخ تأليف الخزانة) من هذا الفصل .

ربيع الأول الأنور من شهور سنة ١٢٩٢ على يد كاتبه افقر الدرى وأحوجهم الى مولاه على بن محمد بن مصطفى الشهير بابن رجب وبابن الترجمان الجزائرى المنشأ المدينى الدار ، كتبه لأخيه فى الله وصديقة العلامة الفاضل الورع العامل سيد أدباء أهل زمانه الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزى المجاور بالمدينة المنورة كان الله له وليا ونصيرا ورحم آباءه الجميع ومشايخهم وإخوانهم وأولادهم المسلمين أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين " . وقد كتب الشنقيطي بهامش الصفحة الاخيرة هذه العبارة :قاله بفمه وزيره بقلمه مؤلفة "الفقير الى الله فى جميع أحواله عبد القادر بن عمر البغدادى لطف الله به وبأسلافه وأولاده وأصحابه وجميع المسلمين آمين . وجدته بخطه رحمه الله تعالى وكتبه — محمد محمود بن التلاميد عفا الله عنه ".

ويبدو مما دونه الشنقيطى بصدر المجلدين ، أنه ربما كان مهتما جدا بتدوين تاريخ المخطوطه قبل اتمام نسخها بالكامل ، أو ربما كان يفتتح المجلد بهذه العبارة التقليدية المؤرخة ثم يدعه للكاتب ليقوم بنسخة ، فيكون التاريخ المدون بالعبارة موافقا ليوم البدء فى نسخ المجلد : وعلى الرأى الثانى يمكن القول بأن المجلد الاول قد استغرق نسخة سنتين من (١٢٨٨ : ١٢٩٠)واستغرق المجلد الثانى سنتين أيضا من (١٢٩١ : ١٢٩٢) فتكون مدة نسخ المخطوطه كلها أربعة أعوام تقريبا .

وقد كتبت المخطوطه بخط بين الفارسى والنسخ وإن كان الى الفارسى أقرب وبعض كلماتها مضبوط بالشكل ، وشواهدها مدونة بالمداد الأحمر ومرقمة بالمداد الأحمر فى الهامش ، كما توجد بهوامشها بعض إصلاحات وإضافات بقلم الكاتب ربما لسهو وقع منه أو تداركا لخطأ وقع فيه حيث يذيلها بعبارة "كذا بخط المؤلف" وتوجد أيضا تحقيقات نادرة للشنقيطى مثل ما أثبته قبالة الشاهد الثانى والعشرين بعد المائتين تعليقا على عبارة (فاذا تقاربوا فالتراشق بالرماح) ما نصه :

" قلت : قوله فالتراشق بالرماح خطأ محض والصواب ؛ فالتطاعن بالرماح لأنهما هى التى يطعن بها فقط ، ولأن التراشق بالسهام وحدها " . وتوجد أيضا بعض التعليقات والتصويبات بالهوامش بتوقيع (ابن الطيب) (١) مثال ذلك ما ورد بالورقة الرابعة عند قول البغدادى : " أقول هذا مبنى على أن معنى الضرورة عند هذا القائل ما ليس للشاعر عنه مندوحه ، وهو فاسد " ما نصه : " بل هو الصواب المأخوذ من كلام سيبويه وغيره ، وفى كلام ابن الحاجب ما يؤيده وقد تبعه فى شرح نظم الفصيح وغيره من كتب العربية " هـ ابن الطيب " . وكذلك ما ورد قبالة الشاهد الحادى عشر ما نصه : " الصواب من صَوِر كفَرِح مثل عَوِر فهو أصور ، لا صارَ يصُور فان معناها يتعدى كأصارَ ومصدره الصَّوَر بالفتح كالصوم ومصدر صور كفرح الصُّوْر محركة كما فى غير ديوان . هـ ابن الطيب " .

ويفهم من عبارة الناسخ " كذا بخط المؤلف " أن هذه المخطوطة منقولة من نسخة البغدادى الاصلية التى كانت موجودة بالمدينة المنورة آنذاك ، وقد اطلع عليها الشنقيطى بنفسه كما هو واضح من عبارته المدونة بآخر المخطوطه " وجدته بخطه رحمه الله تعالى " ، ولا يبعد أن تكون هذه النسخة الأصلية موجودة هناك بإحدى خزائن المدينة المنورة العامة كمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة أفندى . (٢)

ومخطوطه الشنقيطى مودعة بدار الكتب المصرية برقم (انحوش) ، كما توجد أيضا بدار الكتب قطعة أخرى مخطوطه هى الجزء الثالث تبدأ بشواهد المصدر ، وتاريخ نسخ هذه القطعة ستة ألف وثمانين هجرية ، وهى محفوظة برقم (١٣ نحوش) .

---

(١) أى لعل ابن الطيب هذا هو " صاحب الحاشية على الاقتراح للسيوطى المسماه بـ نشر الانشراح " .

(٢) مجلة الزهراء جـ ٤ م ٥ : ٢١٠

(د) طبعات الخزانة وتحقيقاتها :

لا يزال الأصل الذى أخذت عنه طبعة بولاق — أولى طبعات الخزانة — مجهولا ولم يهتدِ إليه أحد من الباحثين والمنقبين بعد ، ولا شك أن ذلك الأصل المجهول غير الأصل الذى أخذت منه مخطوطة الشنقيطى ، وذلك لما بينهما من اختلاف ظاهر وشياين واضح ، فقد وردت فى طبعة بولاق بعض المدونات لا وجود لها فى مخطوطة الشنقيطى والعكس صحيح . ومثال ما ورد فى طبعة بولاق :

١ — جاء فى هامش الصفحة ٤٦٠ من الجزء الاول هذه العبارة : " بهامش الأصل : وفيه أيضا عيب لم يذكره الشارح وهو عيب الردف " .

٢ — جاء فى هامش الصفحة ٥٥ من الجزء الثانى هذه العبارة : " بياض بالأصل وبهامشه لعل البياض : وخوار المنان : سهل المعطف ، كثير الجرى . أهـ مصححه " .

٣ — جاء فى هامش الصفحة ٧٢ من الجزء الثانى هذه العبارة : " قوله مرفوعة إما مرفوع وإما منصوب على الحال هكذا فى الاصل . ولعل الصواب وعزيمه إما موفوع وإما منصوب وثلاث إما مرفوع أو منصوب على الحال أو على المفعول المطلق ... " اهـ مصححه .

هذا ، علاوة على ما ورد فى مخطوطه الشنقيطى مما لا وجود له فى طبعة بولاق ، مثل تحقيقات الشنقيطى وتصويبات ابن الطيب .

وقد كانت خزانة الادب على عصر مؤلفها فى ثمان مجلدات ، وهذا ما أثبته المحبى فى كتابه خلاصة الاثر بقوله : " وألف المؤلفات الفائقة منها

شرح شواهد شرح الكافية للرضى الاستراباذى فى ثمان مجلدات جمع فيها علـــوم الأدب واللغة ومتعلقاتها بأسرها الا القليل ... "(١) وقد صدرت الخزانـــة فى غير طبعة إليك تعريف بها :

الطبعة الاولى :

إن أولى طبقات الخزانة هى تلك الطبعة التى تمت بمطبعة بولاق عـــام ألف ومائتين وتسع وتسعين هجريه ، وقد صدرت هذه الطبعة فى مجلدات أربعة ، وعليها حاشية هى كتاب " المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية " للعينى(٢) وهذا الكتاب هو المعروف بالشواهد الكبرى . والذى اختصره العينى فى كتـــاب أسماه ، فرائد القلائد فى مختصر شرح الشواهد " ويعرف بالشواهد الصغرى. (٣)

ويقع المجلد الاول من هذه الطبعة الاولى فى (٥٨٠) صفحة ، ويبـــدأ بمقدمة المؤلف ذات الامور الثلاثة (٤) ثم يبدأ فى شرح الشاهد الاول وهو فـــى (خواص الاسم) ونصه :

(يقول الخنى وأبغض العجم ناطقا الى ربنا صوت الحمار اليجدع)

وينتهى بشرح الشاهد الثامن عشر بعد المائتين ، وهو آخر شواهد التمييز ، ونصه:

(ياجارة ما أنت جـــارة)

أما المجلد الثانى فيقع فى (٥٦٤) صفحة) ، ويبدأ بشرح الشاهـــد التاسع عشر بعد المائتين ، وهو أول شواهد " المستثنى " ، ونصه :

(وبلدة ليس بها طـــوى ولا خلا الجن بها انس)

---

(١) خلاصة الاثر ٢ : ٤٥١ ــ ٤٥٤

(٢) هو بدر الدين محمود بن احمد بن موسى الحلبى العينى "الخزانة ١ : ٢٢ " طالكتب العربى تحقيق عبد السلام هارون .

(٣) المصدر السابق ص ٢١

(٤) راجع ص ٦٨ .

وينتهى بشرح الشاهد القائل :

(لعمرى لأنت البيتُ أكرمُ أهلِه وأقعَدُ فى أفيائِه والأصائلُ)

وهو آخر شواهد " تعدّى الفعل ولزومه " ، ولم يأخذ رقما فى سلسلة الشواهد حيث سبق الكلام عنه فى الشاهد الثامن عشر بعد الأربعمائه ولكن قبله الشاهد الخمسين بعد الأربعمائه .

ويقع المجلد الثالث فى (٦٧٤) صفحة ، ويبدأ بشرح الشاهد الحادى والخمسين بعد الأربعمائه وهو أول شواهد " الحكاية بمن وما وأى " ونصه :

(أتوا نارى فقلت مَنُونَ أنتم فقالوا الجنّ قلت عِمُوا ظلاما)

وينتهى بشرح الشاهد التاسع بعد السبعمائه وهو آخر شواهد " المنصرف وغير المنصرف " ونصه :

(خرجت على أقطاعِه فى ثيابه على طَرْفِهِ من داره بحسامِ)

أما المجلد الرابع فيقع فى (٥٩٩) صفحة ، ويبدأ بشرح الشاهد العاشر بعد السبعمائه وهو أول شواهد " أفعال القلوب " ونصه :

(تعَلَّم أنّ بعد الغَىّ رُشْدًا)

وينتهى بشرح الشاهد السابع والخمسين بعد التسعمائه ، وهو آخر شواهد " شين الكشكشة " ونصه :

(فعينا شعيناها وجيد شجيدها سوى أن عظم الساق منى دقيق)

وكل من المجلدات الأربعة ينتهى بفهرس يضم شواهد الخزانة ، ثم يليه فهرس لشواهد المقاصد النحوية للعينى المسطور فى الحاشية . وينتهى المجلد الرابع بخطبة للبغدادى يضمنها حمدًا لله وثناءً عليه ، وبدء وانتهاء تأليف الخزانة ، ثم الدعاء له ولأسلافه وأحبائه وجميع المسلمين .

وقد تم الانتهاء من الطبعة الأولى فى منتصف جمادى الاخرة سنة ١٢٩٩ هجرية وذلك فى عهد الخديوى توفيق حيث ذيلت بخطبة المطبعة للاستاذ محمد قاسم التى جاء فيها : " ... وذلك فى أيام صاحب السعادة ومطلع ملك المجادة والسيادة ، من هو بالثناء عليه حقيق ، الخديو الأعظم محمد توفيق ، لازالت الأنام آمنه فى ظلال عدله ، رافلة فى مطارف جوده وفضله ، مشمولا طبعه بادارة صاحب نظارتها المشمر عن ساعد الجد فى تدبير نظارتها وتضارتها ، من به المعارف الى أوج الكمال رفعت ، سعادة على بك جودت ، وقد طلع بدر كمامة وفاح مسك ختامه فى أواسط أخرى الجمادين عام تسع وتسعين وألف ومائتين من هجرة السيد المختار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الاخيار ، ما سطعت نفحات الأزهار ، وما هبت نسمات الأسحار " .

الطبعة الثانية :

ثم خرجت للخزانة طبعة ثانية ناقصة فى أربع مجلدات تستوعب ثلثى طبعة بولاق أى الجزء الاول و ٣٨٤ صفحة من الجزء الثانى من الطبعة الاولى وقد صدرت تلك الثانية عن المطبعة السلفية بالقاهرة فى المدة من عام ١٣٤٧ — ١٣٥١ هجرية بتحقيق أستاذنا عبد السلام هارون وقت أن كان طالبا بتجهيزية دار العلوم (١) ، وعليها تعليقات وتحقيقات للأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى والعلامة أحمد تيمور باشا ، وقد أشرف على إخراجها الأستاذ محب الدين الخطيب .

---

(١) الخزانة ١ : ٢٢ ط الكاتب العربى . تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون

والجزء الاول من هذه الطبعة يشمل شرح الشواهد من أولها حتى الشاهد الحادى والثمانين وهو ما أنشد فى " اسم ما ولا المشبهتين بليس" ونصه :

(مَنْ صَدَّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيسٍ لا براحُ)

وأما الجزء الثانى فيبدأ بشرح الشاهد الثانى والثمانين وهو أول شواهد المفعول المطلق " ونصه :

(هذا سُرَاقَةُ للقرآنِ يدرسُه والمرءُ عند الرُّشا إنْ يَلْقَها ذِيبُ)

وينتهى بشرح الشاهد الخامس والخمسين بعد المائه وهو آخر شواهد " الاختصاص" ونصه : "

(أَقَارِعُ عَوْفٍ ، لا أحاولُ غيرَها وجوهَ قُرَى تُرْهَى مَنْ تجادع)

ويبدأ الجزء الثالث بشرح الشاهد السادس والخمسين بعد المائه وهو أول شواهد " الاشتغال " ونصه :

(فَهُلاَّ أراهم أصبحوا يعقلونها صَحِيحَاتِ مالٍ طالعاتٍ بمَخْرَمِ)

وينتهى بشرح الشاهد الخامس والأربعين بعد المائتين وهو آخر شواهد المستثنى " ونصه :

(فأنتِ طلاقٌ — والطلاقُ أَلِيَّةٌ — ثلاثًا ومَنْ يَخْرِقْ أَعَقُّ وأَظْلَمُ)

أما الجزء الرابع فيبدأ بشرح الشاهد السادس والاربعين بعد المائتين وهو أول شواهد " خبر كان وأخواتها " ونصه :

(وكان طَوَى كشحا على مُسْتَكِنَّةٍ)

وينتهى بشرح الشاهد الحادى والثلاثين بعد الثلاثمائة (١)

وتوقف صدور هذه الطبعة الثانية عند هذا ، ولم يتم إكمالها لظروف خاصة ، كما أورى بذلك الأستاذ المحقق عبد السلام هارون . (٢)

---

(١) ونص الشاهد حتى اذا ما خرجت من فمه .
(٢) الخزانة ١ : ٢٢ ط الكاتب العربى .

الطبعة الثالثـــة :

وفى سنة سبع وأربعين وثلاثمائه وألف ، ظهرت طبعة ثالثة ناقصـــة أيضا للخزانة فى جزأين اثنين استوعبا المجلد الأول من طبعة بولاق (الأولى) وذلك بإشراف الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ، وقد صَدَّرَ الجزء الأول بما نصه : " بدأ تأليفها بمصر فى غرة شعبان سنة ١٠٧٣ هـ وفرغ منها ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٠٧٩ هـ . صححه وعلق عليه جماعة من أفاضل العلماء ، وأشرف على طبعة ووضع فهارسه محمد محيى الدين عبد الحميد المدرس بالقسم الثانوى بالجامع الأزهر — عنيت بطبعة ونشره على نفقتها دار العصور للطبع والنشر — شارع الخليج المصرى بالقاهرة بمصر " .

ويقع الجزء الاول فى أربعمائه وتسع عشرة صفحة من القطع المتوسط ، ويبدأ بشرح الشاهد الأول ، وينتهى بشرح الشاهد الثالث بعد المائه وهو آخر شواهد المفعول به ونصه :

(وإنْ تَعْتَذِرَ بالمحْل من ذى مَجْمَعِها الى الضَيْفِ ، يَجْرَحْ فى عَرَاقِيبِهَا نَصْلِى)

ثم ذيل الجزء بثلاثة فهارس ، أولها للموضوعات ، وثانيها للشواهد مرتبة ترتيبا أبجديا ، وثالثها للأعلام مرتبة ترتيبا أبجديا أيضا بحسب بداياتها : ثم يتبع الفهارس تصويبات لما ورد بالجزء من أخطاء غير مقصودة ، كما بدأت الفهارس بمقدمة للشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

والجزء [illegible] يقع فى أربعمائه وسبع وعشرين صفحة ، ويبدأ بشرح الشاهد الرابع بعد المائة وهو أول شواهد المنادى ونصه :

(يا بُؤْسَ للجَهْلِ ضَرَّارًا لِأَقْـــوَامٍ)

وينتهى بشرح الشاهد الثامن عشر بعد المائتين وهو آخر شواهد التمييز ونصه :

(يا جَارَةً ما أنتِ جَـــارَةْ)

وقد ذيل الجزء الثانى بثلاثة فهارس على نظام فهارس الجزء الأول دون مقدمة لها .

الطبعة الرابعة :

وفى سنة ألف وثلاثمائه وسبع وثمانين هجرية ظهرت للخزانة طبعة رابعة بتحقيق وشرح أستاذنا الجليل عبد السلام محمد هارون " صدر منها حتى الآن أربعة أجزاء على نفس النمط الذى صدرت عليه الطبعة الثانية التى طبعت بالمطبعة السلفية بالقاهرة ولكنى لم يشأ لها القدر أن تكتمل ، من حيث تقسيم الأجزاء ، بدءا ونهاية — وقد طبعت هذه الرابعة بمطبعة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ضمن سلسلة (تراثنا) : وقد قال الشارح المحقق الأستاذ هارون عن هذه الطبعة أن ما دفعه الى البدء فيها هو ندرة نسخ الخزانة ، وعدم وجود طبعة كاملة محققة على النهج العلمى الحديث . (١)

ويأمل الأستاذ الشارح المحقق أن يتمكن من إتمام هذه النسخة ، ومن إضافة الفهارس الفنية لها حيث يقول : " وإنى لآمل من فضل الله أن يسعفنى الوقت والجهد لإتمام هذا العمل الضخم ، وآمل كذلك أن أتمكن من إضافة الفهارس الفنية التى تكشف خبايا هذا الكنز الدفين إن شاء الله ". (٢)

---

(١) [illegible] ط الكاتب العربى
(٢) [illegible]

الفصل الثانـــــى

أ ــ دراسة مؤلفات البغدادى ــ نحويا ولغويا ــ وطريقة تأليفه •

ب ــ شواهد الخزانـــة •

جـ ــ شواهد كتاب سيبويه •

د ــ صلة شواهد الخزانة بشواهد سيبويه فى كتابه •

(أ) دراسة مؤلفات البغدادى (نحويا ولغويا) وطريقة تأليفـــه

سوف نتصرف فى هذا الفصل لدراسة أعمال عالمنا عبد القادر البغدادى — سواء منها ما قام بتأليفه وتصنيفه أو ما قام عليه شارحا — وحين نقوم بهذه الدراسة يستلفت نظرنا بادئ ذى بدء أن كل ماأنجزه البغدادى كان معنيا فيه بالجانب النحوى فى المقام الأول ، ثم يليه فى المرتبة الثانية الجانب اللغوى ، إلا أنه لم يَقْصِرْ جهوده على هذين الجانبين فحسب ، بل عُنِىَ بأن تحوى مؤلفاته جميعها شتى علوم العربية — قاصيها ودانيها — حتى جاءت جميعها بمثابة مراجع تراثية تجمع كل ما تفتقت عنه أذهان النحويين وأفكار اللغويين وقرائحهم ، مما قد يصعب على الباحث الوصول إليه أو الاطلاع عليه والاستفادة منه ، إما لفقده أو ضياع مادته بتوالى الأيام والسنين ، وهذا يستلزم منا أن نتناول كلاً من هذه الأعمال منفردا حتى نوفيه حقه من البحث والدرس ، وحتى تتم الفائدة ، ويكون كل منها قائما بذاته تسهيلا للقارئ والباحث وتقديم المادة لهما على وجه مُرْضٍ . وفى ذلك نقول وبالله التوفيق .

خزانـــة الأدب

وقد أفردنا الفصل الأول برمته للكلام عن ذلك السفر الجليل نظرًا لأهميته بين مؤلفات البغدادى ومُفَادُ ما سبق تسطيره عنه ، أنه يعتبر أكبر موسوعة فى العربية وعلومها ، فهو إلى جانب عنايته بشرح الشواهد النحوية الواردة فى شرح الرضى الاستراباذى على كافية ابن الحاجب ، قد جمع الشارد النادر من علوم اللغة الضاد ، ما بين صرف وبلاغة وتاريخ وأمثال عربية وملح ونوادر قد لا يتيسر الوصول إليه الا بشق الأنفس نظرا للبون الشاسع بين عصور مؤلفيها وبين عصرنا هذا ، حتى أصبح الكتاب بحق مرجعا فريدا يجد الباحث بين دفتيه ما يغنيه عن طول بحث واستمرار تنقيب قد يخرج بعدهما فى النهاية صفر اليدين .

طريقة التأليـــف :

بدأ البغدادى تأليفه للخزانة بدءًا طيبًا ، شأنه فى ذلك شأن العلمـــاء المؤلفين مما يخرجونه للناس شعرًا يانعًا لما تنكبوه من عناء ونصب ابتغاء تقع بـــــفى جلدتهم من المهتمين بلغة الضاد وعلومها . فقد بدأه بمقدمة مستفيضة ضمنهـــا المنهج الذى رسمه لنفسه وسار عليه فى إخراج مؤلفه ، كما أودعها أمورًا ثلاثـــة : خص الأول منها بالحديث عن الكلام الذى يصح الاستشهاد به فى اللغة والنحـــو ، وخص الثانى بإثبات دقيق للمراجع التى استقى منها المادة التى أودعها خزانته ، وخص ثالثها بترجمة للشارح المحقق الرضى الاسترابادى ، على النحو المتقدم . (١) وهذا الأمر الأخير ينم عن وفاء أصيل من البغدادى لأستاذه ، حيث ينبىء عما تحمله البغدادى فى سبيل جميع المادة لهذه الترجمة نظرًا لافتقار كتب التراجم إلى ترجمة الرضـــى اللهم إلا ما جاء منها متفرقًا متفرقة . يجلو ما يكتنف هذه الشخصية البارزه مـــــن غموض ، ولا تفى بالغرض المطلوب لمعرفة كل جوانبها التى تهم كل باحث ومستقصٍ وفى ذلك يقول الشيخ محمد الطنطاوى : " وأعجب العجب أن هذا الإمام النحلامة يفوت على أصحاب المعجمات الإفاضة فى ترجمته ، فلم ندر متى وأين ولد ونشأ ؟ .. ومما يزيد الأسف عدم معرفة اسمه ، فإن السيوطى ، وهو من متأخرى أصحـــــاب المعجمات المعنيين بالتراجم ، اضطر إلى ذكره فى بغية الوعاة (حرف الـــــراء) اكتفاء بشهرة لقبه " الرضى " ، وقال فى ترجمته . " ولم أقف على اسمه ولا علـــى شىء من ترجمته " ... أما بعد فإن المحقق البغدادى فى مقدمة (خزانـــــة الأدب) قد جمع شتات مفرقة من المصدرين السابقين (٢) ومن غيرهما فيها إلمـــام إجمالى بترجمة الرضى ، والتنويه بشرحه للكافية وإن لم تَفِ بالمقصود .(٣)

---

(١) راجع الفصل الأول من الباب الثانى حيث تناولت هذه الأمور الثلاثة بشىء من التفصيل .
(٢) أى الكافية والشافية .
(٣) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : ٢٤٤ ــ ٢٤٥ .

ومن ذلك يستبين لنا ما تنكبه البغدادى من مشقة ونصب فى سبيل الترجمة لشيخة مما لم يقدم عليه أحد من المشتغلين بالتراجم المعنيين بالأخبار والآثار .

وبعد الانتهاء من المقدمة يدخل البغدادى فى لب خزانته بادئا فى شرح الشواهد ، وسوف نتناول فى دراستنا لطريقة البغدادى التى سلكها فى خزانته ، إثبات الخطوط العريضة لهذه الطريقة ثم نثنى بإيراد شاهد مما حوته الخزانة ليكون بمثابة مثال تطبيقى على هذه الطريقة ، ونسير فى ذلك على النحو التالى :

١ — التبويب :

سلك عبد القادر فى تأليف الخزانة طريقة التبويب ، فقد رتب موضوعات خزانته على نمط أبواب النحو المعروفه ، فهو يبدأ مثلا بباب (خواص الاسم) ثم يدرج تحته كل الشواهد التى تعالج قواعد نحوية تتصل بهذا الباب ثم يثنى بباب (المعرب والمبنى) ثم يدرج تحته الشواهد المتصلة به .... وهكذا إلى أن يأتى إلى نهاية خزانته سائرا على هذا النمط لا يحيد عنه .

٢ — إثبات الشاهد :

يبدأ بإثبات الشاهد مرقّمًا إياه بالحروف لا بالأرقام بعد عبارة " وأنشد بعده ، وهو الشاهد الـ ... " ، وبعد إثبات نص الشاهد ينسبه الى من سبق أن استشهد به ، ، ذاكرًا المؤلَّف الذى ورد به كأن يقول : " وهو من شواهد (س) [1] ، أو من شواهد ابن هشام فى مغنى اللبيب ، أو من شواهد المفصل " الى غير ذلك .

---

(١) (س) أى سيبويه ، ومعنى ذلك أنه سبق أن استشهد بهذا الشاهد فى كتابه .

٣ — مناط الاستشهاد :

ثم يذكر البغدادى بعد ذلك القاعدة النحوية أو اللغوية التى جىء بالشاهد دليلاً عليها ، أو تأييدًا لها ، واذا وجد أن الشاهد قد سبق استخدامه لإثبات قاعدة أخرى غير التى جىء به من أجلها أصلاً نبه على ذلك ، ذاكرًا الباب الآخَر الذى ورد به الشاهد ، مثل ما جاء بالشاهد ١١ خامس حيث يقول : " وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس وهو من شواهد سيبويه ، أنشده فى باب وجوه القوافى ، واستشهد به لما يلزم من إثبات الواو والياء إذا كانتا قافيتين ، كما يلزم إثبات القاف فى المخترق لأنها الرَّوِىَّ ". (١)

٤ — شرح الشاهد :

يتطرق البغدادى بعد ذلك إلى شرح الشاهد — لغويا ونحويا — وهو الغرض الأساسى من تأليف الخزانة ، فيورد كل أقوال العلماء اللغويين والنحويين التى قيلت حول الشاهد بمنتهى الدِّقَّةِ والأمانة العلمية دون تحيُّزٍ لفريقٍ على حساب الآخَر ، أو مَيْلٍ لرأى على مجافاة الآخَر ، وذلك على الوجه التالى :

لغويا :

حيث يقوم على شرح مفردات الشاهد بإجلاء ما غمض من معانيها معتمدًا فى ذلك على أصح المعاجم وأصدقها ،(٢) موضحا اشتقاقاتها وأصولها

---

(١) الخزانة ١ : ٣٨ بولاق .
(٢) الصحاح والعباب ولسان العرب وجمهرة ابن دريد ... الخ .

وما انتابها من إعلال أو إبدال أو حذف أو نحت أو توليد ، أو عدا ذلك ، حتى يضعها أمام الباحث والدارس واضحة ناصعة ، سهلة التناول ، طيعة المأخذ .

نحويا :

ثم يثنى بمعالجة الشاهد نحويا ، من حيث الإعراب ، مبينا أثر العامل فيه ، وما يكون قد جرّه عليه من تغيير أو تعديل أو حذف ، وهذا هو الهدف الأول من تأليف الخزانة ، فلا غرو إذا رأيناه يستفيض فى ذلك أيّما استفاضة ، لأن كل ما حواه الكتاب من معلومات أخرى إنما هى لمجرد التوصل إلى هذا الغرض النحوى الأصيل ، أو إن شئت فقل أن كل هذه المعلومات التى ضمت فى الخزانة إنما هى كالنباتات المتسلقة التى ما كانت لتقوم إلا اعتمادًا على هذا الجانب النحوى الأصل .

٥ — نسبة الشاهد الى قائلـــة :

بعد أن يفرغ البغدادى من شرح الشاهد ، مُوردًا كل ما قيل بشأنه على لسان علماء اللغة والنحو بما يتطلبه العلم من الدّقة والأمانة دون حيف أو زيغ ، ينتقل بعد ذلك إلى نسبة الشاهد إلى قائلة ، ذاكرًا السبب الذى من أجله قيل هذا الشعر والمناسبة التى قيل فيها ، مع إيراد شئ من هذا الشعر الذى ورد ضمنه البيت الشاهد حتى يكون الشاهد مرتبطا بهيئته الأدبية إذ يصبح أكثر وضوحا وأظهر للمعنى وهو من إخوته من الأبيات ، مع إصرار من البغدادى على ذكر الروايات التى رويت فى الشاهد ناسبا كلاًّ منها إلى صاحبها ، وربما أشار الى المؤلَّف الذى وردت فيه الرواية ، كلما أمكن ذلك .

٦ — شرح قصيدة الشاهد :

ينتقل البغدادى بعد ذلك إلى شرح قصيدة الشاهد وهى الشعر الذى أخذ منه البيت الشاهد ، وقد يكون ذلك الشعر بعض أبيات مقتضبة عثر عليها فى أحد المؤلفات فلا يهملها بل يقوم بإثباتها متناولا إياها بما تستحقة من الشرح والتفصيل شأنها فى ذلك شأن الشاهد سواء بسواء ، ومثال ذلك ما فعله فى الشاهد الثامن والثمانين بعد المائه (١) عند شرحه لسبعة أبيات من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى ضمنها البيت الشاهد . وقد يكون ذلك الشعر قصيدة كاملة يرى البغدادى أنها من جيد الشعر وعيونه فيرى إثباتها ويقوم بشرحها شرحا وافيا لا يقل استفاضة عن شرح الشاهد ذاته ، مثال ذلك شرحه لقصيدة زهير بن أبى سلمى التى أُخِذَ منها الشاهد السادس والخمسون بعد المائه (٢) . وقد يجد عبد القادر أن المقام لا يتسع لإيراد القصيدة بتمامها ولا لشرحها على طولها فيجتزى عن ذلك بالتنبيه عليها ، مثال ذلك ما أورده بالشاهد الرابع (٣) عند الإشارة إلى قصيدة جرير بقوله : " وهذا البيت مطلع قصيدة طويلة عدد أبياتها مائة وتسعة لجرير يهجو بها عبيدا الراعى النميرى والفرزدق " .

وقد يجد البغدادى أن الشاهد ورد فى شعرين لشاعرين مختلفين ، فربما أتى بالقصيدتين وقام بشرحهما كليتهما ، كما قد يجد ضمن قصيدة الشاعر بيتا أو أكثر قد استخدم فى إثبات قاعدة نحوية أخرى فينبه على ذلك ، ذاكرًا مكانه من الخزانة والقاعدة التى استخدم البيت شاهدًا عليها .

---

(١) الخزانة ١ : ٥١٧ بولاق .
(٢) الخزانة ١ : ٤٣٩ بولاق .
(٣) الخزانة ١ : ٣٤ بولاق .

٧ ـ ترجمة صاحب الشاهـــد :

يختتم البغدادى جولته مع الشاهد بترجمة وافية للشاعر صاحب البيـــت الشاهد ذاكرًا اسمه على أصح الأقوال ، وما اتفق عليه الرواة والمؤلفـون موردًا كل ما يتصل بشخصيته من أحداث ونوادر وطرائف ، موضحا مكانتـه بين الشعراء ـ فحوله و ضعفـــا ـ ومن حيث قول الشعر ـ كثرةً وقِلَّةً بل ويزيد على ذلك فيذكر سبب تسميته باسمه ، كما حدث فى ترجمـــة جرير فى الشاهد الرابع (١) حيث يقول : " وجرير بن عطية بـــن الخطفى بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب ابن يربوع بن حنظلة بن مالـك بن زيد مناة بن تميم . وجرير من الأسماء المنقوله ، لأن جرير حبل يكـون فى عنق الدابة أو الناقة من أدم ، كذا فى أدب الكاتب . وسمى جرير لأن أمّه كانت رأت فى نومها ـ وهى حاملةٌ فيه ـ أنها تلد جريرا ، فكـــان يلتوى على عنق رجل فيخنقه ، ثم فى عنق آخر ، ثم فى عنق آخر ، حـــتى يكاد يخلق عدة من الناس ... الخ ".

وقد لا يكتفى البغدادى بذلك بل يذكر أسماء كل من سموا باســـم الشاعر ، مثال ذلك ما فعله فى نفس الشاهد الرابع عند ذكر من سمـــوا جريرا ، حيث يقول : " وذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف من اسمـــه جرير من الشعراء سبعة : أحدهم هذا وتوفى سنة عشر ومائة قبل إحدى عشـرة ومائه ... الخ ". وحين يجد أن قائل الشعر قد سبقت ترجمته فـــى شاهد سابق يكتفى بالإشارة إلى موضع تلك الترجمة ذاكرًا رقم الشاهـــد حتى يسهل الرجوع اليها ، ومثال ذلك ما فعله فى الشاهد الثامـــن

---

(١) الخزانة ١ : ٣٦ بولاق .

والخمسين (١) عند ترجمة امرئ القيس ، حيث يقول : " وترجمة امرئ القيس تقدمت في الشاهد التاسع والاربعين ".

مثال تطبيقي على منهج البغدادي في الخزانة :

ما تقدم كان منهج البغدادي الذي رسمه لنفسه في تأليف خزانته ، وسار عليه لا يحيد عنه ولا يتحول الى سواه منذ بدأ في شرح الشاهد الأول حتى فرغ من شرح الشاهد السابع والخمسين بعد التسعمائة ، والآن نسوق مثالا تطبيقيا على ذلك المنهج هو عبارة عن شاهد مما حوته الخزانة ثم نثبت بعد ذلك بعض ما طرأ على هذا المنهج أثناء شرح الشواهد ومعالجة البغدادي لها ، حيث يقول :

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه (٢) :

(لم يَمنعِ الشُّربَ منها غيرَ أن نَطَقَتْ)

هذا صدر البيت ، وأنشده بتمامه في باب الظروف ، وتمامه :

(حَمامةٌ في غُصونٍ ذاتِ أَوْقـــالِ)

على أن (غير) إذا اضيفت إلى أنْ أو أنَّ المشددة ، فالاختلاف في جواز بنائها على الفتح ، فان قلت : أن حرف ، والحرف لا يضاف اليه ؟ قلت قال ابن هشام في حواشي الألفية : أنهم جعلوا ما يلاقي المضاف من المضاف اليه كأنه المضاف اليه ، ونظيره تعليل الزمخشري البناء في يوم في (يَومَ لا تَملِك (٣)) بإضافة يوم إلى لا ، والحروف مبنية ، مع علمنا بأن أحدًا لا يتخيل الإضافة إلى الحرف ، وجعل بعضهم المضاف اليه مجموع (ان نطقت حمامة) أو جملتها قال الدماميني في شرح المغني المزج : سئل بعض الناس

(١) الخزانة ١ : ١٨١ بولاق .
(٢) الخزانة ٢ : ٤٥ بولاق
(٣) الاية ١٩ من سورة الانفطار .

المضاف اليه فى تقدير معرب ، وهو النطق ، فلم تضف فى الحقيقة الا لمعرب ، فقلت : المعرب إنما هو الاسم الذى يُؤَوَّلُ به ، وأما الحرف المصدرى وصلته فمبنى ، ألا تراهم يقولون : المجموع فى موضع كذا ... الى آخر ما بينه . وظاهره جواز بناء (غير) عند إضافتها الى أحد هذين اللفظين من المبنيات لا غير وقد عمم سيبويه وغيره فى إضافتها إلى كل مبنى ، قال ابن هشام فى المغنى ، فى (غير) أنه يجوز بناؤها على الفتح إذا أضيفت لمبنى كقوله :

لم يمنعِ الشُّربَ منها غيرَ أنْ نطقَتْ .....

وقولـــه :

لذ بقيس حين يأبى عـــداه تُلْفِهِ بحرًا مُفِيضًا خَيْـــرُه

وذلك فى البيت الاول أقوى ، لأنه انضم إلى الإبهام والإضافة لمبنى تَضَمُّنُ غير معنى إلا ، وقال (فى الأمور التى يكتسبها الاسم بالإضافة ، من الباب الرابع) : إن البناء يكون فى ثلاثة أبواب : أحدها أن يكون المضاف مبهما كغير ، ومثل ، ودون . الثانى : أن يكون المضاف زمانا مبهما والمضاف اليه إذ ، نحو (ومن خزى يومئذ) (١) . الثالث : أن يكون المضاف زمانا مبهما والمضاف اليه فعل مبنى سواء كان البناء أصليا كقوله : على حين عاتبت المشيب (٢) أو عارضا كقوله : على حين يستصبين (٣) .

وكذلك يجوز البناء إذا كان المضاف اليه فعلا معربا أو جملة إسمية على الصحيح أ هـ .

وقد بين الشارح المحقق علة البناء فى الظروف وفى الإضافة . وقد ذهب الكوفيون إلى جواز بناء (غير) فى كل موضع يحسن فيه (إلا) سواء أضيفت إلى

---

(١) الاية ٦٦ من سورة هود .

(٢) هو صدر بيت للنابغة ، وتمام البيت :

على حِين عاتَبْت المشيبَ على الصِّبا فقلت ألَمَّا أَصْحُ والشيبُ وازِعُ)

(٣) هو قطعة من بيت وتمامه : (لا

لأَجْتَذِبَنَّ منهن قلبى تَحَلُّمًا على حِين يستَصْبِيَن كلَّ حليـــمِ)

متمكن أو غير متمكن • وقد بسط الكلام ابن الأنبارى فى مسائل الخلاف على مذهبهم وذكر مارد به البصريون عليهم مفصلا ، ومن أحب الاطلاع عليه فلينظره هناك •

وهذا البيت من قصيدة لابى قيس بن الأسلت • وقيله :

(ثم ارْعَوَيْتُ وقد طال الوقوفُ بنا ... فيها فصرت الى وَجْنَاءَ عملالِ
تُعطِيكَ مَشْيًا وإرْقَالاً ودَأْدَأَةً ... إذا تَسَرْبَلتِ الآكامُ بالآلِ
تُرْدِى الإكَامَ إذا صَرَّتْ جَنادِبُها ... منها بصُلْبٍ وِقَاحِ البَطْنِ عَمَّالِ
لم يمنعِ الشُّربَ منها غير أن نطقت ... . البيت)

قوله : ارعويت ، أى رجعت • والوجناء : الناقة الشديدة ، وقيل العظيمة الوجنتين • والعملال بالكسرة الخفيفة السريعة • وضمير فيها للدار • يريد : أنه طال وقوفه على دار حبيبته وليس فيها أحد • والإرقال مصدر أَرْقَلَتِ الناقة : إذا أسرعت ، وكذلك الدَّأْدَأَةُ مصدر دَأْدَأَتْ بمعناه ، وهما نوع من العدو • وقوله : إذا تسربلت الخ ، الظرف متعلق بقوله تعطيك ، يريد : وقت اشتداد الحر فى الظهيره ، لأن الآكام — وهى الحيال — انما تتسربل بالآل — وهو السراب — عند الظهيره ، والسربال : القميص ، وتسربل أى لبس سربالا ، الآكام فاعله ، وهو جمع أكم بضمتين ، كأعناق جمع عنق ، وهو جمع اكام بالكسر ، مثل كتب جمع كتاب ، والاكام أيضا جمع أكم بفتحتين ، مثل جبال جمع جبل ، أكم ايضا جمع أكمة بفتحات يقول : انها تشيطة فى العدو وقت الهاجرة • وقوله تردى الآكام الخ ، من ردى الشيء بالفتح يردى رَدْيًا ورديانا : إذا رجم الأرض رجما ، بين العدو والمشى الشديد • والآكام بالكسر : جمع أكم بفتحتين كما تقدم ، والأكمة الجبل الصغير ، وإذا متعلق بقوله تردى • وصرت : صوتت • والجنادب : جمع جندب ، وهو نوع من الجراد يصوت عند اشتداد الهاجرة وقوله : بصُلب ، أى بخف صُلب شديد • الوقاح بالفتح هو الصلب ومنه الوقاحة لصلابة الوجه • يريد : أن خفها ظهره وبطنه صلب ، وعمال بالفتح ، مبالغة عامل وهو المطبوع على العمل •

وقوله : (لم يمنع الشرب منها ... الخ) ضمير منها راجع للوجناء ، والشرب مفعول يمنع وفيه فاعله لكنه بنى على الفتح جوازا لإضافته إلى مبني . وروى الرفع أيضا . و(نطقت) : صوتت وصرخت ، عبر عنه بالنطق مجازا . و (في) بمعنى على . و (ذات) بالجر صفة لفصون ، لا بالرفع صفة لحمامة كما وهم ابن المستوفي في شرح شواهد المفصل . و (الأوقال) : جمع وقل بفتح الواو وسكون القاف ، قال الدينوري (في كتاب النبات) : قال أبو عبد الله الزبير بن بكار : المقل إذا كان رطبا لم يدرك فهو اليمبض ، فاذا يبس فهو الوقل : والدوم : شجر المقل . وأنشد هذا البيت أ هـ . وبهذا التفسير قد أصاب المحز وطبق المفصل ، وبه يضمحل التعسف الذي ارتكبه شراح الشواهد ، قال ابن السيرافي (في شرح شواهد اصلاح المنطق) : يريد لم يمنعها أن تشرب إلا أنها صوتت حمامة فنفرت . يريد : أنها حديدة النفس ، يخامرها فزع وذعر لحدة نفسها وذلك محمود فيها أ هـ .

و (أبو قيس بن الأسلت) قال صاحب الأغاني : لم يقع إليّ اسمه . والأسلت لقب (أبيه) واسمه عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عمارة ابن مرة بن مالك بن الأوس .. وهو شاعر من شعراء الجاهلية وكانت الأوس قد أسندت اليه حربها يوم بعاث ، وجعلته رئيسا عليها فكفى وساد وأسلم عقبة بن أبي قيس ، واستشهد يوم القادسية ، وكان يزيد بن مرداس السلمي قتل قيس بن أبي قيس في بعض حروبهم فطلبه بثأره هارون بن النعمان بن الأسلت ، حتى تمكن من يزيد بن مرداس فقتله بقيس — وهو ابن عمه — ولقيس يقول أبوه ، أبو قيس بن الأسلت :

أَقَيْسُ إِنْ هَلَكْتُ وأنت حَيٌّ ... فلا تَعْدَمْ مُواصَلَةَ الفَقِيرِ

وقال هشام بن الكلبي : كانت الأوس قد استدوا أمرهم في يوم بعاث الى أبي قيس ابن الأسلت ، فقام في حربهم وآثرهم على كل أمر حتى شحب وتغير ، وليث أشهرا

لا يقرب امرأته ، ثم إنه جاء ليلة فدق على امرأته ففتحت له ، فأهوى إليها بيده فدفعته وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس : فقالت : والله ما عرفتك حتى تكلمت !. فقال فى ذلك أبو قيس القصيدة التى أولها :

قالت ولم تَقْصِدْ لقِيلِ الخَنَى : مهلا فقد أبلغتَ أسماعى
استنكَرَتْ لونا له شاحبًا — والحربُ غولٌ ذاتُ أوجَاعِ
من يَذُقِ الحربَ يجدْ طعمَها مرًّا ، وتتركه بجعجاعِ
قد حَصَّتِ البيضةُ رأسَ فما أطعمُ نومًا ، غيرَ تَهْجَاعِ
أسعى على جُلِّ بنى مالكٍ كلُّ امرئٍ فى شأنِهِ ساعى
لا تألم القتلَ ، ونجزى به الـ أعداءَ كيلَ الصاعِ بالصاعِ

أهـ كلام الاغانى :

وقال ابن حجر (فى الإصابة) : أبو قيس بن الأسلت اسمه صيفى ، وقيل : الحارث ، وقيل : عبد الله وقيل : صِرمه وقيل غير ذلك .. واختلف فى إسلامه : فقال أبو عبيد القاسم بن سلام فى ترجمته ولده عُقْبَة بن أبى قيس : له ولأبيه صُحبة ، وذكر عبد الله بن محمد بن عمارة بن القداح بأسانيد عديدة : كان أبو قيس يحض قومه على الإسلام ، وذلك بعد أن اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه . وكان يتأله فى الجاهلية ويدَّعى الحنيفية ، وكان يقول : ليس أحد على دين ابراهيم إلا أنا وزيد بن عمرو بن نفيل وكان يذكر صفة النبى صلى الله عليه وسلم وأنه يهاجر إلى يثرب . وشهد وقفة بُعاث ، وهو يوم للأوس على الخزرج وكانت قبل الهجرة بخمس سنين . وزعموا أنه لما حضره الموت أرسل إليه النبى صلى الله عليه وسلم يقول له : " قل لا إله إلا الله أشفع لك بها " فسُمِعَ يقول ذلك : وقيل : قال : والله لا أسلم إلى سنه فمات قبل الحول . على رأس عشرة أشهر من الهجرة بشهرين . وقد جاء عن ابن إسحق : أنه هرب إلى مكة فأقام بها مع قريش إلى عام الفتح أهـ باختصار . وعلى هذا فكان ينبغى لابن حجر ألا يذكره فى القسم الأول وهم الذين جزم بصحبتهم .

وفى صاحب الأغانى بسنده إلى المبرد قال : قال لى صالح بن حسان : أنشدنى بيتا خيرا فى امرأة •• خضرة شريفة ، فقلنا : قول حاتم :

يُضِيءُ لها البيتُ الظليلُ خَصَاصَهُ إذا هىَ يومًا حاولتْ أن تَبَسَّمَا

فقال : هذه من الأصنام ، أريد أحسن من هذا ! قلنا : قول الأعشى :

كأنَّ مِشْيَتَها من بيتِ جارتِها مَرُّ السَّحَابَةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

فقال : هذه خراجة ولاجه ! قلنا : بيت ذى الرمة :

تَنُوءُ بأُخْرَاهَا فَلأْيًا قِيَامُهَا وتمشِى الهُوَيْنَى من قريبٍ فتَهْيَرُ

فقال : ليس هذا مما أردت ، إنما وصف هذه بالسمن وثقل البدن ! فقلنا : ما عندنا شىء ، فقال : قول أبى قيس بن الأسلت :

وَيُكْرِمُهَا جَارَاتُها فَيَزُرْنَهَا وتعتل عن إتْيَانِهِنَّ فَتُعْذَرُ

وليس لها أن تستهين بجارة ولكنها منهن تحيا وتحفز

ثم قال : أنشدونى أحسن بيت وصفت به الثريا ، قلنا : بيت ابن الزبير الأسدى :

وقد لاحَ فى الفَجْرِ الثُّرَيَّا كأنَّمَا به رايَةٌ بيضاءُ تَخْفُقُ للطِّعْنِ

قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : بيت امرئ القيس :

إذا ما الثريَّا فى السماءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ إثْنَاءِ الوِشَاحِ المُفَصَّلِ

قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : بيت ابن الطثرية :

إذا ما الثريَّا فى السماءِ كأنها جُمَانٌ وهَىَ من سِلْكِهِ فَتَصَرَّعَا

قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : ما عندنا شىء ، فقال : قول أبى قيس بن الأسلت :

وقد لاحَ فى الصُّبْحِ الثريَّا لِمَن رأى كمنقودِ مُلَّاحِيَّةٍ حينَ نَوَّرَا

قلل : فحكم له عليهم فى هذين المنيين بالتقدم • انتهى •

وهذا البيت الأخير من أبيات علم الصانى ولأجله أوردت هذه الحكاية •

تعقيب :

كثيرًا ما تُصَادِفَ البغدادى أثناء جولته مع الشاهد بعض الأمور التى تستدعى منه استطرادًا أو اطنابًا أو تدفعه إلى التدخل برأيه الشخصى حسما لهذه الأمور وقد رأيت تخصيص هذا التعقيب لتناول هذه الأمور وتصرف البغدادى فيها منعا للتطويل والاستطراء ، وحتى يخرج المنهج الذى اتبعه البغدادى — مترابطا آخذا بعضه بعناق بعض ، وإليك بعض هذه الأمور وتصرف البغدادى فيها .

١ — عند إثبات البغدادى لما قاله العلماء حول الشاهد ، قد يجد أن الكلام قد طال حول نقطة ما والقول قد تشعب حيال مسألة ما ، وذهب العلماء حيالها كل مذهب دون أن يصيب أحدهم جوهر الحقيقة ، فيضطر إلى التدخل برأيه هو لحسم الموقف ، إذ أحيانا ما نجده يكتفى بإبراز موضع الخلاف بقوله " وفيه نظر " ومختتما قوله بلفظة " فتأمل " تاركا عبء البحث والتمحيص على عاتق القارئ أو الباحث ومثال ذلك ما ورد فى شرح الشاهد السابع والخمسين ونصه :

(ثلاثٌ كلهُن قتلتُ عمْدا فأخزى اللهُ رابعةً تعودُ)

حيث يقول : " ونقل ابن خلف عن أبى على : أن ثلاث مبتدأ ، وكلهن قتلت خبر ، كأنه فى تقدير : زيد أخاه ضربته . وفيه نظر ، فإن الشاهد ليس من باب الاشتغال لعدم الضمير . فتأمل ". (١)

وأحيانا تجده يقف من العلماء وآرائهم المتعددة والمطولة حيال نقطة ما دون ما مبرر يدعو إلى ذلك موقف المنتقد العالم منبها على أن كل هذا الكلام لا داعى له ولا طائل تحته ، كما حدث فى الشاهد التاسع ونصه :

(يَحْجِلُ فيها مقلزِ الحَجُول بغيًا على شِقَّيْهِ كالمَشْلولِ)

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٨ بولاق .

عنـــــد الكلام على معنى لفظة (المِعْفَر) حيث يقول : " أقول : هـــذا تطويل بلا طائل ... " (١) . وكما حدث في الشاهد الثلاثين عند شـــرح البيت :

(أَرَمِي عليها وهيَ فرعٌ أجْمَعُ وهيَ ثلاثُ أذْرُعٍ وإصبـــعُ)

حيث يقول : " أقول : هذا كله تعسف لا ضرورة تدعوا إليه ، ومثل هذا قول ابـــن ليون في شرح شواهد الإيضاح : ويجوز نصبه نصب الظروف بقوله سما أي فَعَـــلَا مقدارَ خمسةِ أشبارٍ . أ هـ فإنه تعسف أيضا " . (٢)

وأحيانا أخرى نجد عبد القادر لا يكتفي بإظهار نقاط الضعف في أقـــوال العلماء ، ولا بمجرد تسجيل اعتراضه ونقده لإسرافهم وتعسفهم في تخريج المسائل والنكات ، بل يأتي هو بالرأي الراجح والقول المفصل فيما اختلفوا فيه : كما حـــدث في الشاهد الأول ونصه :

(يقولُ الخَنَى وأبغضُ العُجْمِ ناطِقا إلى ربِّنَا صوتُ الحِمارِ اليُجَدَّعُ)

عند الكلام عن معنى الضرورة وإيراد أقوال العلماء حيالها ـ على كثرتها ـ يقـــول البغدادي : " أقول : هذا مبني على أن معنى الضرورة عند هذا القائل ما ليـــس للشاعر عنه مندوحة ، وهو فاسد ... والصحيح تفسيرها بما وقع في الشعر دون الأمر سواء كان عنه مندوحة أولا " . (٣) وكذلك بعد اثبات ما قيل من أنه لا ضرورة فـــي الشاهد الأول حيث يمكن للشاعر أن يقول (يجدع) بدون أل لاستقامة الـــوزن ، وأن يقول المتفصع ، يورد عبد القادر قول شارح الألفية (٤) : " ذلك مسلم فـــي يجدّع دون المتقصع فإنه يلزم الانحدار وهو عيب " . ثم يتدخل برأيه رادًا علـــى الشاطبي ، وهما هو تقدم ورسخ قدم في مجال العربية وعلومها ، قائلا : " أقول : لا يلزمه ذلك ، فإن اليربوع مرفوع والمتقصع وصفه " . (٥)

---

(١) الخزانة ١ : ٥٧ بولاق .
(٢) الخزانة ١ : ١٠٥ بولاق .
(٣) الخزانة ١ : ١٤ بولاق .
(٤) هو الشاطبي في شرحه على ألفية ابن مالك .
(٥) الخزانة ١ : ١٤ بولاق .

وأحيانا يدلى البغدادى برأيه أهلا، العالم المتمكن ، معترفا لنفسه بمكانته العلمية ، شاعرا برسوخ قدمه على جادة العربية وعلومها ، حيث نجده فى الشاهد الثالث عند شرحه بيت امرئ القيس :

(وهل يَعِمَنْ من كان أحدثُ عهدِهِ ثلاثينَ شهرًا فى ثلاثةِ أحوالِ)

بعد أن يورد أقوال العلماء وآرائهم ، ويجد أنها لم تصب عين الحقيقة ولم تصادف الجوهر ، فيتدخل هو تدخل الواثق فيقول : " والقول فيه عندى أن الأحوال هنا جمع حال لا جمع حول " (١) . وكذلك ما جاء فى الشاهد الثالث والسبعين بعد المائتين ونصه :

(وما الدهرُ إلا مَنْجَفُونًا بأهلِهِ وما صاحِبُ الحاجاتِ إلا مُعَذَّبًا)

عند الكلام على إعمال (ما) مع انتقاض نفيها بإلا ، بعد أن يورد أقوال يونس وصاحب اللب والسيد عبد الله شارح اللب وابن هشام ، ويرى أن كلامهم مجانب للحقيقة ، يقول : " وعندى أن يكون من قبيل تأويل من قرأ (وحسن عصبة) بالنصب ، أى نُرَى عصبة . والظاهر أن هذا أسهل " (٢)

٢ ـ عندما يجد البغدادى أن الكلام قد طال حول الشاهد أو القصيدة التى انتزع منها الشاهد حتى استغرق صفحات عدة ، قد يحجم عن ترجمة صاحب الشاهد خشية التطويل والإسهاب ويوجئها إلى شاهد تالٍ من شواهد شعره كما حدث فى الشاهد الثالث حيث يقول : " وقد طال الكلام هنا ولم يمكننا أن نترجم لامرئ القيس وسنترجمه إن شاء الله فى الشاهد الثانى من شواهد شعره " (٣)

٣ ـ أحيانا نجد البغدادى يسوق الشاهد ثم لا ينسبه إلى قائله ، بل يغفل ذلك تماما دون إشارة تذكر ، وكأنما نسى أو تناسى ذكره ، أو ربما كان

---

(١) الخزانة ١ : ٣٠ بولاق .
(٢) الخزانة ٢ : ١٢٩ بولاق .
(٣) الخزانة ١ : ٣٤ بولاق .

يجهله فآثر إغفاله ، والله أعلم كما حدث فى الشاهدين الثالث عشر (١) والرابع عشر . (٢)

كما نجده عندما يورد بيتا شعريا ليدعم به معنى أو ليوضح به لفظة لا ينسبه إلى قائله ، بل يكتفى بقوله : "كما قال الشاعر" أو "وقال الآخر" إما لأنه لا يرى أهمية لذلك ، أو اعتمادا على أن ذلك القائل شهير معروف لدى الجميع أو لأنه يجهله ، كما حدث فى الشاهد الخامس عشر . (٣)

٤ ـ عندما يجد أن البيت الشاهد يتفق مع بيت من قصيدة أخرى لشاعر آخر ينوه عن ذلك ، وعندما يجد أن هذه القصيدة الأخرى من جيد الشعر وعيونه يأبى إلا أن يثبتها كاملة ثم يورد بيتا بشرح لجمالى مستفيض ثم يترجمه وافية لقائلها كما حدث فى الشاهد الخامس عشر بعد المائه حينما أورد قصيدة مالك بن الريب على طولها ثم شرحها وأتبع ذلك بترجمة وافية لمالك . (٤)

وقد يجد البيت الشاهد قد ورد فعلا فى شعرين لشاعرين ، وحينئذ يورد القصيدتين اللتين ورد فى كل منهما الشاهد ناسيًا كلا منهما لقلتها والسبب الذى من أجله قيلت ، كما حدث فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائتين . (٥)

٥ ـ عندما يجد البغدادى أن القول قد تفرق والحديث قد تشعب حول لفظة ما أو فى نسبة شاهد إلى قائلة دون أن يتفق العلماء على رأى ولا يميل هو إلى ترجيح شخص فى ذلك ، يورد كل آراء العلماء ناسيًا كل رأى لصاحبه حتى

---

(١) الخزانة ١ : ٦٢ بولاق .
(٢) الخزانة ١ : ٦٤ بولاق .
(٣) الخزانة ١ : ٦٦ بولاق .
(٤) الخزانة ١ : ١١٧ بولاق .
(٥) الخزانة ٢ : ٧ بولاق .

يلقى التبعة عن كاهلة خاتما الحديث بقوله : " والله أعلم " كما حدث فى الشاهد الثانى والخمسين (١) عند الكلام عن أعشى طرود ، حيث يقول : " وفهم من هذا أن أعشى طرود إسلامى ، لكن لم يعلم ما هو : صحابى أم تابعى ؟ والله أعلم . " وقد يختم قوله أحيانا بعبارة : " والله أعلم بحقيقة الحال " كما ورد فى الشاهد الثمانين بعد المائتين عند الكلام عن قائل الشاهد ، فبعد أن أورد كل الروايات حوله يقول : " وقال العينى : قائله محمد بن عيسى بن طلحة ابن عبيد الله التيمى ، ويقال مهلهل بن مالك الكنانى . والله أعلم بحقيقة الحال " . (٢)

٦ — عندما يصادف البغدادى شاهدا قد سبق ذكره والكلام عليه ، يذكره مع التنويه على القاعدة النحوية التى سبق إيراده دليلا عليها دون ترقيمه فى سلسلة الشواهد ، بل يشير إلى رقمه فى الموضع السابق ، وقد أمكن حصر تلك الشواهد المكررة والتى وردت دون ترقيم فى الخزانه فوجدتها نحوا من مائتين وواحد وأربعين شاهدا . إلا أن البغدادى قد [illegible] عندما أورد الشاهد الثالث والستين ونصه :

(ألا يا نخلةً من ذاتِ عِرْقٍ عليكِ ورحمةُ اللهِ السلامُ) (٣)

فى باب المنادى وأعطاه الرقم الرابع عشر بعد المائه فى سلسلة الشواهد (٤) وجل من لا يسهو .

٧ — قد يورد البغدادى عبارة لأحد العلماء ثم يجد أنها غامضة صعبة الفهم ، فيعود ويتناولها بالشرح والتفسير وإجلاء ما يكتنفها من غموض ، ومثال ذلك ما حدث عند شرح الشاهد الثلاثين بعد أن أورد كلام ابن جنى ، يقول : " وهذه عبارة قلقة [illegible] المراد منها فينبغى شرحها " ، ثم بعد أن ينتهى من شرحها يوجز المقصود منها فى عبارة غاية فى الإيجاز حيث يقول : " والحاصل : أن ما هو لازم ليس بمحذور ، وما هو محذور ليس بلازم ، هكذا ينبغى أن يفهم هذا المقام " (٥) .

---

(١) الخزانة ١ : ١٦٦ بولاق
(٢) الخزانة ٢ : ١٤٧ بولاق
(٣) الخزانة ١ : ١٩٢ بولاق
(٤) الخزانة ١ : ٣١٢ بولاق
(٥) الخزانة ١ : ١٠٢ بولاق .

٨ ـ بعد أن يستكمل البغدادى رحلته مع الشاهد وقائله وقصيدته ، قد يجد أن هناك من المعلومات ما يستحب إثباته تتميما للفائدة فلا يخل بـــه ، وكأنى به يريد أن يضع الحقائق كاملة والمعلومات برمتها بين يدى الباحـــث فأحيانا يثبت هذه المعلومات تحت عنوان " تتمة " ومثال ذلك ما ورد فى نهايـــة شرح الشاهد الرابع والأربعين بعد المائه (١) ، وأحيانا يوردها تحت عنـــوان "فائدة " ومثالها ما ورد فى نهاية شرح الشاهد الثانى عشر بعد المائه (٢) وتارة لا يضع لها عنوانا مستقلا وإنما يكتفى فى ذلك بقوله : " واعلم أن ... " ومثالهـــا ما ورد بعد شرح الشاهد الرابع عند الكلام عن جمرات العرب . (٣)

وكأنما يريد بهذه العنوانات المستقلة أن يُفهِم القارئ أن هذه المعلومـــات لا تتصل بالشاهد بسبب قوى وإنما هى للاستزادة العلمية فحسب .

٩ ـ يَنْهَجُ البغدادى أحيانا أسلوب الحوار لإظهار الحقائق واضحة جليـــة لا يشوبها لبس ، فكأنما يتمثل الباحث ماثلا بين يديه يحاوره فيما قد يكتنف القاعدة من لبس وما يحوطها من غموض ، ويقوم هو بالرد عليه بأسلوب العالم المتمكن بما تيسر له من سعة اطلاع وطول باع ، ومثال ذلك ما ورد فى ثنايا شـــرح الشاهد الثمانيـــن بعد المائتين ونصه :

(ولا وِيَ ساعةَ مَنَـــــدَمِ) (٤)

عند الكلام على عمل (لات) حيث يقول : " فإن قلت : إنهم قالوا (لات) لا تعمل إلا فى اسم زمان منكر ... قلت : إنهم قالوا (منهم ابن هشام فى المغنى) : إن (لات) لا تعمل فى معرفة ظاهرة فمفهومه أنها تعمل فى معرفة مقدرة ...

---

(١) الخزانة ١ : ٣٩٥ بولاق
(٢) الخزانة ١ : ٣١١ بولاق .
(٣) الخزانة ١ : ٣٦ بولاق .
(٤) الخزانة ٢ : ١٤٥ بولاق .

فإن قلت : اجعل حاصلا صفة زمان محذوف ، أى حينا حاصلا ونحوه ،
قلت : شرط هذا اختصاص الصفة بالموصوف ، وما هنا ليس كذلك ،

١٠ ـ قد يلجأ البغدادى إلى أسلوب التحليل والتفصيل كلما استدعى المقام ذلك حتى يورد الحقيقة مفصلة مدعمة بأقوال من تناولها من العلماء السابقين حتى لا يدع للباحث مجرد الشك أو الريب فى صحتها ، ومثال ذلك ما ورد فى شرح الشاهد السابق أيضا (١) عند الكلام على الاختلاف فى حقيقة (لات) وعملها حيث يقول : " ... فإنهم قد اختلفوا فى حقيقتها على ثلاثة مذاهب (٢) ، كما اختلفوا فى عملها ،

فالاول فيه أربعة مذاهب :
(أحدهما) أنها كلمة واحدة فعل ماض ، وفيه قولان : أحدهما أنها فى الأصل بمعنى نقص ، من قوله تعالى : (لا يلتكم من أعمالكم شيئا) (٣) ، فإنه يقال لات يليت كما يقال أَلِتَ يَأْلِتُ ، وقد قُرِئَ بهما .... والقول الثانى : أن أصلها ليس أبدلت سينها تاء ، كما قالوا ست والاصل سدس بدليل التصغير على سديس والتكسير على أسداس فصارت ليت ، ثم انقلبت الياء ألفا لتحركها فى الأصل وانفتاح ما قبلها ، إذ أصلها عندهم ليس بكسر الياء فصارت لات ، فلما تغيرت اختصت بالحين ،

والمذهب الثانى أنها كأن : لا النافية ، والتاء للتأنيث ، كما شرحه الشارح المحقق ـ وهذا مذهب الجمهور ،

---

(١) الخزانة ٢ : ١٤٦ بولاق شاهد ٢٨٠ ،
(٢) فى حواشى الطبعة الاولى : " قوله على ثلاثة مذاهب ، هكذا بالأصل والصواب أربعة ، بدليل ما بعده ، نعم إن ابن هشام فى المغنى اختصر على ثلاثة مذاهب وهى ما عدا الاخير هنا " وهذا الهامش نقلناه من نسخة دار الكاتب العربى ٤ : ١٧٢ ، تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون
(٣) الاية ١٤ من سورة الحجرات

والثالث أنها حرف مستقل ليس أصلها ليس ولا لا ، نقله الشاطبي في شرح الألفية .

والرابع أنها كلمة ومعناها كلمة ، وذلك أنها لا النافية والفاء زائدة في أول الحين .. ثم يستطرد البغدادي متبعا طريقته في التحليل والتفصيل ، حيث يقول : " وأما الاختلاف في عملها ففيه أربعة مذاهب أيضا .

(أحدهما) أنها لا تعمل شيئا ، فإن وليها مرفوع فمبتدأ حذف خبره أو منصوب فمفعول بفعل محذوف وهو قول الأخفش ، والتقدير عنده في الآية : لا أرى حين مناص ، وعلى قراءة الرفع ولا حين مناص كائن لهم .

(الثاني) أنها لا تعمل عمل لا البرئة وهو عمل إن . وهذا قول آخر للأخفش والكوفيين .

(الثالث) : أنها حرف جر عند الفراء على ما نقل عنه .

(الرابع) : أنها تعمل عمل ليس ، وهو قول الجمهور .

شرح شواهد الشافيـــــــة

الشافية هى ذلك الكتاب الثانى الذى أخرجه للناس ابن الحاجب وقصره على علم الصرف، بعد أن أخرج الكافية وخصه بعلم النحو ، ومنها استقى ابـــن مالك منظومته " الشافية الكافية " بعد أن ضمنها علمى النحو والصرف(١)، وقد قـــام بشرح الشافية العالمين الجليلين الرضى والجاربردى، ثم قام عالمنا عبد القـــادر البغدادى بشرح شواهد شرحهما شرحا يروى غلة الصادى ، ويهتدى به كـــــل حاضر وبادى .

ويوجد من ذلك المصنف الهام نسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية :
أولاهما : بعنوان " شرح شواهد الشافية لعبد القادر البغدادى " ، وهى مجلد يقع فى (٣٧٣) صفحة ، وتبدأ بفهرس للشعراء الذين ترجم لهم البغـــدادى فى شرحه على الشافية وعدتهم أربعة وثلاثون ، وباقى التراجم مما سبق إثباتـــه فى خزانة الأدب أشار اليه فى موضعه ذاكرا رقم الشاهد الذى ورد فيه ثم ختم الفهرس بهذه العبارة " نقل من خط مؤلفة العلامة الفاضل الشيخ عبد القـــادر ابن عمر البغدادى رحمه الله تعالى " مما يقطع بأن هذه النسخة منقوله من نسخـة المؤلف الأصلية ، وقد دون الشنقيطى على هذه الصفحة عبارته التقليدية " ملكـــه محمد محمود بن التلاميد التركزى ثم وقفه على عصبته من بعده وقفا مؤبدا فمـــن بدله فإثمه عليه وكتبه وأوقفه محمد محمود غرة ذى الحجة عام ١٢٩٨ " .

ثم تبدأ النسخة بخطبة للبغدادى يقول فيها : " بسم الله الرحمن الرحـيم وبه الموفق ـ الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد أفضل المرسليـن وعلى آله وأصحابه الطاهرين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين ، وبعد ـ فلما فرغـت بتوفيق الله من شرح شواهد الكافية لجم الأئمة الشيخ الرضى الاستراباذى رحمـــه الله وتجاوز عنه رأيت أن الحق به شرح أبيات شواهد الشافية له أيضا وهى مائـــة وستة وتسعون بيتا لكونها ككتاب واحد متنا وشرحا ، فكذلك ينبغى أن يكون شـــرح

(١) مقدمة الخزانة ـ تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون .

أبياتهما ، وأشار الى بعض الافاضل بأن أضم إليها أبيات شرح المحقق العلامة أحمد بن الحسن الجاربردى التى انفرد بها لمسيس الحاجة إليها لكثرة تداولها تدريسا ومراجعة حتى يعم النفع وهى اثنان وخمسون بيتا فأجبته الى ذلك وشرعت مستعينا بالله ذى الطول والإعانة فى يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين وألف أسأل الله إتمامه والنفع به آمين ".

ثم يبدأ المتن بشرح شواهد " أبنية الاسم " وأولها ما أنشده الجاربردى :

(فَهْوَ ذَا القدّ رجا الناسُ الغِيَر مَن أمرِهِم على يديْك والنُّذُرْ
من آل صُعْقُوقٍ وأتباعٍ أُخَرْ الطاعنين لا يُبَالُونَ الغمر)

وتنتهى المخطوطه بشرح الشاهد التاسع والأربعين بعد المائتين ونصه :

(همُ الأُلَى إنْ فاخروا قال العَلِي بَغْىُ امرئٍ فاخَرَكُم عَقْدَ البَهِي)

وبالنسخة بعض إضافات وتصويبات بخط الناسخ ، مثال ذلك ما جاء بالصفحة التسعين ونصه :

" قوله ابن عمر ليس هو ابن عمر بن الخطاب كما يظن بعض العوام بل هو ابن عمر من بلدة برقية . انتهى ز " .

كما أن بها بعض تحقيقات نادرة للشنقيطى ، ومثال ذلك ما جاء بالصفحة (٢٨٨) ما نصه : " كذا بخط المؤلف ـ لم يبين الوزن الأول والصواب أن يقول وقلبت أفعل " . كما كتب الشنقيطى فى هامش فهرس الشعراء الذين ترجم لهم البغدادى فى شرح الشافية ما نصه : " كذا بخط المؤلف ـ والصواب أن تعنيا فى التاسع والثلاثين بعد المائتين وكتبه محمد محمود بن التلاميد لطف به " . وهذه المخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٤ صرفش) .

وثانيتهما : نسخة مخطوطة بعنوان " شرح شواهد الشافية لعبد القادر البغدادى رضى الله عنه آمين " . وتقع فى (٢٣٠ ورقة) ، تبدأ بخطبة المقدمة للمؤلف . ثم يبدأ فى شرح الشواهد حتى ينتهى بشرح الشاهد التاسع والاربعين بعد المائتين ، وعلى هذه المخطوطة بعض التحقيقات والتصويبات كذلك .

وتختم هذه المخطوطة بهذه العبارة " وكان الفراغ من تسويد هذه الأوراق بعد المغرب من ليلة الجمعة الثالثة عشر من صفر الخير عام ثمانين وألف من الهجرة النبوية ـ قال ذلك وكتبه مؤلفه الفقير الى رحمة ربه وغفرانه عبد القادر بن عمر البغدادى لطف الله به وبآبائه وجميع المسلمين آمين . إنتهى من خط المؤلف " . ثم يأتى بعد ذلك فهرس الشعراء الذين ترجم لهم المؤلف فى خزانته .

وقد تم نسخ هذه المخطوطة صباح يوم الأحد المبارك لست خلت من ربيع الثانى سنة ألف وثلاثمائه واحدى وأربعين هجريه من مخطوطة الشنقيطى وقوبلت على نسخة المؤلف الأصلية حيث يوجد بها فى الصفحة (٢٤١) عبارة (مطابق لأصله) ، وكذا بها فى الصفحة (٢٢١) عبارة " قوبل على الأصل " ، وكذا بها فى الصفحة (٣٥٣) عبارة "كذا بخط المؤلف " . وهذه النسخة الثانية محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٢٨٥ صرف) .

طريقة تأليف شرح شواهد الشافية :

إتبع البغدادى فى تأليف شرح شواهد الشافية ما اتبعه فى تأليف الخزانة ، فقد سار فى شرح شواهد الشافية على النظام الاتى :

١ ـ طريقة التبويب :

حيث قسم مصنفه تبعا لأبواب النحو المعروفة ، ثم يدرج تحت كل باب ما يتصل به من الشواهد .

٢ ـ اثبات الشاهد :

يثبت الشاهد موضحا إياه بالحروف ، ذاكرًا اسم من استشهد به قبله مثال ذلك قوله : " وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد المائة وهو من شواهد سيبويه ".

٣ ـ شرح الشاهد :

ثم يثنى بشرح الشاهد لغويا ونحويا مع ذكر كل الأقوال التى قيلت فيه .

٤ ـ ترجمة صاحب الشاهد :

عند ترجمة البغدادى لصاحب الشاهد ، إذا وجد أنه قد سبقت ترجمته فى الخزانة نبه عليه دون أن يترجم له مرة ثانية بل يكتفى بالإشارة إلى مكانة فى الخزانة ، مثال ذلك ما فعله فى نهاية الشاهد الرابع والسبعين بعد المائه عند ترجمة عبيد بن الأبرص حيث يقول : " وعبيد بن الأبرص بفتح العين وكسر الموحدة شاعر جاهلى ترجمناه فى الشاهد السادس عشر بعد المائه من شواهد شرح الكافية ".

وأما من لم يسبق ترجمته فى الخزانة فيترجم له ، كما حدث عند ترجمة الشاطبى فى ختام الشاهد المائة ، حيث يقول : " والشاطبى هو أبو القاسم بن خيرة بن خلف بن احمد الرعينى الشاطبى نسبة إلى شاطبة قرية بجزيرة الأندلس كان إماما فى القرآن والحديث والنحو واللغة فى شدة فكه ، وكراماته تلوح منه ، ولد آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائه ، فيكون عمره أقل من اثنين وخمسين سنة ، وهذه القصيدة فى القراءات السبع سماها (حرز الأمانى ووجه التهانى) ولها شروح تفوق الحصر ، وأجلها الشروح الثلاثة وشرح الإمام علم الدين السخاوى تلميذ المصنف وهو أول من شرحها وشرح أبى عبد الله الفاسى رحمهم الله تعالى ونفعنا بعلومهم ".

وقد بلغت عدة من ترجم لهم البغدادى فى شرح شواهد الشافية ولـــم يسبق أن ترجم لهم فى الخزانة أربعة وثلاثين شاعرا كما هو موضح بالفهرس المخصص لهم والمختوم بهذه العبارة " نقل من خط المؤلف العلامة الفاضل الشيخ عبـــد القادر بن عمر البغدادى رحمه الله تعالى آمين ".

مثال تطبيقـــى :

والآن نسوق مثالا تطبيقيا على أسلوب البغدادى فى تأليف شرحـــــه لشرح شواهد الشافية وهو أحد شواهدها حيث يقول :

وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد المائتين وهو من شواهـد س : (١)

(هو الجَوادُ الذى يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عفوا ويُظْلَمُ أحيانا فَيَظْلِمُ)

على أنه جاء بالأوجه الثلاثة وهو ترك الإدغام . والإدغام على الوجهيـــن بالظاء والطاء ، وقال ابن جنى فى سر الصناعة روى على أربعة أوجه هذه الثلاثـــة والرابعة فيظلم وهذه ينفصل ، وأورده سيبويه على الإدغام بالوجهين قال الأعلـــم : الشاهد فيه قلب الطاء من يظطلم ظاء معجمة لمّا أراد إدغام الطاء فيها والظـــاء أصلية والطاء مبدلة من تاء الانفعال الزائدة ، فلما أرادوا الإدغام قلبوا الأصلـــى ليدغم فيه الزائد والأقيس الأكثر فيظلم بطاء غير معجمة لأن حكم الإدغام أن يدغـــم الأول فى الثانى ولا يراعى فيه أصل ولا زيادة . والبيت فى هرم بن سنان المـــزنى ، ومعنى يُظْلَمُ يُسْأَلُ فى حال عسرته ويكلف ما ليس فى وسعه فيتظلم أى يتحمل ذلـــك ويتكلفه . انتهى .

---

(١) مخطوطة الشنقيطى (٣٦٢) وهو من شواهد الادغام .

والبيت من قصيدة لزهير بن أبى سلمى مدح بها هوم المذكور ، وأولها :

قِفْ بالدِّيارِ التى لم يَعْفِها القِدَمُ بلىً وغيَّرَها الأرواحُ والدِّيَمُ

والسائل الإحسان والمفقود ما كان سهلا من غير مطل ، ومعنى يظلم أحيانا الخ أنه يطلب منه فى غير وقت الطلب ولا موسمه فيعطى جعل السؤال منه فى غير وقت السؤال ظلما ، وجعل إعطاءه ما سئل على تلك الحال وتكلفه لذلك إظلاماً .

شرح شواهد المغـــــنى

هو ذلك المصنف الذى ألفه ابن هشام الأنصارى بعنوان " مغنى اللبيـــب عن كتب الأعاريب " وهو يعتبر من أهم المصنفات التى عنيت بشواهد العربية وعلومها ، ويحتوى على تسعمائه وستة وأربعين شاهدا ، قام البغدادى بشرحها شرحا وافيـــا مستفيضا فى كتابه المسمى " شرح شواهد المغنى " الذى نحن بصدده .

والكتاب مخطوط فى مجلدين ضخمين مودع بدار الكتب المصرية برقـــــم (٢ نحو ش) ، وهو نسخة خاصة بالعالم الشنقيطى تمت له سنة ألف وثلاثمائـــة وعشرين وقت إقامته بالقسطنطينيه لأحمد بن حسونه القفصى السوسى .

ويقع المجلد الاول فى (٥٤١) ورقة ، ويشتمل على شرح الشواهد مـــن الأول وحتى الانشاد الحادى والعشرين بعد الثلاثمائه ونصه :

(إذَا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللوم عِرضُه فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ)

وقد صدره الشنقيطى بعبارته التقليدية (ملكة بفضل ربه وكرمه محمد محمـــود بن التلاميد التركزى المعروف بالشرق بالشنقيطى ثم وقفه كسائر كتبه على أهل العلـــم من عصبته وقبيلته وعلى جميع أهل العلم من سائر قبائل سكان أرض شنقيط ذكورهـــم وإناثهم ، وشرط ألا يباع ولا يوهب ولا يرهن ولا يمنع من مستحق آمين ، وكتبه مالكـــه ووافقه محمد محمود لطف الله به آمين . غرة المحرم سنة ١٣٢١ " . ثم يبدأ المجلد بفهرس للشواهد مرتبة حسب ورودها فى الشرح مع أسماء الشعراء يقع فى خمس عشـــرة صفحة ، وتوجد بهوامشة استدراكات وتصويبات كثيرة بخط الكاتب ربما لخطأ وقـــع فيه أو لسهو فرط منه ، مثال ذلك ما جاء بهامش الصفحة (٢٩) ما نصه " قلت نعـــم ومادحك يا أمير المؤمنين ، فأذن لى أنشدك أبقاك الله ، فقال بل هات " . وما ورد

كذلك بهامش الصفحة (٩٣) ما نصه " ... بعده بالجزاء فلما ارتفع الفعل علمت أن معتمد اليمين إنما هو على اللام الثانية . انتهى . ولا يخفى أنه يرد عليه أيضا أنه إنما ينجزم الفعل ... " . كذلك توجد عليه بعض إضافات وتحقيقات للشنقيطى بخطه ، مثل ما جاء بهامش الصفحة (٥٣) ما نصه : " قلت صوابه بالبناء للفاعل ـ وكتبه محققه محمد محمود التركزى " . وقد ختم الناسخ المجلد بهذه العبارة الخاتمة : " وكان الفراغ من نسخ هذا الجزء فى أوائل شوال سنة تسع عشرة وثلاثمائه وألف من هجرة من له الفرد البشرى على يد كاتبه الفقير إلى رحمة ربه القدير أحمد بن حمونه القضى السوسى عامله الله بلطفه الخفى آمين " .

أما المجلد الثانى فيقع فى (٥٦٠) ورقة ، وقد صدره الشنقيطى بهذه العبارة أيضا : " ملكه بفضل ربه وكرمه محمد محمود بن التلاميد التركزى ثم وقفه كسائر كتبه على عصبته وقبيلته أهل العلم ثم على سائر أهل العلم مع جميع قبائل الشنقيط الساكنين أرض شنقيط ذكورهم وإناثهم وشرط ألا يباع ولا يرهن ولا يوهب ولا يمنع من مستحق آمين ، فمن خالف شرطه أو بدل له أو غيره فالله وكيلى ونعم الوكيل هو حسبيه وكتبه مالكه وواقفه محمد محمود المشهور فى المشرق بالشنقيطى غرة المحرم سنة ١٣٢١ " . ثم يبدأ المجلد بفهرس للشواهد والشعراء مرتبة الشواهد فيه بحسب ورودها فى الكتاب ، ويشتمل على شرح الشواهد من الانشاد الثانى والعشرين بعد الثلاثمائه ونصه :

(وكلُّ رفيقى كل رحلى داه هما ... كماطى القنا قوما هما اخوان)

وينتهى بشرح الانشاد السادس والاربعين بعد التسعمائه ونصه :

(إنَّ مَنْ صانعٌ لمشئوم ... كيف من صاد عقعقا ن من اليوم)

وعليه استدراكات وتصويبات أيضا بخط الكاتب ، مثال ذلك ما ورد بالصفحة (٨٦٣) عند شرح الانشاد الثانى والتسعين بعد السبعمائه ونصه : " زيد مبتدأ خبره حيذا وأن يكون حيذا مبتدأ خبره زيد ... " . وكذلك ما جاء بهامش الصفحة (٧٦٩) عند شرح الانشاد السابع والأربعين بعد السبعمائه بعد عبارة (أى رجل أخاك) ما نصه : " إذا جعلته خبرًا ويراد به المدح والتفخيم كأنك قلت نهاية فى الرجولية أخوك " . وعليه أيضا إضافات وتحقيقات بخط الشنقيطى ، مثل ما جاء بهامش الصفحة (٢٦٣) أثناء شرح الانشاد الثانى والثلاثين بعد الأربعمائه بعد عبارة (وموهف اسم فاعل من أرهفه) ما نصه :

" قلت صوابه إسم مفعول لا فاعل ... وكتبه محققه محمد محمود التركزى لطف الله به آمين " .

وقد ختم البغدادى شرحه لشواهد المغنى بهذه الخطبة الخاتمة " وهذا آخر الأبيات التى ختم المصنف بها كتابة وقد من الله علينا فى أن وقفت لشرح أبياته من الأول الى الآخر ، بعد أن يكاد يذهب بالبصر يزيد شديد " ، فإننى لما وصلت الى الانشاد الثالث والأربعين بعد الستمائه حدث لى شقيقة وذهبت بها عينى اليمنى وانطبقت عليها اليسرى وذلك فى اليوم الرابع من ذى الحجة ختام سنة سبع وثمانين وألف فرمدت عينى بتزله حادة مدة ثلاثين يوما ، ففترت النازلة فانفتحت عيناى بعض الانفتاح وهى تحب التغميض ، فما زالت موجعه ونورها ينقص إلى أن كدت لا أبصر شيئا حتى أنعم الله على بإبصارها ، فرجعت فى تكميل شرح الأبيات فى غرة ربيع الأول من شهور سنة إحدى وتسعين بعد الألف ، ولله الحمد على هاتين النعمتين ، ثم شرحها فى وقت العصر من يوم الجمعة السادس من شهر رجب من السنة المذكورة ، ولكنا استعجلنا فى أواخر هذا الشرح لتصميم العزم إلى القسطنطينية لأمر عرض ، فتم

قبل السفر بخمسة أيام " وكان ابتداء الشروح في الشرح في الساعة السابعة من الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان المبارك من السنة السادسة والثمانين بعد الألف من الهجرة "•

ومن هذا التحديد الدقيق بالساعة واليوم والليلة والشهر والسنة نرى أن شرح البغدادي لأبيات مغني اللبيب لابن هشام قد استغرق حوالي خمس سنوات تقريبا •

كما ختم الناسخ المجلد الثاني بقوله : " وكان الفراغ من نسخ هذا الجزء الأخير عشرين يوما خلت من رجب الأحب سنة عشرين والثلاثمائه وألف بعد الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وأزكى التحية وذلك وقت إقامتنا بدار الخلافة المعظمى الإسلامية القسطنطينية صانها رب البرية من كل آفة وبلية ، وكاتب الجزء الأول والثاني هو عبد ربه تعالى احمد بن حسونه القفصي السوسي غفر الله له ولوالديه ولاقاربه ، وكافة المسلمين •

توجد نسخة من شرح البغدادي لشواهد المغني بمكتبة أيا صوفيا بالقسطنطينية برقم (٤٤٨٩) وهي في مجلد واحد (١) ، وقد تكون هي الأصل الذي أخذت عنه مخطوطة الشنقيطي ، وإلا فلا يبعد أن يكون ذلك الأصل موجودا في احدى خزائن القسطنطينية •

طريقة تأليف شرح شواهد المغني :

سار البغدادي في شرحه لشواهد مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري على نفس النهج الذي اختطه لنفسه في شرحه لكل الشواهد الأخرى • حيث يقوم بإثبات الشاهد ، ثم يعالجه نحويا ولغويا موردا كل أقوال العلماء بشأنه ثم يمر على ترجمة

---

(١) خلاصة الاثر ٢ : ٤٥٣

القائل وسبب قوله لهذا الشعر ، مع ذكر شيء من القصيدة التي انتزع منها الشاهد متناولا إياه بالشرح حتى يبدو الشاهد في بيئته الطبيعية كلما أمكن ذلك .

مثال تطبيقي :

وإليك أحد شواهد مغني اللبيب عن كتب الأعاريب التي تناولها البغدادي بالشرح نسوقه كمثال تطبيقي على منهج البغدادي الذي سلكه في شرحه هذا .

يقول البغدادي :

" وأنشد بعده ، وهو الإنشاد الواحد والخمسون بعد الثلاثمائة " (١)

(فللموت تغذو الوالدات سخالها كما لخراب الدور تبنى المساكن)

على أن اللام لام الصيرورة — تقدم عن أبي حيان ما نافيه عند شرح قوله (فخر صريعا لليدين وللفم) وتغذو بالعين المعجمة من الغذاء بالكسر والمد وهو اسم ما يتغذى به من الطعام والشراب ، وغذا الطعام الصبي يغذوه من باب علا اذا انجع فيه ، ويقال وغذوته باللبن أغذوه أيضا . والسخال جمع سخلة ، قال الأزهري : تقول العرب لأولاد الغنم ساعة تضعها أمهاتها من الضأن والمعز — ذكرا كان أو أنثى — سخلة .

والبيت نسبة ابن عبد ربه في العقد الفريد إلى سابق البربري ، وكذا نسبه إليه صاحب كتاب التفسح في اللغة وهو أبو سعيد سابق بن عبد الله له أشعار لطيفة في الزهد ، وهو من موالي بني أميه ، سكن الرقة ووفد على عمر بن عبد العزيز وله معه حكايات لطيفة ، وروى عنه مكحول وغيره . والبربري يرى نسبة إلى البربر وهي بلاد كثيرة في المغرب . قال ابن الأثير في الأنساب : الصحيح أن سابقا البربري ليس منسوبا إلى البربر وإنما هي لقب له .

(١) مخطوطة الشنقيطي ٢ : ٨١

شرح شواهد التحفة الوردية

التحفة الوردية مقدمة فى النحو مختصرة مما نظمة الحادى الصغير فى كتابه البهجة من نحو خمسة آلاف بيت ، ألفها وقام بشرحها ابن الوردى ، ولما كان قد استشهد فى شرحه لبعض الأحكام بأبيات يصعب فهمها لأنها من أشعار العرب القديمة ذات الألفاظ الغريبة والنكات العميقة ، فقد قام عبد القادر البغدادى بشرح ذلك الشرح شرحا ميسرا يسهل استيعابه والاستفادة منه .

ويقع شرح البغدادى هذا فى مجلد من (٢٨٠) ورقة وهو مخطوط ومحفوظ بالخزانة التيمورية برقم (٢٧٣ نحو تيمور) ويحوى المجلد مائتين واثنتى عشر شاهدا ، وقد كتب بالخط النسخ المتقن ، والشواهد غير مرقمة ومدونة بالمداد الأحمر بينما الشرح بالمداد الأسود .

كما توجد منه نسخة مخطوطة فى (١٨٧ صفحة) ملحقة بشرح شواهد الشافية من كتب الشنقيطى المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٣ صرف ش) . ومخطوطة الشنقيطى هذه قد صدّرها الشنقيطى بعبارته التقليدية " ملكه بفضل ربه وكرمه محمد محمود بن التلاميد التركزى ثم وقفة على عصوته بعده ، وقفا مؤبدا فمن بدله فاثمه عليه وكفية محمد محمود نصف ذى القعدة سنة ١٢٩٨ " . وللشنقيطى على مخطوطته إضافات وتصويبات مثل ما دونه بجانب عبارة (الوزير الأعظم والدستور الأنجم) من خطبة المقدمة للبغدادى ما نصه " ابن الوزير الأعظم والدستور الأكرم نسب كيفما تصفحت صافحت عليه وبياجة الانتساب مثل بيت الإله من أن ما وجهت وجهله فأنت فى محراب مولاى أحمد ابن مولاى محمد " . ومثل ما دونه فى الهامش من الصفحة (٣٥) بجانب الشاهد القائل :

(تسمع ما حييت بها لك حتى تكونه)

ما نصه : " قلت رواية البيتين اللذين كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل بهما هى قوله :

ما يزال المرء ينعى ... حتى يموت حتى يكونه
ولقد يرجى ما يحب ... بلوغه فيموت دونه

كتبه محققه محمد محمود بن التلاميد التركزى لطف الله تعالى بهآمين ".

كما توجد من شرح البغدادى لشرح شواهد التحفة الوردية نسختان أخريان بدار الكتب المصرية تحت رقمى (١١٤٣ نحو) و (١١٤٣ نحو).

طريقة تأليف شرح شواهد شرح التحفة الوردية :

سار البغدادى فى شرحه لشواهد شرح التحفة الوردية على نفس الطريقة التى سار عليها فى كل شروحه لشواهد العربية وعلومها ، متبعا فى ذلك طريقة التبويب ، ثم إثبات الشاهد وشرحه مع إيراد كل ما قاله حوله العلماء نحويا ولغويا ثم يختمه بترجمة لقائل الشاهد . وقد أوضح البغدادى هذا المنهج الذى سار عليه فى شرحه هذا فى خطبة المقدمة لذلك الشرح ولذا ترى من الواجب إثباتها حتى تعم الفائدة ويتحقق النفع . يقول البغدادى :

" الحمد لله والصلاة والسلام على أفضل المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين . وبعد فيقول الفقير إلى رحمة ربه الهادى عبد القادر بن عمر البغدادى هذا شرح شواهد شرح التحفة الوردية للعالم الفاضل المتقن الكامل زين الدين عمر الشهير بابن الوردى وهو شرح قد بالغ فى تهذيب معانيه ولم تتحل كتب النحو فأخذ اللباب قوضمه فيه واستشهد لبعض الأحكام بأبيات يصعب دركها على الأفهام لما فيه من لغات عربية ونكات غريبة أدبية وهى من أشعار العرب القديمة لا تدرك إلا بفضل

تامة وطبيعة مستعذبة بعد مزاولة كتب فن الأدب والتمرن فى فهم أشعار العرب ، وقد شرحت كل بيت بما تحتاج إليه معانيه من شرح ألفاظه وبيان معانيه وفك تراكيبه المشكلة بالإعراب وإيضاح غرض الشاعر على وجه الصواب شرحا وسيطا غير طويل فيمل ولا وجيز فيخل ، وأوردت تتمة البيت أن كان عليها موقوفا ، ونسبته إلى قائله إن كان معروفا ، وإلا فإننى أذكر من استشهد به فى كتب النحو من أرباب الإثبات والمحو لأن الشعر المجهول القائل لا يصح الاستشهاد به مالم يستشهد به ثقة من الأماثل ، فإن شواهد سيبويه ألف وخمسون بيتا قد عرف قائل كل بيت من الألف ولم يعرف أصحاب الخمسين وقد قيلت لأن سيبويه ممن يعتمد على نقله وثقة مأمون لعدله ، وشرحت أيضا ما فيه من الأمثال وخرّجت الأحاديث التى وقعت فيه فإنها كانت محلوله العقال . وكما تم بعون الله وتوفيقه وشجته بألقاب من افترع ذرى المجد والكمال وارتدى ابهى حلل الفضائل والأفضال الحائز لرتبتى العلم والوزارة والفائز بثقوب الذهن ونفوذ الإشارة ... الوزير الأعظم والدستور الأنجم مولاى مصطفى باشا يسر الله له من السعادة ما شاء .... فإن وقع هذا الشرح عنده فى حيز القبول فهو عندى غاية المنى والسول وأرجو من الله أن يحمينى من الزيغ والخَطَل ويوفقنى لصواب القول والعمل " .

ثم يردف البغدادى مقدمته هذه بترجمة لابن الوردى منقوله من طبقات الشافعية لابن شهبة ويبدأ شرح البغدادى هذا بالبيت الاول ونصه :

(ياصاحِ ما هاجَ الدموعَ الذُّرَّفَنْ من طلل كالأتحمل تهتّجَنْ)

وهو أول شواهد (تنوين الترنم) ، وينتهى بشرح الشاهد الثانى عشر بعد المائتين ونصه :

(تقولَ ابنتَى إنَّ انطلاقَكَ واحدًا الى الروّعِ يومًا تَاركِى لا أَبَالِيَا)

ثم يختم البغدادى شرحه بخطبة خاتمة يودعها تاريخ بدء الشرح وتاريخ انتهائه فى غاية من الدقة والتحديد كعادته فى كل مؤلفاته حيث يقول : " وهذا شرح آخر أبيات التحفة الوردية ، وتم فى ليلة الجمعة التاسعة والعشرين من شهر رجب الفرد من شهور سنة سبع وثمانين بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أزكى السلام وأفضل التحية ، وكان الابتداء فى شرحها فى اليوم السادس من الشهر المذكور ومَنَّ الله التسهيل فى جميع الأمور والحمد لله على الختام على هذا النظام والصلاة والسلام على أفضل رسله الكرام محمد وآله وصحبه العظام ما تعاقبت الساعات والأيام وتزادفت الشهور والأعوام ، وتمت الكتابة لهذه النسخة المباركة نهار الأحد المبارك الخامس عشر من شهر ذى القعدة من شهور سنة ألف ومائتين وثمانية وتسعين من هجرة من له كل العز ونهاية الشرف صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ـ والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين آمين"

مثال تطبيقى :

واليك مثال تطبيقى يوضح المنهج الذى سلكه البغدادى فى تأليف شرحه على شواهد شرح التحفة الوردية ، وهو الشاهد الثالث عشر (١) ونصه :

(فَيَوْمٌ علينا ويومٌ لنـــا ويومٌ نُسَاءُ ويومٌ نُسَـــرّ)

حيث يقول البغدادى : " أقول هو من قصيدة للنمر بن تولب العكلى الصحابى ، يريد أن الأمر يومان : يوم يكون علينا وفيه نساء ، ويوم يكون لنا وفيه نسره وأراد باليوم مطلق الزمان كقوله بانت سعاد فقلبى اليوم مقبول ، ويطلق على مدة القتال نحو يوم حنين ومنه أيام العرب ، والأصل فيه مقابل الليلة ، وفيه الابتداء

---

(١) مخطوطة الشنقيطى : ١٦

بالفكرة أربع مرات وخبر كان مبتدأ ما بعده : وجاز الابتداء هنا بالفكرة لأنه أريد التقسيم وفيه حذف رابطة الجملة المخبر بها إذ الأصل نساء فيه ونسر فيه ثم اختلف ، فمن سيبويه أن الجار والمجرور حذفا ، وعن الأخفش أنه حذف الجار فانتصب الضمير المتصل بالفعل كما في قوله (في ساعة يحبها الطعام) إذ الأصل يحب فيها الطعام ثم حذف الضمير كما في قوله تعالى : (أهذا الذي بعث الله رسولا) والتقدير بعثه الله ولا يجوز نصب اليومين الأوليين لعدم الناصب ولا يحسن نصب الأخير من لأن الكلام في تقسيم الأيام لا في تقسيم الأحوال والأفعال ، وإن كان كل من المصنفين لازم عن الآخر . وروى ابن الأعرابي نصبها وهو ضعيف .

والنمر بن تولب بفتح النون وكسر الميم ، وتولب بفتح المثناة الفوقية وسكون الواو وفتح اللام ، والعكلي ينسب الى عكل بضم العين المهملة وسكون الكاف وهي أمة تزوجها عوف بن قيس بن وائل بن عوف بن عبد مناف بن أد بن طابخة ، فولدت له ثلاثة بنين ثم ماتت عنها فحضنتهم فنسبوا إليها . قال أبو حاتم : عاش النمر بن تولب مائتي سنة ".

تعريب التحفة الشاهدية

التحفة الشاهدية منظومة ألفها الأديب التركى المعروف بالشاهدى (١) شرحا باللغة التركية على التحفة الحسامية الفارسية ، ثم قام عالمنا عبد القادر البغدادى يشرح التحفة الشاهدية باللغة العربية شرحا حل به مشكلاتها وأزال غامضاتها .

ويقع تعريب تحفة الشاهدية فى مجلد من اثنين وستين ورقة من القطع الصغير ، ويبدأ بهذه المقدمة : " بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين . هذه كلمات عربية أملاها شيخنا وأستاذنا لسان المتكلمين وحجة الناظرين ، مجال أهل الأدب وترجمان العرب مولانا عبد القادر افندى البغدادى أطال الله بقاءه على التحفة الشاهدى (٢) حل به مشكلاتها وأزال غضلاتها جعله الله لوجهه الكريم وسبب الفوز بجنات النعيم " .

ثم يتلو المقدمة مباشرة تعريب البغدادى وشرحه لمقدمة المؤلف (الشاهدى) التى يثبت فيها منهجه فى نقلها من الفارسية الى التركية والتى جاء فيها أنه : " .... اذا تمت القطعة أى ذكر آخرها ذكر التفاعيل التى تدل على أوزان البحور ، وقد أتيت بها هنا ... يعنى إذا تمت قطعة موزونة أكتب هنا يعنى تلك القطعة بيتا مباركا مبينا وهو أن يكون مصراع ذلك البيت فارسيا ومصراعه الآخر تركيا لا زائد ولا ناقص ليكون التركى مقابلا للكلام الفارسى " . (٣)

---

(١) اسمه ابراهيم ددة من بلدة ميدلة اشتغل بالعلم ثم مال إلى التصوف واتبع الطريقة المولوية فى قونية توفى سنة ١٩٥٣ (مجلة الزهراء ج٤ م٥ : ٢٠٩ — ٢١٧).

(٢) هكذا بالأصل رأيت إثباتها كما هى مراعاة للأمانة العلمية .

(٣) تعريب تحفة الشاهدى : ٥ .

والنسخة مكتوبة بالخط الفارسى المتقن الجيد ، والمتن بالمداد الأحمر والشرح بالمداد الأسود ، وواضح أنها ناقصة .

طريقة البغدادى فى تأليفه التحفة الشاهدية :

تختلف طريقة البغدادى فى تأليف مصنفاته بحسب طبيعة كل مصنف فمصنفات شرح الشواهد لها منهجها الخاص الذى يسير عليه اطراداً فى جميعها وهنا فى تعريبة للتحفة الشاهدية نجده يتبع طريقة تتفق وطبيعتها .

فهو يقوم باثبات البيت بلغته الأصلية ، ثم يثبت الشرح عنه باللغة العربية مسبوقاً بكلمة (يعنى ..) ثم يورد فالشرح بشرح الألفاظ التى يصعب دركها متناولا إياها بالتفسير والتحليل حتى يجلو غامضها ، ويقض عجمتها ، وإذا وجد أن المعنى موزعا بين عدة أبيات لا بيت بمفرده يوردها جميعا ثم يعرج على شرحها مجملة ومرتبة حتى يأتى المعنى مكتملا آخذا بعضه بعناق بعض .

مثال تطبيقى :

ونسوق الآن مثالا تطبيقيا على طريقة البغدادى فى تعريب تحفة الشاهدى وهى عبارة عن تعريب البيتين الأولين من مقدمة الشاهدى للتحفة :

يَنَام خَالِقُ وَحَىٌّ ثُوانَـــا قَدِيمُ قَادِرُ بَيْنَا وَدَانَـــا

يعنى باسم الخالقِ الحىِّ القيومِ القديم القادرِ البصيرِ العليمِ

ثناءٌ وحمدُ شُكْرِى نِهَايَـــة سِبَاسُ بِنْتِ حَدٌّ غَايَـــة

يعنى الثناءُ والحمدُ والشكرُ بلانهاية والذكر الجميل والمنة بلاحد

حاشية البغدادى على قصيدة " بانت سعاد "

قصيدة " بانت سعاد " ألفها كعب بن زهير فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى من جيد الشعر وعيونه ، قام بشرحها ابن هشام الأنصارى شرحا مطولا مستفيدا ، ولما قرأ عبد القادر البغدادى ذلك الشرح وجد به بعض الهنات والهفوات التى تحتاج إلى معالجة وتتطلب البحث والمراجعة فوضع عليه حاشية تعرض فيها لكل ما صادفه فيه من هذه الهنات بالرد عليها والشرح لها حتى جاءت محبوكة الحال واضحة الشواهد والأمثال .

وحاشية البغدادى توجد فى نسخة مخطوطة من مجلدين : الأول فى (٦٦٧ صفحة) وعنوانه : " الجزء الأول ـ حاشية العلامة والأديب والفاضل اللوذعى البحيث الشيخ عبد القادر البغدادى على شرح ابن هشام على بانت سعاد لكعب بن زهير فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم " . ومختوم بخاتم يقول : " وقف احمد بن اسماعيل بن محمد تيمور بمصر " ، ثم يبدأ الجزء الأول بمقدمة من الواقف يمدح فيها المؤلف ويثنى عليه وعلى حاشيته الجليلة ، ثم يلى ذلك مقدمة المؤلف الذى يقول فيها : " ...وهذا الشرح مع كونه بهذه المناقب الحميدة والصفات المديدة ، وقع فيه هنات وبعض فلتات ، وهى لازمة لنوع الإنسان ، إلا مَنْ عصمه الله من النقصان كما وقع فى تقطيع أول بيت مرتين ، وتلفيق بيت من مصراعين أجنبيين ، وتغيير بعض المنقول عن مقتضى مدار الأصول ـ ولما قرأته بمنزلى فى مصر مع جماعة فى ستة إحدى وثمانين وألف كتبت عليه حاشية سلكت فيها أحسن المسالك ونبهت فيها على جميع ذلك " ثم يُثنّى البغدادى بعد ذلك بشرح مقدمة الشارح التى تستغرق (١٣٨ صفحة) .

ويبدأ الجزء الأول ببيت كعب بن زهير القائل :

(بانَتْ سعادُ فقلبى اليومَ متبولُ متيَّمٌ إثرَها لم يُفْدَ مكبولُ)

وينتهى بشرح الشاهد القائل :

(بأيدى رجالٍ لم يُعِيمُوا سيوفَهُم ولم تكثُرِ القتلَى بها حينَ سُلَّتِ)

أما الجزء الثانى فيبدأ ببيت كعب بن زهير القائل :

(لكنَّها خَلَّتْ قد سِيطَ من دمِها فَجْعٌ وَوَلْعٌ وإخلافٌ وتبْدِيلُ)

ويقع فى مجلد من (٧٥١ صفحة) وينتهى بشرح الشاهد القائل :

(ولو أنَّا على حَجَرٍ ذُبِحْنَا جرَى الدَّمَيانِ بالخبَرِ اليقِينِ)

وهو من شعر على بن بدال من بنى سليم . ثم يختم البغدادى حاشيته بقوله : " وهذا آخر ما أردنا إيضاحه جعله الله خالصا لوجهه الكريم ومسببا للفوز بالنعيم المقيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . وتم فى ضحوة يوم الإثنين التاسع والعشرين من شهر جمادى الآخرة من شهور سنة اثنتين وثمانين بعد الألف وصلى الله على شفيعنا وسيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين صلاة وسلاما دائمين الى يوم الدين آمين ".

" قال ذلك وكتبه بيده الفقير إلى ربه وإلى شفاعة حبيبه عبد القادر بن عمر بن بايزيد ابن الحاج احمد البغدادى لطف الله به وبأسلافه وبأحبابه وبجميع المسلمين آمين ".

وقد تم نسخ الحاشية فى اليوم التاسع من شهر رجب سنة أربع وثلاثين وثلاثمائه وألف من الهجرة النبوية بقلم محمد أبى النصر الجمفرى النابلسى . والخط فارس واضح . وبالنسخة بعض التصويبات والإضافات مثال ذلك ما ورد بالصفحة (٦٣٩) من الجزء الثانى ما نصه : " أتعرف شيئا فى السماء يطير " الخ " . وما ورد بالجزء الثانى أيضا بالصفحة (٧٠٥) عند الكلام عن حذف البدل ما نصه : " فى حذف الحال نصح " .

ويقول البغدادى أنه لما وفد على دمشق فى الشام فى سابع ذى القعدة سنة أربع وثمانين وألف سمع بهذه الحاشية نقيب السادة الطالبين السيد محمد بن كمال الدين بن حمزة الحسينى فاستعارها منه وبعد قراءتها قرظها بقصيدة عدتها سبعة عشر بيتا كتبها بخطه الشريف على ظهر الاصل(١)

والحاشية محفوظة بالخزانة التيمورية برقم (٧٤٦ شعر) ، كما توجد نسخة أخرى فى راميور بالهند كتبت سنة ١١١٢ ، ونسخة ثالثة فى مكتبة أيا صوفيا بالقسطنطينية .(٢)

طريقة تأليف الحاشية :

لم يجد البغدادى فى تأليفه لحاشيته على شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام عن الجادة التى تنكبها والمنهج الذى سلكه فى كل تصانيفه التى اضطلع فيها بشرح الشواهد ، فنجده بعد إثباته للشاهد يأخذ فى معالجته نحويا ولغويا ، ثم يورد أقوال العلماء فيه على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم ثم يتطرق بعد ذلك إلى ترجمة قائل الشاهد ، مع بيان السبب فى قول ذلك الشعر الذى انتزع منه الشاهد كلما وجد إلى ذلك سبيلا . وليس أدل على ما انتهجه البغدادى فى حاشيته من قول العلامة أحمد تيمور الذى أثبته فى صدر مخطوطته حيث يقول : " وهى حاشية جليلة ضمنها تحقيقات نادرة وأكثر فيها من المسائل النحوية وناقش الشارح فى عدة مواضع ورد عليه وشرح شواهده ، وهى زهاء أربعمائة بيت ، وترجم قائليها إلا أنه اختصر فى كثير من التراجم وأحال فيها على شرحه لشواهد شرح الرضى على الكافية المسمى بخزانة الأدب ، وترجم أيضا من نقل عنهم الشارح من النحاة واللغويين وغيرهم . "

---

(١) راجع ص ٦٢ ، ٦٣ من هذا البحث حيث القصيدة مذكورة بتمامها هناك

(٢) خزانة الأدب (الكاتب العربى) تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون . ص ١٤

وقد نوه البغدادى أيضا بما بذله فى هذه الحاشية من جهد صادق ، وذلك بما أورده فى مقدمته لها حيث يقول : " ... ثم شرحت شواهده وهى زهاء أربعمائه بيت شرحا شافيا ، ووضحتها توضيحا كافيا بمراجعة شرح أبيات الكتاب وهى المعتمدة فى هذا الباب ، وزدتها فوائد من كتب الأدب وشروح دواوين العرب وضممت إليها تتمتها بما يليها ، [illegible] بعد ذلك قائليها ، كما ترجمت كل عالم ذكر فيه وكل فاضل سيه ، وعزوت كل أثر وحديث الى مخرجه القديم والحديث ، وزاحمت فى أكبر المباحث بما هو ألذ من نغمات المثانى والمثالث ، وأضفت إليها ما مَنَّ الله به علىَّ وساقه فيضانا إلىَّ ".

مثال تطبيقى :

والآن نسوق مثالا تطبيقيا على ما سلكه البغدادى فى تأليف حاشيته من سبيل وهو عبارة عما قاله فى هذه الحاشية بصدد شرح البيت القائل :

(إنَّ سُلَيْمَى واللهُ يَكْلَؤُهَا صَنَعْتُ بشىء ما كان يرزؤها) (١)

حيث يقول البغدادى : " قوله : إن سليمى والله يكلؤها .. البيت ، فجملة والله يكلؤها إعتراض بين اسم إن وخبرها وهو جملة صنعت .. الخ ، ويكلؤها [illegible] ويحرسها ، فى المصباح كلأه الله يكلؤه مهموز بفتحتين كلاءة بالكسر والمد حفظه ، قال اللخمى فى شرح أبيات الجمل جعل صورة الهمزة واوا فى يكلؤها ويرزؤها لانضمامها واتصال الضمير بها ، وكذلك تجعل صورتها ألفا إن انفتحت وياء إن انكسرت ، وبعضهم يجعل صورتها ألفا فى الأحوال الثلاثة فيكتب هو يقرأه

---

(١) حاشية البغدادى على شرح بانت سعاد ١ : ٤٧٩ مخطوطة تيمور .

والله يكلأه وعجبت من شيأه ، ويجعل عليه ضمة فى حالة الرفع وكسرة فـــى حالة الخفض ، وقد أجاز بعضهم كتب الألف قبل الواو فى مثل هذا ، فيكتب يَشَأُهـــا بالألف قبل الواو ، والأكثر الأول — انتهى — وضفت بخلت ، قال صاحب المصباح : ضن بالشىء يضن من باب تعب ضنا وضنه بالكسر وضنانة بالفتح ، بخل فهـــو ضنين ومن باب حزب لغة ورزؤها بتقديم المهملة على المعجمة أى ينقصها ، أى بخلت بشىء لو جادت به ما نقصها ، يقال ما رزأته فتيلا أى ما أخذت منه قدر ذلـــك . قال اللخمى : وفى المصباح يقال رزأته ترزأه مهموز بفتحتين الإسم الرزء كفعل ورزأته أنا إذا [illegible] بمصيبة .

والبيت مطلع قصيدة لابراهيم بن هرمة ، وقد قيل له إن قريشا لا تهمز ، فقال : لأقولن قصيدة أهمزها كلها بلسان قريش ، وقال الأصمعى : لم يثبـــت من القصائد المهموزة إلا هذه القصيدة ...

وقائل الشعر هو ابرهيم بن هرمة القرشى ، شهد الدولتين الأمويـــة والعباسية ، وذكر الاصمعى وغيره أنه آخر من يحتج بكلامه من الشعراء ، وهرمـــه بفتح الهاء وسكون الراء والمهملة بعدها ميم ، قال ابن السيد فى شرح أبيات الجمل وهو اسم منقول من الهرم وهو ثبت رخو واحدتها هرمه .

ولم يقتصر البغدادى فى حاشيته على شرح بانت سعاد لابن هشام علـــى معالجة شواهده نحويا ولغويا ، وإنما كان يأتى فيها بمباحث شيقة ونوادر لطيفـــة تدل على سعة اطلاعه وتمكن ملكة النقد لديه ، وإحاطته بكثير من مطولات [illegible] وعلومه . ومثال ذلك فيما يجوز للناسب وما يمتنع عليه حيث يقول : " الناسب يجوز لـــه أن يذكر ما تقدم وأن يفرع مجهوده فيما يدل على الصبابة وإفراط الوجد واللوعـــة والانحلال وعدم الصبر وما أشبه ذلك من التذلل والتوله ويجب أن يجتنب ما يـــدل على الإباء والعزة والتخشن والجلادة ، كقول اسحق الاعرج :

(فلما بدا لى ما رأيتُ نزعتُ نزوعَ الأبىِّ الكريمِ)

فإنه وصف نفسه بالجلد والامتناع والتسلى ، وهذا نقض للغرض ، وقد عاب عليه بعضهم فقال : قبحه الله ما أحبها ساعة قط ، وكقول عبد الرحمن :

(إنَّ ثَنَائِي دَارِكِ لا أَمَلَ تَذْكُرُكَ وعليكِ مِنى رحمةٌ وسلامُ)

فهذا وإن كان معنى صحيحا لكنه أثقل من رضوى ليس فيه لطف ولا عذوبة وهو بالرثاء أشبه منه بالنسيب ، ثم إن مثله إنما يخاطب به الأماثل من الرجال وليس ينبغى أن يخاطب به النسوان ورباث الحجال ، إذ ليس فيه من الصبوة والخلاعة ما يجلب به مودتهن ، ومن المخاشنة قول طرفه :

(وإذْ تَلْسُفُنى ألسُنُهَا إننى لسْتُ بمَوْهونٍ فَقِرِ)

ومن النهاية فى المخاشنة قول الآخر :

(سلامٌ ليتَ لسَانًا تنطقين قبلَ الذى نالَنى من صَبْوَةٍ قَطَعَا)

فهذا قول عدو مكاشر لا محب مكاسر ، وأقبح من هذا قول عبد بنى الحسحاس فى الدعاء على محبوبته :

(دراهن ربى مثلَ [illegible] وأَحْمَى على أكبادهن المَكَاوِيَا)

ومثله قول عبادة :

من حبِّها أتمنَّى أن تُلاقِينى مِنْ نحوِ بَلْدَتِها ناعٍ فَيَنْعَاهَا
لِكَى يكونَ فراقٌ لا لقاءَ لَهُ وتُضْمِرُ النَفْسَ يأْسًا ثم تَسْلاهَا

انتهى .

لغـــت شاهنامـــــة

هو شرح باللغة التركية لغريب الألفاظ الفارسية التي وقعت في شاهنامـة الفردوسي ، ألفه البغدادي سنة ألف وسبع وستين هجريه (١) إبان وجوده بمصر ، وقد نشره المستشرق الروسي " كيرولس زالمان " سنة ألف وثمانمائه وخمس وتسعين بمدينة بطرسبرج عن نسخة كتبت بمدينة أدرنه سنة ألف واثنتين وثمانين ـ فـــي حياة البغدادي ..

وشاهنامة الفردوسي (٢) هو الكتاب الذي خلد اسم مؤلفه ، وبه جـرت أشعاره على ألسنة العامة والخاصة ، وهو ملحمة فارسية تقع في نحو ستين ألـف بيت من الشعر الفارسي ، نظمت على نظام المثنوي من بحر المتقارب ، وهـو أنسب الأوزان وأحسنها في شعر الملاحم والقصص في اللغة الفارسية . وهـذه الملحمة تحكي تاريخ الأمة الفارسية منذ فجر التاريخ وحتى الدولة الساسانيـة التي حكمت قبل الإسلام .

ولم يكن الفردوسي أول من ابتدع هذا الضرب من التأليف ، ولكن سبقـه إليه العديد من العلماء الذين جاء الفردوسي مقتفيا أثرهم ، سائرا على نهجهم ، حيث حينما تغلب العرب على الفرس ، فُقِدَ كثيرٌ من الآثار والكتب الفارسية القديمة ، ولكن فحواها ظل عالقا بالأذهان والعقول ، ولما نهضت ايران وأخذت فـي الاستقلال أيام الطاهريين والصفاريين وآل سامان ، شرع العلماء في تدوين التاريخ الفارسي وما صاحبه من أحداث بزعامة أبي منصور محمد بن عبد الرازق الطوسـي

---

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٤٩٣ .

(٢) هو أبو القاسم الفردوسي ، ولد سنة ٣٢٩ هـ في قرية (باز) من نواحـي طبران حوالي طوس ، وكان غنيا موسرا من أصحاب الضياع والعقار ، واسـع الاطلاع مرتبطا بالأخبار والقصص والحكايات ، حيث كانت القصص والحكايات حينئذ تحفظ وتلقى بين أيدي الملوك في الأعياد العامة . وتوفي الفـردوسي بطوس سنة ٤١١ هـ أو سنة ٤١٦ هـ على خلاف في الرواية (راجع تاريخ الأدب الفارسي للدكتور رضا زاده ترجمة الدكتور هنداوي ص ٤٩ ـ ٦١

حاكم طوس فى عهد آل سامان ، ومن هؤلاء العلماء المسعودى والمروزى وأبى المؤيد البلخى وأبى على البلخى والدقيقى الذين شرع كل منهم فى تأليف ملحمة تحكى التاريخ الفارسى ، ولكنها اندثرت جميعها فيما عدا ما حاوله الدقيقى ، وهو عبارة عن ألف بيت ولم يتمكن من إتمام ما بدأه حيث قتل دون بلوغ مأربه . وكان قد وصل إلى البيت القائل :

إلَى صوتِ المَليكِ أَذْعَنُوا وأَطَاعُوا
أَسْلَمُوه عقُولَهَم ومِنَ متَاعِهِم ما قد جَمَعُوا

ثم عزم الفردوسى بعد ذلك على نظم شاهنامته قائلا أنه رأى الدقيقى فى نومه يطلب إليه أن يثبت الألف بيت فى شاهنامته ، ولذا نجده يبدؤها من حيث انتهى الدقيقى مكملا القصة بقوله :

الآنَ أيُّها الرَّجُلُ المُحَدِّثُ العاقِلُ
وجِّه القولَ ثانيةً نحو قبلِ القائِلِ
فقد أبلغَنَا الدقيقى هذا المكَانَ
ثم قَضَتْ على عُمْرِهِ أحداثُ الزمَانِ

وقد شرع الفردوسى فى نظم شاهنامته سنة ثلاثمائه وسبعين هجرية ، وأتمها سنة أربعمائه هجرية — أى أن تأليفها قد استغرق ثلاثين عاما كاملة — حيث أثبت ذلك الفردوسى فى صلبها قائلا :

فى تِلْكَ الاعوامِ الثلاثينَ تَحَمَّلْتُ كثيرا من الآلام
وأحيَيْتُ العَجَم فى لغَةِ الفُرْسِ مدَى الأيَّام

وقيل استغرق تأليفها خمسا وثلاثين عاما على خلاف .

وتكمن قيمة الشاهنامة فى أنها تتضمن معان فى عبادة الآلهة وتدبير التدماء وتعظيم إيوان ، يشرح إلى حد كبير النظم الإيرانية ، وذكرى الأبطال والشجعان ، كما يتحلى فى كل جزء منها ذكرى موقعة أو خلاصة قصة أو حديث ملك أو بطل ، كما تذكر فيها أسماء العظماء وأنسابهم فى كل إقليم أو مقاطعة ، وبذلك قد وطدت بناء القومية الإيرانية .

شرح مقصورة ابن دريـــــد

مقصورة ابن دريد قصيدة طويلة عدتها مائتان وتسعة وثلاثون بيتا ، نظمها ابن دريد (١) في مدح الشاه وأخيه أبي العباس اسماعيل ابني ميكال عندمـــا صحبهما الى فارس — وكانا يومئذ على عمالتها — وصل لهما كتاب الجمهرة ، فقلداه ديوان فارس ، فكانت الكتب لا تكتب إلا عن رأيه ، ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعـــه ، ولما مدحهما بقصيدته المقصورة وصلاه عشرة آلاف درهم . (٢)

ويقول عبد القادر البغدادي عن المقصورة : " لها شروح لا تحصى كثـــرة وأحسن شروحها شرح العلامة الأديب أبي علي محمد بن أحمد بن هشام بن ابراهيم اللخمي السبتي ، وقد شرحتها أنا شرحا موجزا مع إيضاح وافر ، وتبيين شـــاق في أيام الشبيبة — نفع الله به ".. (٣) ويقول البغدادي أيضا : " يقال : أنهـــا اشتملت على نحو الثلث من المتصور ، وفيها كل مثل سائر ، وخبر نادر ، مـــع سلاسة ألفاظ ، ورشاقة أسلوب ، وانسجام معان يأخذ بمجامع القلوب ". (٤)

ورغم مداومتي للبحث والتحري وملازمتي للتنقيب والتقصي ، بغرض الوصـــول إلى شرح عبد القادر البغدادي للمقصورة الذي سبق أن نوه عليه كما أثبته المحبي (٥) ضمن مؤلفات البغدادي عند الترجمة له وكذا ما ورد في ترجمته بمجلة الزهـــراء (٦) وما أثبته استاذنا عبد السلام هارون عند ترجمته بصدر النسخة التي قام بتحقيقها (٧).

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، وينتهي نسبه إلى الأزد بن الغـــوث ومنه إلى قحطان وهو أبو قبائل اليمن . ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ . لازم ابني ميكال حتى عزلهما ، فاتصل بالخليفة المقتدر العباسي ، فأجرى عليه كل شهـــر خمسين دينارًا الى أن توفي يوم الأربعاء الثامن عشر من شعبان سنة ٣٢١ ببغداد

(٢) الخزانة ١ : ٤٩٠ بولاق

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق

(٥) خلاصة الاثر ٢ : ٤٥٣

(٦) مجلة الزهراء جـ ٢ م ٥ (شوال سنة ١٣٤٧هـ)

(٧) خزانة الادب ١ : ١٣ (الكاتب العربي)

إلا أنى لم أحر لذلك الشرح على أثر ، ولم أهتدِ الى ما يمكننى من الوصـــــول إليه • وإننى اذ ألجأ فى ذلك إلى أساتذتى الأفاضل مُقِرًّا بعجزى عن القوصـــل إلى ذلك الشرح الذى وضعه البغدادى للمقصورة فى شبيبته ولعله أول تصانيفه ، ليحدونى الأمل فى أن أجد لديهم من السماحة ورحابة الصدر ما يجعلهـــــم يلقون إلىَّ بطَرَفِ الخيط الذى أسير على هديه للحصول على ذلك الشـــــرح خدمة للعلم وتيسيرا على الدارسين والباحثين ، ولا سيما أن الذين ترجمـــــوا للبغدادى جميعا أثبتوا ذلك الشرح ضمن مؤلفاته لم يزيدوا على أن ذكـــــروا أن البغدادى قد ذكره فى الشاهد الثامن والسبعين بعد المائه من خزانـــــة الادب • وقد وجدت له ذكرا فى الشاهد الأخير من شرح البغدادى لشواهـــد شرح الشافية مع ترجمة موجزة لابن دريد •

رسالة فى معنى كلمـــة " تلميـــذ "

بحث لغوى جيد لبيان معنى كلمة (تلميذ) ومادتها وأصولها واشتقاقها ، قام به عالمنا البغدادى لمّا رأى خُلُو كتب اللغة المتداولة منها ، وعدم تعرض القائمين على اللغة المعنيين باشتقاقها وتوليدها لهذه الكلمة حيث يقول فى ذلك " أما بعد : فهذه كلمات ذكرتها لمعنى التلميذ ، فإنى لم أجد هذه الكلمة مذكورة فى كتب اللغة المتداولة والمدونة لبيان الجليل والحقير ، وذكر النفير والقطمير ، كالجمهرة لابن دريد ، والصحاح للجوهرى ، والمحكم لابن سيده ، والعباب للصاغانى ، والقاموس لمجد الدين الفيروزبادى وغيرها ، إلا فى لسان العرب لابن مُكرِم ، فإنه أوردها فى مادة (تَلْمَذَ) وقال : التلاميذ الخدم والأتباع ، وأحدهم تلميذ . أ هـ مع أنها كلمة متداولة بين العام والخاص ، وكثيرة الاستعمال فى تأليف العلماء والأعلام " . (١)

ويوجد من هذه الرسالة ثلاث نسخ محفوظة بدار الكتب المصرية بالأرقام (٦ مجاميع تيمور) ، (١٨١ مجاميع) ، (١٢٢ مجاميع) ، كما توجد نسخة بالخزانة التيمورية بخط العلامة أحمد تيمور باشا كتبها لنفسه سنة ١٣٢٢ إلا أنه لم يتم المقابلة عليها . وتوجد كذلك نسخة فى بطرسبرج برقم (٤٦) كما ذكر بروكلمان (٢)

وقد قام أستاذنا الجليل عبد السلام هارون بنشر هذه الرسالة مرتين : إحداهما فى مجلة المقتطف (عدد مارس سنة ١٩٤٥) بالصفحة ٢٥٤ وما بعدها ، والأخرى فى المجلد الأول من نوادر المخطوطات ـ الجزء الاول ـ ص ٢١٧ ـ ٢٢٥ (٣)

---

(١) مجلة المقتطف (عدد مارس سنة ١٩٤٥) : ٢٥٥ .
(٢) الخزانة ١ : ١٨٠ دار الكاتب العربى .
(٣) الخزانة ١ : ١٧ دار الكاتب العربى .

طريقة تأليف الرسالـــة :

وقد سار البغدادى فى تأليفه لرسالته فى معنى كلمة (تلميذ) سيـــرا حميدا ، وتناولها تناولا موفقا ، سبر فى سبيل عرضها أغوار الكتب الأصيلة فـــى العربية وعلومها ، وفتش بطون المصنفات المعنية باشتقاق الألفاظ وتوليدهـــا ، حتى خرج على الناس ببحث بلغ من الجودة بحيث لا يستغنى عنه قارئ أو باحـــث حيث يقول فى بحثه أن التلاميذ غلمان الصناع ، وذلك تبعا لما ذهب إليـــه أبو حنيفة [illegible] فى كتاب الثبات بعد أن أورد بيت لبيد بن ربيعة العامرى :

(فالماءُ يُجلو متُونَهُن كمـا يَجْلُو التلاميذُ لؤلؤاً قَشِيبا)

ثم قال بعدة التلاميذ غلمان الصناع " (١)

كما يقول عبد القادر البغدادى أنه رأى أيضا فى شعر أمية بن أبى الصلت أن التلاميذ الخدم ، يعنى الملائكة ، وهذا شعره :

(والأرضُ مَعْقِلُنَا وكانتْ أمنَّـا فيها مُقَامَتُنَا وفيها تُولَـــدُ
وبها تلاميذٌ على قُذُفَاتِهَـا (٢) حُبِطُوا قِياماً فالفرائضُ تُرْعَدُ)

حيث قال شارح ديوانه : " التلاميذ الخدم ، يعنى الملائكة " . (٣)

ويقول البغدادى أيضا أن طلبة العلم تلاميذ شيخهم تبعا [illegible] شـــارح المقامة الأولى للحريرى عند شرحه لهذا النص الوارد فيها : " فوجدته محاذيـــا لتلميذ ، على [illegible] ، وجدى حنيذ ، [illegible] خابية نبيذ " بقوله : " وطلبـة العلم تلاميذ شيخهم " . (٤)

والبغدادى يقول أن إهمال داله لغة فيه ، واستشهد ببيت أمية بن أبـــى الصلت :

---

(١) [illegible] المقتطف (عدد مارس سنة ١٩٤٥) : ٢٥٥ .
(٢) القذفات : جمع قذفة — بالضم — وهى الناحية .
(٣) المقتطف : ٢٥٧ .
(٤) المصدر السابق .

(فمضى وأصعد واستبد إقامة ً بأولى قوى فمبتل ومتلمد)

ويقول أيضا : مثل : وقد يرخم التلاميذ فى الشعر على تلام ، كقول الطرماح :

(تتقى الشمس بمدرية كالحمالي بأيدي التلام)

وقول غيلان بن سلمة الثقفى :

(وسربال ضاعفة لا مه قد أحرز شكلها صنع التلام)

الا أن أبا على فى المسائل العسكرية قال عن هذا أنه من قبيح (١)

ثم يختم الباحث هذا البحث الجيد المستفيض بقوله : " والعجب من صاحب القاموس أنه اعترض على صاحب الصحاح فى ذكره " التلام " فى باب الميم مع أنه أثبته مثله ، ولم يذكره فى باب الذال " . (٢)

---

(١) المقتطف : ٢٥٩ بتصرف .
(٢) المقتطف : ٢٦٠ .

مختصر تمام المتـــــون
الى شرح رسالة ابن زيـــــدون

كتاب " تمام المتون إلى شرح رسالة ابن زيدون " هو شرح على رسالـــة العلامة أبى الوليد أحمد بن عبد الله المعروف بابن زيدون التى كتبها إلـــى الوزير أبى عامر بن عبدوس على لسان ولادة بنت المستكفى بالله يتهكم به ، وقـــد صنف ذلك الشرح العلامة الأديب أبو الصفا صلاح الدين خليل بن أيبك بـــن عبد الله المعروف بالصفدى الشافعى المولود سنة ستمائه وست وتسعين هجريـــه والمتوفى سنة سبعمائه وأربع وستين هجريه . وأول الشرح : " الحمد لله الـــذى شرح صدورنا بالإسلام وطرح عنا بالاستغفار أعباء الآثام .... إلخ " . وأول رسالة ابن زيدون : " يا مولاى وسيدى الذى ودادى له ، واعتمادى عليه ، واعتـــدادى به ، وامتدادى منه ... الخ ".

وشرح العلامة الصفدى على رسالة ابن زيدون مجلد مخطوط يقع فى مائـــة وست وتسعين ورقة ، مكتوب بخط النسخ ، وقام بنسخه محمد عارف الفحمـــاوى فى التاسع من رمضان سنة ألف ومائتين وثلاث وتسعين ، ومحفوظ بمكتبة الأزهر برقـم ٢٧٣ (٦٨٧٨) أباظه .

وقد ذكر الأستاذ عمر رضا كحاله (١) أن عالمنا عبد القادر البغدادى قد صنف مختصرا لشرح العلامة الصفدى على رسالة ابن زيدون أسماه " مختصر تمـــام المتون إلى شرح رسالة ابن زيدون " ، ولكنى قد أعيانى وأضناني التنقيب عن مختصر البغدادى هذا دون التوصل إليه أو الاهتداء إلى موضعه ، ولعلى واجدٌ لـــدى أساتذتى الأفاضل ما يعينى على العثور عليه أو الوصول اليه ، فهم ملاذى ومسؤلـــى فى كل ما يعترضنى من مشكلات وما يصادفنى من عقبات فى سبيل ما أنا بصـــدد من بحث ودراسة .

---

(١) معجم المؤلفين ٤ : ٢٩٥ .

كتـــاب فى التراجم بدون عنوان

وقد ذكر أستاذنا عبد السلام هارون ـ على تفرد فى ذلك ـ عند اثباتـــه لمؤلفات البغدادى (١) أن بروكلمان قد ذكر فى نسخته الألمانية أن عبد القـادر البغدادى قد صنف كتابا فى التراجم بدون عنوان ، وأنه موجود بمكتبه عاشـــــر أفندى بالقسطنطينية تحت رقم ١ : ٦٢٢ ، ولم يرد لذلك الكتاب ذكر فى أى ترجمـة أخرى للبغدادى ، كما لم يعثر عليه فى مكتبات القاهرة .

---

(١) الخزانة ١ : ١٨ (دار الكاتب العربى) .

(ب) شواهد الخزانـــــة

ان المتصفح لمؤلفات عبد القادر البغدادى التى صنفها فى شـــــرح الشواهد على جملتها ، ومن يمعن النظر فى شواهده ، يجدها قد اشتملـــت على الجم الغفير من الشواهد النثرية المأخوذة من القرآن الكريم ، وكـــــلام العرب المعترف بالاحتجاج بهم . (١) والحديث الشريف ، وكلام أهل البيـت رضى الله عنهم ، إلى جانب شواهد شعرية مستفيضه . ونظرًا لأن الخزانـــــة هو أشهر مؤلفات البغدادى وأشملها فسوف نقصر كلامنا عن الشواهد على تلـــك المتمثلة فيها .

وقد أفرد البغدادى الأمر الأول من مقدمته لكتاب الخزانة للحديث عـــن الكلام الذى يصح الاستشهاد به فى اللغة والنحو والصرف ، موردًا أقـــــوال العلماء فى ذلك وآراءهم ، مثبتا اتفاقهم واختلافهم مبينا سند كل لترجيح مـــــا ذهب إليه . وسوف يتطرق إلى ذلك بشىء من التفصيل فى حينه اذا أعوننا الأمر .

الشواهد النثرية :

وهى تلك المأخوذة من القرآن الكريم ، وكلام العرب ، وقد أجمع النحاة القدامى والمتأخرون على صحة الاستشهاد بهما . ولم يطعن أحدهم فى ذلـك ، وقد كثر ما ورد منها فى خزانة الأدب : وفى ذلك يقول البغدادى : " وأما قائـــل الثانى (٢) فهو إما معنا تبارك وتعالى ، فكلامه ــ عز اسمه ــ أفصح كـــــلام وأبلغه ، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه ... ، وإما بعض إحدى الطبقـــات

---

(١) وفى العرب المعترف بالإحتجاجهم يقول البغدادى فى مقدمته أنهم " .. بعض إحدى الطبقات الثلاث الأولى من طبقات الشعراء " وقدة العلمـــاء الشعراء إلى طبقات أربع :
الطبقة الأولى : الشعراء الجاهليون ، وهم قبل الإسلام كامرئ القيس والأعشى .
الطبقة الثانية : المخضرمون ، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، كلبيـــد وحسان .
الطبقة الثالثة : المتقدمون ، ويقال لهم الإسلاميون ، وهم الذين كانوا فـــى صدر الاسلام كجرير والفرزدق .
الطبقة الرابعة : المولدون ، ويقال لهم المحدثون ، وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد وأبى نواس (مقدمة الخزانة) .

(٢) ويقصد بالثانى : النثر حيث سبق له الكلام عن الشعر فى مقدمته للخزانه .

الثلاث الأُوَل من طبقات الشعراء التى قدمناها .

وأما الاستشهاد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد نشب بشأنه بين النحاة اختلاف كبير ودار حوله لغط كثير ، اذ منعت الاستشهاد به طائفة بينما جوزته أخرى على حين توسطت طائفة ثالثة فى إمكان الاستشهاد به . أمّا من منع الاستشهاد به فمنهم ابن الضائع الذى يقول فى شرح الجمل : " ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحديث لكان الأُولَى فى إثبات فصيح اللغة كلام النبى صلى الله عليه وسلم لأنه أفصح العرب " . (١) وكذلك منع أبو حيان الاستشهاد بالحديث حيث يقول فى شرح التسهيل : " وما رأيت أحدًا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره . (٢) على أن الواضعين الأُوَّلين لعلم النحو والمستقرئين للأحكام من لسان العرب — كأبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائى والفراء وعلى ابن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم فى ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الاندلس " . (٣)

وفحوى هذا المسلك الذى تنكبه كل من ابن الضائع وأبى حيان أنهما استندا فى منعهما الاستشهاد بالحديث على أمرين : أحدهما أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما رويت بالمعنى واستشهدا على ذلك بقول سفيان الثورى : " ان قلت لكم أنى أحدثكم كما سمعت فلا تصدقونى ، إنما هو المعنى " .

---

(١) الخزانة : المقدمة .
(٢) يعنى بذلك المصنف .
(٣) المصدر السابق .

وثانيهما أن أئمة النحو المتقدمين من البصريين لم يحتجوا بشئ منه .

وأما الطائفة الثانية التى جوزت الاستشهاد بالحديث . فقد بدأت بابن خروف حيث يقول عنه أبو الحسن الضائع فى شرح الجمل : " وابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا " ، ثم يقول عنه : " لا أعرف هل يأتى بها مستدلا بها ، أم لمجرد التمثيل " . ثم يقول بعد ذلك ابن مالك والذى لم يفصّل القول فى هذا الأمر بل بنى الكلام على الحديث مطلقا ، إلى أن جاء بعدهما البدر الدمامينى ليبطل الحجة الأولى التى استند اليها المانعون مجيزا بذلك الاستشهاد بالحديث بقوله فى شرح التسهيل (١) : " ... وقد أجريت ذلك لبعض مشايخنا فصوب رأى ابن مالك فيما فعله ، بناء على أن اليقين ليس بمطلوب فى هذا الباب وإنما المطلوب غلبة الظن ... فالظن فى ذلك كله كافٍ — لأن الأصل عدم التبديل ، لا سيما والتشديد فى الضبط ، والتحرى فى نقل الأحاديث شائع بين المنقلة والمحدثين ، وأما الحجة الثالثة التى استند إليها المانعون للاستشهاد بالحديث فقد ظهر بطلانها بقول البغدادى : " وردّ الثانى فأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به ، والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوى فى ضبط الفاظه ". (٢)

وتبعا لما تقدم نجد الإمام الرضى شارح الكافية قد اقتفى أثر ابن مالك فى جواز الاستشهاد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكثر من ذلك بل ويزيد عليه الاستشهاد بكلام أهل البيت رضى الله عنهم ولا سيما على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، حيث تجد الكتاب ملىء بكلامه مع النسبة فى بعض الأحيان

---

(١) الخزانة ١ ط البيان العربى .
(٢) الخزانة ١ ط البيان العربى .

إلى نهج البلاغة ، ويكفيك لتقدير ثقة الرضى بكلام الإمام ما ذكره عند التمهيد على الاستدلال لورود (اذ) بعد (سينا) في باب الظروف ، إذ يقول : " ألا ترى إلى قول أمير المؤمنين رضى الله عنه وهو ما هو من الفصاحة بحيث هو : بينا يستقيلها فى حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته ". (١) وسوف نسوق ثبتا لأمثلة مما حواه الخزانة من شواهد متمثلة فى أحاديث نبوية أو فى كلام لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فيما بعد .

وأما الفقه الثالثة التى توسطت فى جواز الاستشهاد بالحديث النبوى ، فلم تسلك سبيل المنع على إطلاقه ولم تقل بالجواز على إطلاقه ، فيمثلها الشاطبى والسيوطى ، حيث يقول الشاطبى فى شرح الألفية " وأما الحديث " فعلى قسمين : قسم يعتنى ناقلة بمعناه دون لفظه ، فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان . وقسم عرف اعتناء ناقلة بلفظة لمقصود خاص كالأحاديث التى قصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم ، ككتابه لهمدان ، وكتابه لوائل بن حجر ، والأمثال النبوية ، فهذا يصح الاستشهاد به فى العربية ". (٢)

وأما السيوطى فيقول فى الاقتراح : " وأما خلافة صلى الله عليه وسلم فيستدل منه بما أثبت أنه قاله على اللفظ المروى ، وذلك نادر جدا ، وانما يوجد فى الاحاديث القصار على قلة أيضا ". (٣)

ونظراً لكثرة استشهاد الرضى بالحديث النبوى فى شرحه على الكافية ، إذ كلما يطالبك باب فى شرحه هذا إلا وتجد الحديث ماثلا فيه ، ترى من الواجب إيراد بعض الأمثلة على ذلك وعلى سبيل التمثيل لا الحصر :

---

(١) نشأة النحو تاريخ أشهر النحاة : ٢٥٠ ـ ٢٥١ .
(٢) الخزانة : ١ : ١٢ ـ ١٣ ط البيان العربى .
(٣) المصدر السابق .

١ — فى الكلام على أنواع الإعراب يستشهد على معنى المعرب بقول النبى صلى الله عليه وسلم " الثيِّبُ يعرِبُ عنها لسَانُها ". (١)

٢ — فى باب المعرب والمبنى يستدل الرضى على معنى كلمة (فديد) الواردة فى بيت رؤية بن العجاج — على حد قول العينى — بقول النبى صلى الله عليه وسلم : " إنَّ الجَفَاءَ والقَسْوَةَ فى القَدَّادِين ". (٢)
هم الذين تعلو أصواتهم فى حديثهم ومواشيهم .

٣ — فى باب الفاعل يستشهد على الحصر بقول النبى صلى الله عليه وسلم :— " إنَّما الأعمَال بالنِّيَّاتِ ، وإنما الوَلاَءُ للمُعْتِقِ وقوله أيضا : " لا صَلاةَ لجارِ المَسجدِ إلاّ فى المَسْجِدِ ".

٤ — فى باب غير المنصرف ، يستشهد على الصرف للتناسب بالنظير بالحديث الشريف " خيرُ المالِ سِكَّةٌ مأبُورَةٌ ، وفَرَسٌ مأمُورَةٌ " (٣) . كما يستشهد على وزن الفعل بالحديث الشريف " إنَّ اللهَ نهاكُم عن قِيلَ وقَالَ " واستشهد كذلك على صيغة الجمع المنتهى بالحديث الشريف : " إنَّكُنَّ صَوَاحِبَاتِ يوسف ". (٤)

٥ — وفى باب الإختصاص يستدل على قيام الاسم المضاف الدال على المراد من الضمير مقام (أى) بالحديث الشريف " إنَّا معَاشِرَ الأنبياءِ فِينَا بَكْ . "

---

(١) شرح الكافية ١ : ٢١
(٢) الخزانة ١ : ١٣١ بولاق . وبيت رؤية بن العجاج هو الشاهد التاسع والثلاثون وتسعة :
(نبئت أخوالى بَنِى يزيدُ ظُلْماً علينا لهُمُ فديدِ) .
(٣) شرح الكافية ١ : ٣٤ .
(٤) شرح الكافية ١ : ٣٥ .

وأما الاستشهاد بكلام أهل البيت ، فنظرًا لأن الرضى كان يمكن لعلى بن أبى طالب كل احترام وتقدير لبلاغته ، ويعترف له بالسبق والتقدم على فى صناعة الأسلوب وتدبيجه ، فلا عجب إذا وجدناه يكثر التمثل بكلامه استشهادًا واستئناسًا ، والرأى أن نسوق بعضًا منه تمثيلا لا حصرًا :

١ — فى باب المبتدأ والخبر ، عند الكلام عن حذف الخبر وجوبا يقول : " وفى نهج البلاغة : (وأنتمْ والسّاعةُ فى قَرْنٍ واحدٍ) وقريب منه قول المؤمنين على رضى الله عنه : (فَهُم والجنَّةُ كمَنْ رآها) . . . "

٢ — فى باب المفعول المطلق عند الكلام على جواز ذكر العامل وحذفه يقول : " وفى نهج البلاغة فى الخطبة البكالية : نحمدُه على عَظيمِ إحسَانِه ، ونَيِّرِ بُرهَانِه ، وتَوَامِي فَضْلِه وامتِنَانِه ، حمدًا يكونُ لحَقِّه أدَاءً " . (١)

٣ — فى باب المفعول له عند الكلام على عدم لزوم التشارك بين الفعل والمفعول فى الفاعل يقول : " والدليل على هذا قول أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى نهج البلاغة : فأعطاه اللهُ النَّظِرَةَ استخفافًا لِلسُّخْطَةِ ، واستتمامًا للبَلِيَّةِ والمستَحِقُّ للسُّخْطَةِ إبليس ، والمُعْطِى النَّظِرَةَ هو اللهُ تعَالى " . (٢)

الى غير ذلك مما يذخر به كتاب الخزانة وشرح الكافية من الكثير من كلام الإمام على كرم الله وجهه ، ومن أراد الاستزادة ففيهما معين ومنهل لا

---

(١) شرح الكافية ١ : ١٠٥
(٢) شرح الكافية ١ : ١٧٦

الشواهد الشعريـــة :

اتفق العلماء — على اختلاف مذاهبهم — على تقسيم الشعراء الى طبقـات أربع ، فيقول ابن رشيق فى كتابه " العمده " : " ... هم جاهلى قديـــم ، ومخضرم ، واسلامى ، ومُحْدَث ". (١) كما سار على هذا التقسيم ابن قتيبـــه فى وصفه لكتابه " الشعر والشعراء " حيث نجده فى ترجمته للشعراء يبدأ بالجاهليين ثم المخضرمين ثم الإسلاميين ثم المحدثين ، بعد النص على أنه إنما عنى عنايـــة خاصة بذكر من يقع الاحتجاج بشعرهم من الشعراء حيث يقول :: " وكان أكثـــر قصدى المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب ، والذى يقـــع الاحتجاج بأشعارهم فى الفقه وفى النحو وفى كتاب الله عز وجل وحديث رســـول الله صلى الله عليه وسلم ". (٢)

وقد سبق البغدادى ثبتا مستفيضا حول هذا الموضوع فى مقدمته لكتـــاب الخزانة ، فقد أثبت تقسيم الشعراء — على ما وقع عليه إجماع العلماء — إلى طبقـات أربع : (٣)

الطبقة الاولى : الجاهليون وهم ما كانوا قبل الإسلام ، كامرئ القيس والأعشى .

الطبقة الثانية : المخضرمون : وهم الذين أدركوا الاسلام والجاهلية ، كلبيد وحسان بن ثابت .

الطبقة الثالثة : الاسلاميون : وهم الذين كانوا فى صدر الإسلام كجرير والفرزدق .

الطبقة الرابعة : المولدون — ويقال لهم المحدثون — وهم من بعد الطبقة الثالثـــة إلى زماننا كبشار بن برد وأبى نواس .

---

(١) العمدة ١ : ١٧٦
(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبه : المقدمة .
(٣) الخزانة : المقدمة .

ثم يقول البغدادى : " فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعا ، وأما الثالثة فالصحيح الاستشهاد بكلامها ".

ولكنا نجد بعض العلماء يرون أن المعاصرة حجاب ، فيعتبر كل من عاصره من الشعراء محدثا حتى أنه ليلحقه ولا يستشهد بشعره ، كما كان يفعل أبو عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن أبى إسحق ، والحسن البصرى ، وعبد الله بن شبرمة حيث كانوا يلحقون الفرزدق والكميت وذا الرمة والراعى ، ويعدونهم من المولدين لأنهم كانوا معاصرين لهم ، حتى أن أبا عمرو بن العلاء كان يقول : " لقد أحسن هذا المولد حتى لقد هممت أن آمر صبياننا برواية شعره " . وكان يعنى بذلك جريرا والفرزدق وهما من الطبقة الثالثة (الإسلاميون) فجعلهما مولدين بالنسبة لشعر الجاهليين والمخضرمين . وفى هذا يقول ابن رشيق فى العمدة : "كل قديم من الشعراء فهو محدث فى زمانه بالإضافة إلى من كان قبله".

ثم يقول البغدادى بعد ذلك عن الطبقة الرابعة (المولدون) : " وأما الرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقا ، وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم ". (١)

ولقد حوى كتاب الخزانة مائة وخمسين وستمائة شاهد شعرى ـ على الإحصاء المثبت فى الخزانة ـ ، أكثرها اقتفى فيه الرضى أثر جمهرة العلماء فجاء لجاهليين ومخضرمين وإسلاميين ، وأقلها خالف فيها إجماع العلماء وانتحى نحو الزمخشرى حيث استشهد فى شرحه للكافية بشعر لمولدين محدثين من الطبقة الرابعة ، فكما استشهد الزمخشرى ببيت لأبى تمام ـ وهو محدث ـ عند

---

(١) الخزانة : المقدمة .

تفسيره لسورة البقرة فى الكشاف ، وقال : " وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيحتجون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه " . كذلك نجد العلامة الرضى قد استشهد بشعر أبى تمام أيضا فى عدة مواضع من شرحه لشواهد الكافية ، ولا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نسوق بعض الشواهد التى أوردها الرضى فى شرحه لشعراء محدثين ، وذلك على سبيل المثال :

١ ـ فى باب الفاعل : استشهد على أنه إذا وقع مرفوع بعد المستثنى فى الشعر أضمروا له عاملا من جنس الأول ، يقول أشجع السُلَمى :

(كأنَّ لَمْ يَمْتَحِنْ سِواك ولم تَقَم على أحدٍ إلا عليك النَوائِحُ) (١)

٢ ـ فى باب المبتدأ والخبر يستشهد ببيت أبى نواس :

(غير مأسوفٍ على زمَنٍ يقضى بالهمِّ والحَزَنِ) (٢)

على إجراء (غير) قائم الزيدان مجرى (ما) قائم الزيدان لكونه بمعناه ، ولكنا نجد البغدادى يتحفظ لذلك بقوله : " وهذا البيت لأبى نواس وهو ليس ممن يستشهد بكلامهم ، وإنما أورده الشارح محتجا لا للمسألة .

٣ ـ وكذلك استشهد فى نفس الباب على أن المبتدأ والخبر إذا تساويا تعريفا وتخصيصا يجوز تأخير المبتدأ إذا كان هناك قرينة معنوية على تعيين المبتدأ ببيت أبى تمام :

---

(١) شرح الكافية ١ : ٦٦
(٢) شرح الكافية ١ : ٧٧

(ب الأفاعي القاتلات لعابه وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل) (١)

٤ ـ في باب الحال ـ يستشهد بقول المتنبي :
(قبلتها ودموعي مزج أدمعها وقبلتني على خوف فما لفم) (٢)
على أن كلمة (فما) حال ، وصاحب الحال ضمير قبلتني المستتر ، أي جاعلة فاها على فيّ .

٥ ـ وفي نفس باب الحال أيضا استشهد ببيت المتنبي :
(بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا) (٣)
على أن " قمرا " وما بعده من المنصوبات أحوالا مؤوله بالمشتق ، أي بدت مضيئة كالقمر ، ومالت متثنية كخوط بان ، وفاحت طيبة النشر كالعنبر ، ورنت مليحة المنظر كالغزال .

٦ ـ واستشهد أيضا في باب الحال كذلك ببيت بشار بن برد :
(إذا انكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي عليّ سوادي) (٤)
على أن الجملة الاسمية الحالية إذا لم يكن مبتدؤها ضمير صاحب الحال فإن كان الضمير فيما صدّر به الجملة فلا يحكم بتجردها عن الواو : كجملة (عليّ سوادي) فإنها حال من التاء في خرجت .

هذا علاوة على ما كان يأتي به الرضي من شعر المحدثين ليس للاستشهاد به على قواعد نحوية وإنما كان يسوقه لمناسبات قد تبدو معنوية في ثنايا الشرح ، نذكر منها على سبيل المثال أيضا :

---

(١) شرح الكافية ١ : ٨٠
(٢) شرح الكافية ١ : ١٨٥
(٣) شرح الكافية ١ : ١٩٠
(٤) شرح الكافية ١ : ١٩٤

١ ـ في باب التنازع : يذكر بيت سعيد بن حسان :

(فكنت كالساعي الى مثعب مُوائلاً من سَبَلِ الرَّاعِدِ) (١)

ليشبه به حال الكسائي عندما رأى وجوب حذف الفاعل من الأول عند إعمال الثاني خوف الإضمار قبل الذكر ، مع أن الحذف أشنع من الإضمار قبل الذكر حيث يقول : " على أن الكسائي وقع في أشنع مما فر منه من حذف الفاعل مضمرا ، لئلا يلزم الإضمار قبل الذكر في نحو : ضرباني وضربت الشريدين ، مع أن الإضمار قبل الذكر قد ورد ، وحذف الفاعل في غير المسائل المحصورة لم يرد " . وكأنه يقول أن حال الكسائي فيما ذهب إليه كحال سعيد بن حسان إذ يقول :

فكنت كالساعي الى مثعب ..... البيت

٢ ـ في باب المبتدأ والخبر : بسوق بيت أبي تمام :

(على مِثْلِها مِنْ أربُعٍ وملاعِبٍ تُذَالُ مصُوناتِ الدُّموعِ السَّواكِبُ) (٢)

لتوجيه تقديم المبتدأ على الخبر ، حيث يقول : " ... لأن تقديم الخبر في مثله يوهم الدعاء باللعنة ... ومثاله ما حكى أن أبا تمام أنشد أبا دلف :

(على مثلها من أربُع وملاعب)

فقال بعض من أراد نكته ، " لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " ..... فانخذل منه وترك الانشاء " .

٣ ـ في باب المفعول به : يستشهد بالبيت :

(ولِأُنْكَ فيها مُفْرِطاً أو مُفَرِّطاً كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمورِ ذَمِيمُ) (٣)

---

(١) شرح الكافية ١ : ٧١

(٢) شرح الكافية ١ : ٨١

(٣) شرح الكافية ١ : ١١٧

للاستئناس به فى شرح معنى (القصد) ، حيث يقول : " على أن (القصد) فى الأمر خلاف القصور والإفراط ... فالقصد فى الأمور له طرفان ، أحدهما : القصر والتقصير ... وكذلك القرط والتقريط ، فانه يقال : قرط فى الأمر فرطا من باب نصر ، وفرّط تفريطا ، وأما القصور فهو مصدر قصرت عن الشىء من باب قعد : إذا عجزت عنه ، وليس هذا من التفريط فى شىء ، والطرف الآخر : الإفراط هو مصدر أفرط فى الأمر إذا أسرف وجاوز فيه الحد " .

٤ ـ فى باب أسماء الاصوات : يسوق الرضى بيت جميل :

(رَمَى اللهُ فى عَيْنَى بَثَيْنَةَ بالقَذَى وفى الغُرِّ مِن أنْيَابِها بالقَوَادِحِ) (١)

للاستئناس به عند الكلام على (ويلمه) وأن هذا الدعاء على حد قاتله الله) عند التعجب ، حيث يقول : " فإنّ الشىءَ اذا بلغ الكمال يدعى عليه صونا له عن عين حسادة والمعاودون له " .

وهذا الذى ساقة الرضى فى شرحه للكافية من شعر المحدثين لمناسبات قد تبدو معنوية فى ثنايا الشرح أو للاستئناس بها فى إيضاح معنى غامض أو مرمى يصعب دركه ، مما لا يقدح فى حقه ، بل هو مما يدل على سعة اطلاعه وتبحره فى ميدان الأدب والوقوف على كثير من إنتاج الشعراء فى عصورهم المختلفة . ولكن ما أتَى به للاستدلال به على قواعد نحوية ، فهذا ما يرى فيه النحاة هَنَةً تؤخذ عليه .

تعقيب :

اتفقت الروايات ، وأجمع شراح الخزانة ومحققوها على أن عدد ما حواه الكتاب من الشواهد هو سبع وخمسون وتسعمائة شاهد ، ولكن باستقراء تلك الشواهد

(١) شرح الكافية ٢ : ٧٨

بشيء من التحقيق ، وبتناولها بمزيد من البحث والتدقيق ، اتضح لنا بعض الملاحظات نذكر منها :

١ ـ الشاهد الثالث والستون (١) ، ونصه :

(أَلَا يا نخلةً مِن ذاتِ عِرْقٍ عليكِ ورحمةُ اللهِ السَّلَامُ)

قد تكرر عدّهُ ضمن الشواهد ، فأعطى الرقم الرابع عشر بعد المائه (٢) ـ على خلاف ما انتهجه البغدادي في ترقيم الشواهد ، إذ أنه إذا وجد شاهدا مكررا لم يعطه رقما في سلسلة الشواهد وإنما نوه عنه وأحاله إلى الرقم الذي سبق إثباته فيه ، وربما وقع ذلك سهوا من البغدادي ، وجَلَّ مَنْ لا يَسْهُو .

٢ ـ الشاهد الثامن بعد المائتين غير موجود ، ومراجعة طبعة بولاق من الخزانة وجد مكتوبا بالهامش على الشاهد التاسع بعد المائتين ونصه :

(وستُوكَ قد قَرُبَتْ تكتمِلُ) (٣)

هذه العبارة : " قوله وهو الشاهد التاسع صوابه الثامن " . ومراجعة نسخة دار الكاتب العربي تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون وُجِدَ مُدَوَّنا بالهامش (٤) إشارة إلى الشاهد السابع بعد المائتين ونصه :

(أَنا ابنُ دَارَةَ مشهورًا بها نَسَبِي وهل بِدَارَةَ يا لَلنَّاسِ من عارِ)

هذه العبارة : " الحق أن هذا الشاهد هو الثامن بعد المائتين وأن قبله شاهدًا قد سقط ليس يُدْرَى سبب سقوطه بدليل أن الشاهد التالي رقمه هو التاسع بعد المائتين " ، والشاهد المفقود هو كما في شرح الرضي

---

(١) الخزانة ١ : ١٩٢ بولاق .
(٢) الخزانة ١ : ٣١٣ بولاق .
(٣) الخزانة ١ : ٥٥٨ بولاق .
(٤) الخزانة ٣ : ٢٦٥ الكاتب العربي .

١ : ٢٩٦ وسيبويه ١ : ١٧٢ :

(أفى الولائم أولادًا لواحدةٍ وفى العبارة أولادًا [illegible])

وبالرجوع إلى مخطوطة الشنقيطى للخزانة وُجِد أن أرقام الشواهد مَعَالَجَةٌ بحيث أُعْطِيَ الشاهدُ السابعُ بعد المائتين الرقم (الثامن بعد المائتين) ثم سُلْسِلَت الشواهدُ بعد ذلك تِباعا •

٣ ـ الشاهد الأول من شواهد العلم ونصه :

(سُبحَانَه ثم سُبحَانًا نعُوذُ بِه وَقَبْلَنَا سبَّحَ الجُودِيُّ [illegible]) (١)

لم يُعْطَ رقما فى سلسلة الشواهد حيث ما قبله هو الشاهد السابع والعشرون بعد الخمسمائة ، وما بعده هو الشاهد الثامن والعشرون بعد الخمسمائة ولعل هذا قد وقع سهوا من البغدادى •

٤ ـ الشاهد الثانى :

(متَى تَأْتِهِ تَعْشُوا إلى ضَوْءِ نارِهِ تَجِدْ حَطَبًا جَزْلا ونارًا تأَجَّجَا)

أعطى رقمين فى سلسلة الشواهد حيث أعطى ما قبله الرقم (٧٠٠) ، ثم جاء بمقدمة الشاهد : " وأنشد بعده وهو الشاهد الحادى والثانى بعد السبعمائه وهو من شواهد س " وأعطى ما بعده الرقم (٧٠٣) ونصه :

(دَعْنِى فَأَذْهَب جانِبًا يَوْمًا [illegible] جانبا)

وبعملية حسابية بسيطة ، يتضح لنا أن هناك خطأ قد وقع فى تعداد شواهد الخزانة ، حيث جاء تعدادها وترقيمها زائدا عن العدد الصحيح بشاهدين • وعليه تكون عدة شواهد الخزانة خمسًا وخمسين بعد التسعمائة وليس سبعًا وخمسين بعد التسعمائة •

---

(١) الخزانة ٣ : ٢٤٧ بولاق •

وهيب بمن يتصدى لشرح الخزانة أو تحقيقها من السادة العلماء المعنيين بالأمر أن يفطنوا إلى ذلك فيراجعوا ترقيم شواهدها على نحو من التحقيق والتدقيق ابتغاء وجه الحقيقة ، وتحريًا للدقة العلمية بما يتفق ومكانة هذا السفر الجليـــــل بين مصنفات العربية وعلومها .

(جـ) شواهد كتاب سيبويه

لا ريب فى أن ظهور كتاب سيبويه كان أعجوبه الدهر ، فقد تملكت الناس الدهشة حين ظهوره فجأة على صورته الرائعة ، إذ يعتبر أول كتاب جامع منظم فى علمى النحو والصرف . وما كاد الكتاب يرى النور حتى عكف العلماء على دراسته والبحث فيما حواه واشتمل عليه ، فمنهم من تفرغ لشرحه ، ومنهم من اضطلع بشرح شواهده ، ومنهم من تصدى لنقده ، ولكن كل ذلك على إجماع فيما بينهم على أن ما من كتاب فى مجال العربية وعلومها قد نال ما ناله كتاب سيبويه من الفضل والمكانة والتكريم ، حتى بلغ من تقديرهم له أن أطلقوا عليه اسم " قرآن النحو " ، ولقد رُوِىَ أن أحد نحاة الأندلس وهو عبد الله بن محمد بن عيسى " كان يختم كتاب سيبويه فى كل خمسة عشر يوما " (١) كأنما يتلوه تلاوة القرآن .

وقد جمع سيبويه فى كتابه ما تفرق من أقوال من تقدمه من العلماء كأبى الخطاب الأخفش والخليل ويونس وأبى زيد وعيسى بن عمر وأبى عمرو بن العلاء وغيرهم من علماء النحو والصرف ، إذ كان النحو فى ذلك الحين يطلق عليهما ، واسمه يعمهما (٢) ، وكان سيبويه أكثر هؤلاء نقلا عن الخليل الذى كان لا يمل لقاءه ، وأنابه فى رواية الفن عنه ، فكان كتاب سيبويه سِجِلًّا لآراء الخليل مع اعترافه ـ أى سيبويه ـ بذلك حيث كثيرا ما يقول فى ثنايا مصنفه : " سألت الخليل " .

ولقد اشتمل كتاب سيبويه على الجم الغفير من الشواهد التى كان يسوقها لتثبيت الأحكام أو للاستدلال على القواعد ، والتى رأى فيها العلماء أصدق الأمثلة وأوفاها بالغرض المنشود .

---

(١) الكتاب ١ : ٣٣ ، ط الكاتب العربى تحقيق عبد السلام هارون .
(٢) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة .

الشواهد النثريـــة :

أكثر سيبويه من الاستشهاد في كتابه بالقرآن الكريم حيث كما يقول البغـــدادي : " أوضح كلام فيه ، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه "(١). حتى بلغ ما أتـــى به سيبويه من الآيات القرآنية ما يزيد على الثلاثمائة آية ، حيث يقول المازني ـ إعتذارا عن تعليم الكتاب الذي هو في نظير أجر كبير : " إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائـــه وكذا آية من كتاب الله عز وجل ، ولست أرى أن أمكن فيها ذميما "(٢). وكان أكثـــر ما يسوقه سيبويه من آيات قرآنية للاستدلال بها على قواعد نحوية وصرفية وأقله للاستئناس به عند إيضاح معنى أو تجلية غامض .

وأما الحديث الشريف فلم يستشهد به سيبويه لإثبات قواعد نحوية أو صرفيـــة ولا لمجرد إيضاح معنى ، لأنه كان يرى عدم الثقة في نقل الحديث بلفظه الوارد عـــن النبي صلى الله عليه وسلم ، نظرا لتصريح العلماء بجواز الرواية بالمعنى ، وهو فـــي هذا متفق مع أسلافه ومعاصريه من علماء العربية وجمهرة في ذلك المتأخرون ، وســـاروا على نهجه في عدم الاستدلال بالحديث الشريف ، ولم يخرج على إجماعهم ســـــوى ابن خروف وابن مالك ، وتبعهما في ذلك الرضي في شرح الكافية ـ كما قدمنـــا ـ

كما استشهد سيبويه كثيرا بكلام العرب وأمثالهم السائرة التي كان يسجلها من العلماء الذين أخذ عنهم أو التي كان يأخذها معاصرة عن المصدر ، مثال ذلك قوله : " ومثل قولهم من كان أخاك قول العرب : ما جاءت حاجتك "(٣) وقوله : "كمـــا جعلوا عسى بمنزلة كان في قولهم : عسى الغوير أبؤسا "(٤).

---

(١) المخزانة : المقدمة .
(٢) سيبويه حياته وكتابه : ٤٣
(٣) الكتاب ١ : ٢٤ الكتاب العربي
(٤) الكتاب ١ : ٢٤ الكتاب العربي

الشواهد الشعرية :

بلغ ما ساقه سيبويه فى كتابه من الشواهد الشعرية ألفا وخمسين بيتـــا ، الا أنه لم يعن بنسبتها الى قائليها الا قليلا منها ، معتمدا فى ذلك علـــى شيوخه فيما استشهدوا وشب الانشاد اليهم ، كما اعتمد على نفسه فيما سمعـــه هو شخصيا .

وانما امتنع سيبويه عن تسمية الشعراء ـ كما يقول البغدادى ـ " لأنـــه كره أن يذكر اسم الشاعر وبعض الشعر يروى لشاعرين ، وبعضه متحول لا يعـــرف قائله لأنه قدم العهد به "(١). ويقول البغدادى أيضا : " وقد خرج كتـــاب سيبويه إلى الناس والعلماء كثير ، والعناية بالعلم وتهذيبه أكيده ، ونظر فيـــه ونقد فما طعن أحد من المتقدمين عليه ولا ادعى أنه أتى بشعر منكر "(٢). وربما كان ذلك لأن العلماء فى ذلك الحين كانوا على علم بهذه الأشعار لقرب عهدهـــم بها . وقد أخذ العلماء بعد ذلك فى البحث عن الشعراء قائلى شواهد سيبويـــه ، فترى الجرمى يقول : " نظرت فى كتاب سيبويه فاذا فيه ألف وخمسون بيتا ، فأمـــا الألف بيت فعرفت أسماء قائليها فأثبتها ، وأما خمسون فلم أعرف أسماء قائليهـــا " ، وقد روى هذا القول عن المازنى وهما متعاصران (٣) ، وعليه فإن نسبة الشعـــر الى صاحبه الموجودة بكتاب سيبويه الآن حادثة بعد سيبويه ، فهى إما عـــن الجرمى أو المازنى . وقد سميت هذه الأبيات الخمسون بين العلماء " أبيات سيبويه الخمسون المجهولة القائل ".

وعلـــــــ

وعلى الرغم مما قاله الجرمى أو المازنى فإن النسبة الصادرة من أيهما لشواهد الكتاب بمطبوعاته المتداولة بين أيدينا لم تشمل الألف بيت جميعها ، مما يجعل من الصعب على الباحث التعرف على الخمسين المجهولة القائل .

وقد ذكر [illegible] الشنقيطى فى كتابه (الحماسة السئية) أن واحدًا منها عرف نسبته وهو :

(أَفَبَعْدَ كِنْدَةَ تَمْدَحَنَّ قَبِيلَا)

وهو عجز وصدره : (قَالَتْ فَطِيمَةُ جَلَّ شِعْرُكَ مَدْحُهُ) ونسبه إلى امرئ القيس (١)

ولكن الدكتور أحمد أحمد بدوى يقول : " ولكنى رجعت إلى كتاب سيبويه فوجدت هذا الشطر بالجزء الثانى (صفحة ١٥١) فى باب نون التوكيد منسوبا إلى شاعر يسمى ([illegible]) ، ولعل الأستاذ الشنقيطى نسبه لامرئ القيس لما فيه من مدح كندة قبيلة الشاعر ، وذكر الأستاذ الرافعى رأيه فقال : والصحيح أن تلك الأبيات التى فيها هذا الشطر موضوعه على امرئ القيس لنزولها عن طبقته وظهور الصنعة والتوليد فيها " . (٢)

وفى هذا الصدد يقول البغدادى عن سيبويه وأبياته الخمسين المجهولة القائل : " ويؤخذ من هذا أن الشاهد المجهول قائله وتتمته إن صدر من ثقة يعتمد عليه قُبِلَ وإلا فلا . ولهذا كانت أبيات سيبويه أصح الشواهد ، إعتمد عليها خلف بعد سلف ، مع أن فيها أبياتا عديدة جُهِل قائلوها ، وما عيب بها تا قِلوها " (٣)

---

(١) الخزانة ١ : ٣٣ هامش ([illegible] العربى) .
(٢) سيبويه حياته وكتابه : ٤٣
(٣) الخزانة ١ : ٣٣ هامش ([illegible] العربى) .

ويقول البغدادى أيضا ملتمسا العذر لسيبويه فى عدم نسبته الشواهد لقائليها : " وانما امتنع سيبويه من تسمية الشعراء لأنه كره أن يذكر الشاعر وبعض الشعر يروى لشاعرين ، وبعضه منحول لا يعرف قائله لأنه قدم العهد به " وفى كتابه شئ ما روى لشاعرين ، فاعتمد على شيوخه ونسب الانشاد اليهم " (١)

ولقد ذكر استاذنا المحقق المدقق عبد السلام هارون فى حواشى مقدمته لنسخة كتاب سيبويه التى صدرت عن دار القلم والذى قام على شرحها وتحقيقها ، أنه قد توصل الى معرفة نسبة بعض الشواهد الخمسين المجهولة القائل حيث يقول : " قد عثرت الى الان على نسبة شواهد اخرى من نسختنا هذه من المجهولة القائل ... وسأشير الى جميع ما عرفته من ذلك فى فهارس الكتاب ان شاء الله " (٢)

ولكنى تعجلت الأمر نظرا لمثول رسالتى هذه للمناقشة ولم أنتظر حتى ينتهى استاذى عبد السلام هارون من اتمام هذه النسخة من الكتاب والاشارة الى ما عثر عليه من الأبيات المجهولة القائل ، فحاولت التعرف على هذه الأبيات ، وأسوق الآن ثبتا لما تعرفت عليه مسترشدا بما أثبته بهامش الصفحة ٥٨ من الكتاب وأرجو أن أكون قد وفقت فى هذه المحاولة .

الشاهد	اسم القائل	رقم صفحة الكتاب
هل تعرف الدار عن تبراكا دار لسعدى اذ ه من هواكا	حقاف بن نديه السلمى	٢٧
فقد وجا الليل فهيا هيا)	ابن ميادة	٥٩
يمرون بالدهثاء خفاف عيابهم ويخرجن من دارين بجر الحقائب	أعشى همدان	١١٥
أكل عام نعم تحوونه يلحقه قوم وتنتجونه	قيس بن حصين بن زيد الحارثى	١٢٩
وذكرت تمتد برد مائها وعتب البول على انمائها	ابو وجزه النتعص	١٥١
انى يحيلك وأصل حبلى ويريش نبلك واصل نبلى	امرؤ القيس ربع الهذلى	١٦٤
هل أنت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق	جابر بن الان القيسى	١٧١
ومالكم والفرط لا تقربونه وقد خلته أدنى مرد لعاقل	عبد مناف بن ربيع الهولى	٣٢٨

(١) الخزانة ١ : ١٧٨ والكتاب ١ : ٣٣ ـ ٣٤ (دار القلم)

(٢) الكتاب ١ : ٣٣ (دار القلم)

ولم يلته الأمر بالعلماء عند هذا الحد من البحث والتنقيب والدراسة لشواهد الكتاب ، بل مضى الهمز إلى الطعن فى بعض أبياته المنسوبة لقائليها طعنا يقضى بعدم الاستدلال بها على القواعد ، وفى مقدمة هؤلاء الطاعنين ابن قتيبه ، والمبرد ، والعسكرى حيث قالوا بخطأ الرواية فى بعض الأبيات . (١) ونسوق الآن أمثلة لما طعن عليه العلماء من شواهد الكتاب :

١ — قول عقيبة بن هبيرة الاسدى :

(مُعَاوِىَ إِنَّنا بَشَرٌ فاَسْجِحْ فلَسْنا بالجبالِ ولا الحَدِيدَا) (٢)

وقد استشهد سيبويه على أن نصب (الحديد) جارٍ على الموضع من (الجبال) لأن الباء زائدة . وقد خطأ ابن قتيبه هذه الرواية فى كتابه (الشعر والشعراء) بدعوى أن الصواب الجركيفية القصيدة ، وتابعه فى ذلك المبرد والعسكرى فى (التصحيف والتحريف) ، إلا أن سيبويه لا يعدم أن يجد مناصرين له ، ومدافعين عنه ، فابن الأنبارى فى كتابه (الإنصاف) يرى أن البيت رُوِىَ بروايتين إحداهما منصوبة والأخرى مجرورة ، واستشهد سيبويه بالأولى ، كما يقول الشنتمرى فى شرحه على الكتاب : " سيبويه غير متهم رحمه الله فيما نقله رواية عن العرب ، ويجوز أن يكون البيت من قصيدة منصوبة غير هذه المعروفة ، أو يكون الذى أنشده رده إلى لغته فقبله منه سيبويه منصوبه ، فيكون الاحتجاج بلغة المنشد لا بقول الشاعر ". (٣)

---

(١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : ٩٣
(٢) الكتاب ١ : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧٥ ، ٤٤٨ (دار القلم) .
(٣) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : ٩٣ وما بعدها .

٢ — قول نهشل بن حرى :

(لِيَبْكَ يزيدَ ضَارِعٌ لخصومَـــةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ) (١)

وقد استشهد سيبويه على أن رافع (ضارع) محذوف للعلم به من سابقه وهو (ليبك) ، وقد خطأ روايته الأصمعى حيث رأى نصب (يزيد) بالفعل قبله والفعل مبنى للمعلوم ، ولذا يكون (ضارع) فاعل ليبك وليس المحذوف ، وقد تابعه فى ذلك ابن قتيبه والمبرد ، ولكن العلماء أجازوا رواية سيبويه كالزمخشرى وابن الحاجب وابن هشام والأشمونى . (٢)

٣ — قول الأخطل :

(كَرُّوا إلى حَرَّتَيْهِم يَعْمُرُونَهَا كما تَكِرُّ إلى أوطانِها البَقَرُ) (٣)

وقد استشهد سيبويه على جواز رفع المضارع وهو (تعمرونها) بعد الطلب وهو (كروا) لعدم قصدا لجزائية ، ويقول الشيخ محمد الطنطاوى " لم ينبه أحد من العلماء قط على ما فى البيت من خطأ ابتنى عليه زعمهم الاستدلال بالبيت ، إذ مدار الاستشهاد به على أن (كروا) فعل أمر بدليل الخطاب فى (يعمرونها) . والحقيقة أن الفعل ماض وأن صواب الشطر الأول (كَرُّوا إلى حَرَّتَيْهِم يَعْمُرُونَهَا) على الحكاية للغائبين ، فالبيت من قصيدة فى متناول أيدى الجميع . " (٤)

هذا علاوة على الأبيات التى قال عنها البعض أنها مصنوعة ، والتى تسوق عنها أمثلة لا حصرًا .

١ — قول اللاحقى :

(حَذِرًا أمورًا لا تَضِيرُ وآمِنًا ما ليس مُنْجِيه مِنَ الأَقْدَارِ) (٥)

---

(١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة

(٢) الكتاب ١ : ٤٥١

(٣) الكتاب ١ : ٤٥١

(٤) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ٩٤، ٩٥

(٥) الكتاب ١ : ٩٨

وقد استشهد به سيبويه على عمل (فَعِل) من أبنية المبالغة ، وقد قيل يروى عن اللاحقى أنه قال : " أن سيبويه سألنى عن شاهد فى تعدّى فَعِل فعملت له هذا البيت " ولكن الكثير من العلماء قد تصدى للدفاع عن سيبويه ، فمنهم من قال بأن ذلك لا يقدح فى سيبويه لأن القياس عنده كالأعلم ومنهم من قال بأن قول اللاحقى : " فعملت له هذا البيت " أى " فرويته له " كهرون من موسى .

٢ — البيتان القائلان :

(هم الفاعلون الخيرَ والآمِرونَه إذا ما خشوا يومًا من الأمرِ مُعْظَمًا)

(ولم يَرتفِقْ [illegible] بميمًا وأيدى المُعْتَفِين رَواهِقُه) (١)

وقد طعن المبرد فى هذين البيتين ، وادعى أن الضمير لا يتصل بالوصف المثنى أو المجموع إلا إذا تجرد من النون اللاحقه فى آخره ، إذ الجمع بين الضمير والنون اللاحقه ممنوع ، ولكن المبرد فاته أن سيبويه نفسه قد صرح أن هذين البيتين مصنوعان ، وذلك فيما نقله عنه ابن يعيش فى شرح المفصل (مبحث الإضافة اللفظية) .

٣ — البيت القائل :

(إذا ما الخبزُ تأدمَ بلحمٍ فذاك أمانةُ اللهِ الثريدُ) (٢)

واستشهد سيبويه مرتين : الأولى على رفع ما بعده إذ ، والثانية على نصب أمانة بفعل مقدر . ولكن [illegible] يقولون أن البيت مصنوع . حيث يقول الأعلم فى شرح الكتاب : " ويقال هو مما وضعه النحاة " .

---

(١) الكتاب ١ . ٩٦ ، [illegible]

(٢) الكتاب ١ : ٤٣٤ ، ٢ : ١٤٤

وبالاضافة الى ما تقدم يلاحظ المستقرئ لشرح الأعلم على شواهد سيبويه أن هناك أبياتا مزيدة على أبيات سيبويه ، وبالتحرى والاستقصاء أمكن حصر هذه الأبيات المزيدة فى أحد عشر بيتا هى عبارة عن : بيتين ينسبهما الأعلم الى سيبويه شخصيا لإطلاقه الإنشاد له على وفق طريقته فى شواهده ، وأربعة أبيات أنشدهما الأخفش ، وثلاثة أبيات أنشدهوا المازنى ، وبيت أنشده المبرد ، وبيت أنشده الجرمى .

هذا — ولم يستشهد سيبويه — على ما أجمع عليه النحاة — إلا بشعر من يحتج بشعرهم من الطبقات الثلاث الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين) ، أما المحدثون فلم يستشهد بشئ من شعرهم سواء لإثبات قواعد نحوية أو لإجلاء مسائل معنوية ، فيما عدا ما أورده من شعر بشار بن برد ، وكان لإقدامه على ذلك قصة تناقلتها كتب النحو فيما بينها ، فقد روئ أن سيبويه قد عاب على بشار — صدر المُحْدَثِين — كلمات له فى بعض أبيات ، وبلغ عَيْبُه لها بشارا (١) فقال يهجوه :

(أسِيْبويه يَابْنَ الفارسِيَّةِ ما الذى تَحَدَّثْتَ عن شَتْمِي وما كنتَ تَنْبِذُ
أظلَّتْ تغنى سادِرًا فى مساءتى وأمك بالمِصْرين تعطى وتأخذُ)

فتوقى سيبويه شره بعد ئذ ، وكان اذا سئل عن شئ فأجاب عنه ووجد له من شعر بشار شاهدا احتج به استنكافا لشره .

وروى السيوطى فى الاقتراح : (٢) " وأول الشعراء المُحْدَثِين بشر ابن برد ، وقد احتج سيبويه ببعض شعره تقربا إليه ، لانه كان هجاه لتركه الاحتجاج بشعره " ولكن الرواية الأولى أقرب إلى الصواب وأظهر الحقيقة ، كما هو واضح من معنى بيتى بشار فى هجاء سيبويه .

---

(١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : ١٠٠
(٢) الخزانة ١ : ٨ الكاتب العربى .

(د) صلة شواهد الخزانة بشواهد سيبويه فى كتابه

عُنِىَ كل من سيبويه وصاحب شرح الكافية ـ التى جاءت الخزانة شرحا لشواهده ـ فى مؤلفيهما بالشواهد لتثبيت الأحكام والاستدلال بها على القواعد النحوية المستفيد لها • إلا أننا نجد كتاب سيبويه وقد اشتمل على شواهد لقواعد نحوية وصرفية ، إذ كان علم النحو فى ذلك الحين يطلق عليهما واسمه يعمهما ، أما خزانة الأدب فانفرد بشواهد القواعد النحوية حيث خصص ابن الحاجب كافيته لذلك بينما خصص الشافية للعلم الصرف •

والمتصفح للسفرين الجليلين ـ الخزانة والكتاب ـ والمستقرئ لما تضمناه من الشواهد ، يقف على مدى وثاقة الصلة بين ما حواه الخزانة وما اكتنفه الكتاب منها ، فقد اشتمل الخزانة على نحو ثلث شواهده السبعة والخمسين بعد التسعمائه [1] من شواهد الكتاب ، إذ بلغ ما ورد بخزانة الأدب من شواهد كتاب سيبويه نحوا من ثلاثمائه وثلاثة وعشرين شاهدا ، كما حوى أيضا اثنين وثلاثين بيتا من أبياته الخمسين المجهولة القائل بما فيها البيت الذى توصل المحدثة الشنقيطى إلى نسبته كما قدمنا • بينما حوى الخزانة من شواهد مغنى اللبيب لابن هشام شاهدين ، ومن شواهد المفصل للزمخشرى ستة عشر شاهدا ، ومن شواهد جُمَل الزجاجى ثلاثة شواهد ، ومن شواهد إيضاح أبى على الفارسى شاهدين ، ومن شواهد الأصول شاهدا واحدا • وهذا يوقفنا على مدى الصلة الوثيقة بين الخزانة والكتاب كأساسيين يعتمد عليهما فى دراسة القواعد النحوية وبيان النكت اللغوية والأدبيه •

---

(١) هذا تبعا للإحصاء المتفق عليه ، ولكنا سبق أن قمنا بإحصاء هذا الأمر واتضح لنا أن عددها الصحيح هو (٩٥٥) شاهدا •

والآن نعقد مقارنة بين الكتابين من حيث تناولهما للموضوعات ومعالجتها للشواهد حتى تتم الفائدة ويجد الباحث فيها مأربه وهو في غنى عن طول بحث وتنقيب قد يعييه ذلك عن التوصل إلى جادة الصواب وسبيل الهدى والرشاد .

الشواهد النثرية :

ونفرد لها هذا المجال لنوضح فيه أوجه الاتفاق والاختلاف بين مؤلفي الكتابين :

أ) القرآن الكريم :

الاتفاق تام بين مؤلفي الخزانة والكتاب على الاستشهاد بالقرآن الكريم مطلقا ، ويظهر ذلك الاتفاق جليا في ايراد الكثير من الآيات القرآنية في كلا الكتابين ليس للاستشهاد بها على قواعد نحوية فحسب وانما للاستئناس بها والتوصل إلى معنى شاهداً وشرح لفظه أو عبارة وردت في ثنايا الشرح .

فقد ورد في كتاب سيبويه من الآيات القرآنية ما يربو على الثلاثمائة آية ، وقد قال المازني ، اعتذارا عن تعليم الكتاب ليتمرّن في نظير أجر كبير (١) : " ان هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا آية من كتاب الله عز وجل ، ولست أرى أن أمكن منها غيري " . واليك أمثلة لا حصر لما أورده سيبويه في كتابه من الآيات القرآنية :

١ ـ أورد سيبويه الآية الكريمة " وإنّ ربّك ليحكم بينهم " (٢) مستدلا بها لدخول اللام على الفعل المضارع لمضارعته لاسم الفاعل ـ اي الحاكم ـ .

---

(١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : ٨٤ ـ وقد سبق الكلام عن ذلك في شواهد سيبويه .

(٢) الكتاب ١ : ٥٠ (دار القلم) ، والاية ١٢٤ من سورة النحل .

٢ — ومما يسوقه سيبويه استئناسا لناحية المعنى فى الأحكام قوله : " وقد يكون علمت بمنزلة عرفت لا تريد الا علم الأول " فمن ذلك قوله تعالى : (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت)(١) وقال سبحانه : (وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)(٢) فهى ههنا بمنزلة عرفت ". (٣)

٣ — ومما ذكره من الآيات التى خالف ظاهرها الحكم الذى ذكره لتخريجها قوله تعالى : (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)(٤) وقوله تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)(٥) " حيث يقول سيبويه : " فان هذا لم يبين على الفصل ولكنه جاء على مثل قوله تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون)(٦) ثم قال بعد : فيها كذا وكذا . فانما وضع المثل للحديث الذى بعده ، وذكر بعد اخبار وأحاديث فكأنه على قوله ومن القصص مثل الجنة أو مما يقص عليكم مثل الجنة ، فهو محمول على هذا الاضمار ونحوه . والله أعلم ". وكذلك الزانية والزانى كأنه لما قال : " سورة أنزلناها وفرضناها "(٧) قال : فى الفرائض الزانية والزانى ، أو الزانية والزانى فى الفرائض ثم قال : فاجلدوا ، فجاء بالفعل بعد أن مضى فيها الرفع الخ "وهكذا(٨)

وأما صاحب الخزانة فكان موقفه من الاستشهاد بالقرآن الكريم أكثر وضوحا وأعمق بيانا حيث كان معنيا بالإشهاب فى معالجة الشواهد والإطناب فى تجليه ما اكتنفها من غموض ، ولو تتبعنا كل ما ورد بالخزانه من آيات قرآنية لضاق بنا المقام ، ولذا نجتزى بأقل القليل منها ،

---

(١) الآية ٦٥ من سورة البقرة
(٢) الآية ٦٠ من سورة الأنفال
(٣) الكتاب ١ : ٤٠ (دار القلم)
(٤) الآية ٢ من سورة النور
(٥) الآية ٣٨ من سورة المائدة
(٦) الآية ١٥ من سورة محمد
(٧) الآية الأولى من سورة النور
(٨) الكتاب ١ : ١٤٣ (دار القلم)

وفى الخزانة شفاء لقليل القارئ وبل لصدى الباحث • فمثال ما ورد بالخزانة من الآيات الكريمة قوله تعالى : " وقال الذين كفروا للذين آمنوا ، اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم " (١) دليلا من اللغص على جواز عطف الصرب على المبنى مع وجود الحامل •

٢ — ورد ت بالخزانة الآية الكريمة : " ما أنتم بمصرخي " (٢) عند شرح الشاهد العشرين بعد الثلاثمائه ، ونصه (قال لها : هل لكِ يا تافِقَ " دليلا على أن كسر ياء المتكلم من نحو (فِي) لغة بنى يربوع •

٣ — كما وردت الآية الكريمة : " نوله ما تولى ونصلِه جهنم " (٣) دليلا على أن من قرأ الآية يجزم الهاء من (نوله) ، (نصلِه) فقد وهم أن الجزم فى الهاء ، ولكن الهاء فى موضع نصب فى الفعلين ، وقد انجزم الفعلان بسقوط الياء منهما •

ب — الحديث الشريف :

لم ير سيبويه صحة الاستشهاد بالحديث الشريف لا استشهاداً به على قواعد نحوية ولا استئناسا للتوصل إلى غرض معنوى ، بذلك لإجازة العلماء روايته بالمعنى • (٤)

وأما شارح الكافية التى جاء الخزانة شرحا لشواهده فقد رأى صحة الاستشهاد بالحديث الشريف تبعا لابن خروف وابن مالك من بعده —

---

(١) الخزانة ١ : ٣٩١ بولاق والاية ١٢ من سورة العنكبوت •
(٢) الخزانة ٢ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ بولاق ، والاية ٢٢ من سورة ابرهيم
(٣) المصدر السابق ، والاية ١٥ من سورة النساء •
(٤) الخزانة : المقدمة

كما تقدم — ولذا نجد صاحب الخزانة آخذا بما ذهب إليه شيخة من صحة الاستشهاد بالحديث . فقد ذكر الحديث الشريف " ثلاث كذابات فى ذات الله " (١) عند شرحه للشاهد السادس عشر ، دليلا على صحة لفظة (ذات) فى الإضافة إلى الله تعالى مع عدم إيهام التأنيث . كما نجده يأتى بالحديث الشريف " إنما الجفاء والقسوة فى الفدادين " استئناسا به فى بيان معنى كلمة (قديد) عند شرح الشاهد التاسع والثلاثين وهو قول رؤبة ابن العجاج :

(نبئت أخوالى بنى يزيد ظلما علينا لهم قديد) (٢)

جـ — كلام العرب وأمثالهم :

أقوال العرب وأمثالهم معين لا ينضب لمن أراد الاستشهاد بها فى مجال العربية وعلومها ، وذلك لكثرتها وسهولة الحصول عليها فهى منطق العربى فى ذهابه وإيابه ، وحديثه فى غدوه ورواحه ، يرسلها حيثما حل وأينما سار ، وقد أكثر سيبويه من الاستدلال بكلام العرب وأمثالهم التى كان يسمعها من العلماء الذين يتلقى عنهم ، أو يأخذها مشافهة من قائليها ، ومثال ذلك قوله : وسمعنا من يوثق به من العرب يقول : ما جاءت حاجتك " (٣) ، وقوله أيضا : " وسمعنا من يوثق به من العرب يقول : " اجتمعت أهل اليمامة الخ " (٤) ، ومن الأمثال العربية قوله : " كما جعلوا

---

(١) الخزانة ١ : ١٤٢ الكاتب العربى .
(٢) الخزانة ١ : ١٣١ بولاق .
(٣) الكتاب ١ : ٢٤ (دار القلم) .
(٤) الكتاب ١ : ٢٦ (دار القلم)

عسى بمنزلة كان فى قولهم (عسى الغوير أبؤسا) " (١)

وقد ورد بالخزانة أيضا قدر ليس باليسير من أقوال العرب وأمثالهم استدلالا بها فى اثبات قاعدة نحوية أو استئناسا بها عند شرح لفظة أو عبارة فى معرض شاهد من الشواهد ، ومثال ذلك ما ورد فى باب المفعول له عند الكلام على عدم لزوم التشارك بين الفعل والمفعول فى الفاعل ما نصه : " والدليل على جواز عدم التشارك قول أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى نهج البلاغة :

(فأعطاه الله النظرة استحقاقا للسخطة واستتماما للبلية ، والمستحق للسخطة ابليس والمعطى النظرة هو الله تعالى) " (٢) كما ورد بالخزانة الكثير من الأمثال العربية مثل (أصب من المتمنية) (٣) ، (أندم من الكسعى) (٤) ، (أشأم من غراب المبين) (٥) .

ومن هنا نجد الاتفاق تاما بين مؤلفى الخزانة والكتاب على الاستشهاد بكلام العرب وأمثالهم .

الشواهد الشعرية :

عرضنا فيما تقدم أن سيبويه لم يستشهد الا بشعر العرب المعترف بالاحتجاج بكلامهم وهم من يمثلون الطبقات الثلاث الاول دون المحدثين وهو فى ذلك مقتف لأثر جمهرة العلماء السابقين عليه ، بينما تجد شارح الكافية ومن بعده صاحب الخزانة قد أوردا شعرا لبعض المحدثين الذين جاءوا فى مرتبة تاليه لشعراء الطبقات الثلاث الذين أجمع النحاة على الاستشهاد بشعرهم وهم ما يسمون بالمولدين ، وذلك اقتناء لأثر الزمخشرى الذى كان

---

(١) الكتاب ١ : ٢٤ (دار القلم)
(٢) شرح الكافية ١ : ١٧٦ .
(٣) الخزانة ٢ : ١٠٨ . بولاق
(٤) الخزانة : شاهد ٢٧٧ .
(٥) الخزانة : شاهد ٢٧٨ .

بشعر أبي تمام حيث كان يقول فيه : " وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى إلى قول العلماء : والدليل على ذلك قول الحماسة فيقتصون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه " . وقد سقنا فيما تقدم أمثلة مما استشهد به شارح الكافية من شعر المحدثين . (١)

هذا — وبالنظر إلى شواهد الكتاب نلاحظ أنها لم تعالج المعالجة اللائقة بها ، على خلاف ما حدث في الخزانة ، وربما كان ذلك لأن سيبويه عند تأليفه كتابه قد جمع فيه أقوال العلماء المتقدمين عليه وهم حينئذ قليل ، إذا قارناهم بأولئك السابقين على شارح الكافية أو مؤلف الخزانة الذين ورد آراؤهم في الخزانة ، هذا علاوة على ما كان يستنبطه سيبويه بنفسه أو يسمعه مشافهة من العرب وربما تسرب الخطأ أو السهو إليه فيما استنبطه أو سمعه ، أما الرضي والبغدادي فكانا دائما يعتمدان على قواعد ثابتة وأسانيد ترجع إلى أصول مدونة ومدروسة .

كذلك يلاحظ أن الشواهد في الخزانة تأتي للباحث طيعة سهلة ، حيث عني مؤلفها بترتيبها وترقيمها ، فقد رتبت على أبواب النحو والصرف وبأسلوب حصري وطروق سواء في عنوان الموضوع أو في شرح الشاهد ، على خلاف ما عليه كتاب سيبويه الذي يقول فيه الشيخ محمد الطنطاوي (٢) : " فترتيب الكتاب على غير المألوف في كتبنا المتداولة بين أيدينا ، والإسراف في عناوين أبوابه جاوز الحد ، فقد بلغت عشرين وثمانمائة ، مع الغموض الذي لا يفصح

---

(١) راجع شواهد الخزانة من هذا البحث .
(٢) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : ٨٢

عن المقصود لأول وهله مع التداخل فى كثير من الأبواب ... وبعض عباراته الاصطلاحية حلت بدلها عبارات أخرى عندنا "• كما يقول الدكتور أحمد أحمد بدوى عن كتاب سيبويه : "كتاب موضوع للعلماء وهو من أجل ذلك موجز • وكل كلمة فيه موضوعه لمعنى • فهو يشبه مع ضخامته متنا من المتون ... وهذا الإيجاز يسبب فى أحيان كثيرة غموضا وابهاما والتواء مما يحتاج إلى إعمال الروية والتأنى فى فهم غرض المؤلف • ولست أرى من أن الكتاب غامض أنه غير مفهوم • بل أريد أن أثبت أن الغموض واقع فى بعض الفصول • ولكنه فى الأغلب واضح • غير أنك لا تستطيع مع ذلك أن تقرأه ؟ إلا وأنت متريث على مهل • وأسلوب الكتاب يؤدى الى التفهيم لا التأثير ومع ذلك لا أستطيع أن أخفى ضعف الابانة فى كثير من صفحات الكتاب"• (١) كما يقول الدكتور احمد بدوى أيضا عن أسلوب الكتاب : (٢) : " لم يقتصر الكتاب على ذكر قواعد النحو فحسب بل شمل قواعد الصرف أيضا ... ترتيب أبواب الكتاب يخالف ما عهدناه من الترتيب فيما تتداوله من الكتب التى بين أيدينا فلا يأتى بالمرفوعات كلها على حدة • ثم المنصوبات • ثم المجرورات مثلا • بل بعضها ممزوج ببعض ... لا يسير فى ترتيب أبوابه وفصوله على الطريقة المنطقية الدقيقة • فيقدم أبوابا من حقها أن تتأخر • ويؤخر أبوابا من حقها أن تتقدم • ويمزج فصولا فى غير موضعها الطبيعى "•

وهذا على خلاف النهج الذى رسمه لنفسه مؤلف الخزانة فى ترتيب مصنفه • حيث خصها بمعالجة الشواهد النحوية فحسب والتحى

---

(١) سيبويه حياته وكتابه : ٣٤

(٢) المصدر السابق : ٢٨ ـ ٢٩ بتصرف يسير

ودت فى شرح الكافية للرضى ، كما رتبت أبوابها على نفس أبـــواب
النحو المعروفة والمعهودة ، كما عنى مؤلفها بترتيب فصولهـا علـى
الطريقة المنطقية الدقيقة مع الإسهاب فى شرح الشواهد والإطنـاب
فى ايراد اقوال العلماء حيالها دون إيجاز أو اقتضاب .

أما عن نسبه الشواهد إلى قائليها ، فان سيبويه قد أورد شواهد
كتابه دون نسبتها إلى قائليها ، مما جعل العلماء من بعده ، كالجرمى
والمازنى [illegible] بنسبتها بعده ، وأدى ذلك إلى التضارب والخـلاف
بينهم ، فمن ذلك تركهم خمسين شاهدا لم يستدلوا على قائليهـــا
ـ كما تقدم ـ علاوة على القول بتخطئة رواية بعضها ، وقولهم بأن بعض
الروايات مصنوعة ، ثم القول بزيادة بعض الأبيات على الشواهد مـــن
فعل سيبويه أو الأخفش أو المازنى أو الجرمى أو المبرد ، غير أن ذلـك
لم ينقص من قدر سيبويه ولم يقدح فى مكانته العلمية ، وفى ذلك يقـــول
الشيخ محمد الطنطاوى: (١) " غير أنه لم يفن رحمه الله بنسبـــة
الشعر المذكور إلى قائليه فى كثير من الشواهد ، سواء ما استشهـــد
به العلماء الحاكى عنهم وما استشهد به هو ، لأن بعض الشعر قـــد
روى لشاعرين أو أكثر ، وبعضه قديم العهد لا يعرف قائله ، فاعتمـــد
على شيوخه فيما استشهدوا به ونسب الانشاد اليهم ، وعلى نفسه فيمـا
سمعه بأذنه ولم يتخذ أحد من العلماء اغفاله للنسبة سبيلا للطعن عليه
على حين أنه أخرج للناس كتابه والعلماء كثير والعناية بهذا العلـــم
شديدة وكيدة ، ولعل ذلك لأن العلماء فى ذلك الحين كانوا علـــى
علم بها لقرب العهد ".

---

(١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : ٨٦.

أما صاحب الخزانة فلم يشأن أن يترك شاهدا دون نسبتـــه إلى صاحبه ، أللهم إلا ما ورد من أبيات سيبويه الخمسين المجهولـه القايل ، فاذا صادف البغدادى شاهدا دون أن يهتدى إلـــى قائله أورد جميع أقوال العلماء فيه وفى نسبته على اتفاقها واختلافهـا معقبا عليها بقوله : " والله أعلم بحقيقة الحال " ، تاركا الباب بعده مفتوحا لمن كان خطه أوفر فى الاهتداء الى قائل الشاهد بصفةقاطعه .

ولا نكاد نقف فى خزانة الأدب على شاهد واحد لم يستشهـد أو يستأنس البغدادى فيه برأى سيبويه أو بشواهد من كتابه علـــى اثبات قاعدة نحوية أو التوصل إلى شرح بيت أو لقطة ، مما يوقفنا علـى مدى العلاقة الوطيدة والصلـة الأكيدة بين ما حواه كلا الكتابيـــن الهامين والسفرين الجليلين من شواهد .

الباب الثالث

الفصل الأول :

أ ـ مذهب البغدادى النحوى .

ب ـ منهج البغدادى النحوى

جـ ـ منهج البغدادى اللغوى

الفصل الثانى :

جهود البغدادى فى دراسة النحو واللغة

" الفصـــل الاول ـــــ "

أ ـــ مذهب البغدادى النحوى •

ب ـــ منهج البغدادى النحوى متمثلا فى الخزانة •

جـ ـــ منهج البغدادى اللغوى متمثلا فى الخزانة وما ورد بها من آراء •

(أ) مذهب البغدادى النحوى

نشأ النحو فى أول أمره بصريا منذ أن تصدى لوضعه أبو الأسود الدؤلى تنفيذاً لأمر أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه — على أصح الروايات — حيث اضطلع البصريين بجميع شتاته والتقعيد له طيلة الفترة التى احتوت الطبقتين الأولى والثانية من نحاة البصرة ، وكان يمثل الطبقة الأولى أبو الأسود الدؤلى وعبد الرحمن بن هرمز (١) ، ويمثل الطبقة الثانية نصر بن عاصم الليثى ويحى بن يعمر وعنسبة الفيل ميمون الأقرن (٢) . الى أن ظهر المذهب الكوفى بالكوفة فى أحضان الخلفاء العباسيين وتبجيع منهم مناوأة منهم للمذهب البصرى الذى اشتهر رجاله بالتمسك بعزتهم ، وكرامتهم وعدم التزلف إلى الخلفاء أو السعى بين أيديهم ، حتى أن الخليفة كان يرسل فى طلب العالم البصرى لمشاورته فى مسألة نحوية أو لغوية فيأبى العالم القدوم عليه ويطلب أن يحضر إليه الخليفة حيث هو ، على أساس أن العلم يجب أن يُسْعَىٰ إليه على أن يَسْعَىٰ هو إلى طالبه ، وتمسكا بالمثل المأثور فى بيته يؤتى الحكم " .

وهذا ما أوغر صدر خلفاء بنى العباس على نحاة مدرسة البصرة ، وما دفعهم الى العمل على إنشاء مدرسة الكوفة النحوية لتكون مناوئة ومناهضة لمدرسة البصرة ، وسلبها ما لها من مكانة وتقدير فى نفوس القوم ، ونقل مركز الثقل النحوى من البصرة إلى الكوفه . وليس أدل على تأييدهم لمدرسة الكوفة وحدبهم عليها والكيد لمدرسة

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى : ٢١ — ٢٦ (دار المعارف)
(٢) المصدر السابق : ٢٧ — ٣٠ .

البصرة من تلك المسألة المعروفة " بالذنبورية " التى وقعت بين سيبويه البصرى والكسائى الكوفى ، ولقد تناولت المراجع والمصنفات — على كثرتها وتنوعها — هذه المسألة الذنبورية بما لا يدع بعدها قولا لقائل ولا زيادة لمزيد مما يجعلنا نجتزىء عن تناولنا لها فى مقامنا هذا بالإشارة دون العبارة •

ثم تتابعت طبقات النحاة بعد ذلك فى كلا المدرستين على تأثر فى طبقات الكوفيين عن طبقات البصريين فالأولى الكوفية تقابل الخامسة البصرية ، والثانية الكوفية التى يمثلها الكسائى تقابل السادسة البصرية التى يمثلها سيبويه — وقد اجتمعا معا فى المسألة الذنبورية — وهكذا الى أن تنتهى الطبقات بالسادسة الكوفية ويمثلها أصحاب ثعلب من أمثال ابن كيسان وأبى بكر بن الأنبارى ونفطويه ، والعاشرة البصرية ويمثلها أصحاب الزجاج أمثال الزجاجى والسيرافى والورّاق • (١)

وبذلك أصبح للنحو مدرستان : مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ، ولكل من المدرستين منهاجها فى البحث والنقص ، وطريقتها فى جمع المادة العلمية وتقعيد القواعد ، وسبيلها فى تصويب ما تراه وتخطئة ما يراه علماء المدرسة الأخرى ، وكان العلماء فى تلك الحقبة يجهرون صراحة بتبعيتهم إلى مدرستهم النحوية التى يسيرون فى فلكها وينكبون منهجها •

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى : ٢١ — ٢٦ •

ولما احتدم الصراع بين المدرستين واتسعت شقة الخلاف بين مذهبيهما فى البحث وتقعيد القواعد ومر عليهما حين من الدهر وهما يتطاحنان كل فى مناصرة مذهبه ورسم مذهب الفئة الأخرى بالخطأ والضلال والحيدة عن الطريق السليم ، وذلك على مرأى من العلماء الذين استقلوا بأنفسهم دون الانتماء الى أى من المدرستين ، فقد عرض هؤلاء العلماء المستقلون مذهبى المدرستين على بساط البحث وتناولاهما بالنقد والتحليل ، فاستعرضوا دعائم القواعد التى تركزت عليها من الرواية والشواهد والأقيسة ليتعرفوا مقدار هذه القواعد من الصحة والاستبانة حتى ينبنى حكمهم فى اختيار الانتماء إلى إحدى المدرستين على أساس غير منهار ، وهم ما يزال فيهم فئة تلقت عن البصرى وأخرى عن الكوفى على حين أخذت فئة ثالثة عن الفريقين . (١) ولذا فقد نجم عن ذلك أن تفرق العلماء إلى اتجاهات ثلاثة = فئة غلبت عليها النزعة البصرية ، وأخرى غلبت عليها النزعة الكوفية ، وثالثة جمعت بين النزعتين .

وتبعا لكل ما تقدم ، وتوالى الأحقاب والأزمان ، خبت تلك النزعات شيئا فشيئا حتى أصبح من غير اليسير الوقوف على اتجاه النحوى ومعرفة نزعته المذهبية ، وصار السبيل إلى ذلك مرهونا بما يستشف الباحث من كتابات العالم والوقوف على الصبغة التى تصطبغ بها أحكامه

وليس أدل على ذلك مما تقع عليه عين المتصفح لكتاب " الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لابن الأنبارى

---

(١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : ١٧٠ — ١٧١ .

الـــــــذى حوى مائة وثمانى عشرة مسألة ، وبالرغم من التنبيه الذى صدّر به كتابه من أنه سوف يقف موقف الفيصل العادل بين الفريقين غير متعسف فى حكمه ولا متعصب فى قضائه ، نجده يعقد الفوز والغلبة فى الأعم الأغلب من المسائل للبصرى ، بينما لم يرجح الكوفى سوى فى سبع مسائل فقط (١) ، وكذلك أبو البـ[illegible] العكبرى عندما ألف كتابه " التبيين فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين " أثر تغليب المذهب الكوفى على البصرى ، فكما عزز ابن الانبارى المذهب البصرى عزز العكبرى المذهب الكوفى (٢) . كذلك كان من الأسس التى بها يوقف على مذهب النحوى واتجاهه معرفة مذهب واتجاه شيوخه الذين أخذ عنهم وتلقى على أيديهم ، وفى ذلك يقول الشيخ محمد الطنطاوى : " ولا يغيب عن الذهن أن علماء هذا العصر هم أصحاب الفضل فى دخول النحو مصر دراسة وتصنيفا ، وقد حملوا معهم إلى مصر بعض مؤلفات المشارقة ... أما نزعتهم المذهبية فمرجعها إلى شخصية شيوخهم " . (٣)

فإذا أردنا — تبعا لما تقدم — الوقوف على مذهب البغدادى النحوى واتجاهه فى تقعيد القواعد اقتضانا الامر معرفة مذهب شيوخه واتجاههم ، ويتصدر هؤلاء الشيوخ الرضى الاستراباذى الذى أوقف البغدادى معظم سنى شبيبته [illegible] لى شرح شواهد شروحه لكافية ابن الحاجب وشافيته ويتتبع شيوخ الرضى بالتالى نجده يضرب بسهم نافذ إلى المذهب البصرى على الرغم من تأييده لبعض آراء الكوفيين مثل :

---

(١) [illegible] النحاة
(٢) المصدر السابق : ٢٠٩ — ٢١٠
(٣) المصدر السابق : ١٨٠

١ — يرى الكوفيون شرطية أن المدغمة فى ما ، نحو : أما أنت منطلقا انطلقت . فيقول الرضى : ولا أرى قولهم بعيدا من الصواب لمساعده اللفظ والمعنى إياه ... الخ ". (١)

٢ — يرون الضمير فى أنت وأخواته (التاء) ، وفى إياك وأخواته (الكاف) فيقول الرضى : " وما أرى هذا القول بعيدا من الصواب فى الموضعين ". (٢)

٣ — يرى الكوفيون المصدر المنسبك من أن والفعل فى نحو يعجبنى زيد أن يكون بدل اشتمال من الاسم الظاهر ، والرضى يقول : " والذى أرى أن هذا وجه قريب ". (٣)

وعن الرضى ونزعته النحوية يقول الشيخ محمد الطنطاوى : "... أما من ناحية الفن فإنه ليس فى شرحه جمّاعا ، وإنما هو الفيصل ، تستحكم عنده الفكرة فيبرزها مدعومة بالدليل العقلى والنظرى غير متحيز إلى مذهب خاص وإن كان فى الجملة بصرى الاتجاه ، فقد لا يستبعد طريقة مذهب الكوفيين أحيانا إذا صح لديه حكمته ". (٤) ومن هذا نرى أنه لولا أن الرضى كان [illegible] عدد العلماء المسائل التى رأى فيها قرب المذهب الكوفى للصواب كما فعل الشيخ محمد الطنطاوى فى كتابه المعروف " نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة ". (٥)

---

(١) باب حذف كان . شرح الكافية
(٢) باب المضمر . شرح الكافية
(٣) باب أفعال المقاربة . شرح الكافية
(٤) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : ٢٤٥
(٥) المصدر السابق : ٢٤٦ وما بعدها .

بناء على ما تقدم ، يمكن القول بأن عالمنا عبد القادر البغـــدادى كان يتحرّى الاتجاه أو على الأقل كان يميل إلى المذهب البصرى : فعلـــى الرغم من أن كل ما ألفه فى شرح الشواهد يذخر بإيراده لأقوال علماء المدرستين وآرائهم ، مثبتا أدلتهم على تساوى بينهم غير متحيز الى فئة بعينها ، شـأنـــه فى ذلك شأن شيخة الرضى الاستراباذى ، ولعل أدل على ذلك مما سطـــره فى معرض شرح الشاهد العاشر من خزانته (١) عند الكلام على عمل (أن) المقدرة حيث جوّزه الكوفيون بينما منعه البصريون ، إذ نجده يورد آراء البصريـــن والكوفيين وأدلتهم على سواء بينهم دون حيف أو تحيز إلى إحداهما ، وكـذا ما ورد فى معرض شرح الشاهد السابع عشر (٢) عند الكلام على تـــرك صرف المنصرف للضرورة حيث أورد ما ذهب اليه كل من الفريقين وأسانيدهـــم ورد كل منهما على أدلة الآخر — على استطالتها — دون مجاملة لفريـــق أو حيف على الآخر . إلا أننا عند تصفحنا لخزانة الأدب لا نعدم أن نجـــد من بين أقوال البغدادى عند شرحه للشواهد ما نستبين منه أن صفو البغدادى مع البصريين وأن ميله إلى مدرستهم ظاهر جلى فى عنايته بإيراد آرائهم وأدلتهم وحججهم ورده هم على أدلة الكوفيين والإفاضة فى ذلك ، ويظهر ذلك بجـــلاء ووضوح فى معرض شرح الشاهد الثالث عشر عند الكلام عن (كلا وكلتـــا) حيث يرى الكوفيون أن فيهما تثنية لفظية ومعنوية ، وأصلهما (كل) فكســـرت الكاف وخففت اللام وزيدت الألف للتثنية والتاء للتأنيث ، بينما ذهب البصريـــون الى أنهما ليستا بمأخوذتين من (كل) لأن كل للإحاطة ، وهما لمثـــــنى مخصوص ، ليس أحد القولين — مأخوذا من الآخر ، بل مادتهما الكاف واللام

---

(١) خزانة الادب ١ : ٥٨ بولاق .
(٢) خزانة الادب ١ : ٧١ بولاق .

والواو ، وهما مفردان لفظا ، مثنيان معنى ، والألف فى (كلا) كألـــــف عصا وفى كلتا للتأنيث . ونجد عبد القادر فى ذلك يتتبع آراء الكوفيين بالتفنيد والتسويف ، حتى أنه ليصرح بتخطئتهم فى آخر الشاهد الرابع عشر (١) حيث يقول : " وحينئذ فلا يتأتى قول الكوفيين أن (كلتا) هنا بمعنى احدى ، فوجب أن يكون أصله (كلتا) ، حذفت الالف ضرورة ". (٢)

وعلى ذلك يمكننا القول بأن اتجاه البغدادى كان بصريا ، وأن ميله وصفوه كانا مع مدرسة البصرة النحوية ، وإن لم يحاول أن يُعْرَفَ عنه ذلـــك صراحة ، ولكن هذه النزعة البصرية كانت تنم عنها أقواله رغماً عنه .

---

(١) خزانة الادب ١ : ٦٤ بولاق .

(ب) منهج البغدادى النحـوى

مما سطرة عبد القادر البغدادى فى مؤلفاته ومصنفاته التى عُـنِىَ فيها بشرح الشواهد ـ على كثرتها وتنوعها ـ يمكن الوقوف على حقيقـة منهجه النحوى ، وما كان يتوصل إليه من آراء مستَجَدّة مبتكَره ، وما يأتـى به من أفكار راجحة مستنيره ، تبدو فى علاجه للمسائل المشكلة وتخريجها ، مما يكون قد فات العلماء السابقين عليه التصدى لها أو ربما جانبهم الصواب فى ايضاح الموجه فيها ، وسوف نحاول فى السطور التالية إيضاح الخطوط المريضة لما تنكبه من منهج وما سار عليه من سبيل مما يصح أن نطلـق عليه " منهج البغدادى النحوى " :

١ ـ ينزع البغدادى إلى اليسر وعدم التكلف فى عرض الحقائق النحويـة
و وتناول المسائل المشكلة ، ويرى التوصل إلى القاعدة من أقـرب طريق ، وأن ما لا يحتاج إلى تقدير خير مما يحتاج إليه ، ويظهـر ذلك النهج بجلاء فيما ارتآه فى معرض شرح الشاهد الستين بعد المائه ونصه :

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَىٰ بِلَالاً بَلَغْتِهِ فَقَامَ بِفَأْسَيْهِمَا وَصَلَيْكِ جَائِرُ

حيث يقول الدمامينى فى شرحه : " وبلالا منصوب بفعل محـذوف آخر يفسره بلغتِهِ ، والتقدير : اذا بَلِغَ ابن أبى موسى بلغت بلالا بلغتـه " فيعقب البغدادى على قول الدمامينى بقوله : " ولا يخفى ما فيه مـن التكلف والتقدير المستغنىَ عنه " (١) . وذلك بعد أن أثبت رأيه فـى

---

(١) الخزانة ١ : ٤٥١ بولاق .

نصب (بلالاً) قبل ذلك بقوله : " وبلالا ينبغى أن يكون بالرفع لأنـــه بدل من ابن أو عطف بيان له . وقد رأيته مرفوعا فى نسختين صحيحتيـــن من إيضاح أبى على الفارسى ... " . (١)

وكذلك ما أثبته فى معرض شرح الشاهد الحادى والثمانين بعـــد المائتين ونصه :

الماطِفُونَ تحين مامِنْ عاطِفٍ والمُطْعِمُونَ زمانَ أَيْنَ المُطْعِمِ

حيث يرى ابن جنى أن التاء فى (تحين) هى فى الأصل هاء السكت لا حقة لقوله (الماطفون) اضطر الشاعر إلى تحريكها فأبدلها تاء وفتحها . ويرى ابن مالك أن التقدير : حين لا تحين ما من عاطف . وحذفت حيـــن ولا بقيت (تحين) . وهنا يعقب البغدادى على قولى ابن جنى وابن مالك ـ وهما ما هما سبقا فى مجال العربية وعلومها ـ بقوله : " هذا كلامهمـــا ولا يخفى تعسفه . وتخريج هذا البيت على زيادة التاء أسهل وأقل كلفـــة من هذين التخريجين ، وإن كان لا يطّرِدُ زيادة التاء فى كل موضع فيه لا ، وهذه التاء زيادتها غير مطّرِدة وغير لازمه " . (٢)

٢ ـ البغدادى لا يألو جهدًا فى إظهار القاعدة النحوية وبيان وجه الصواب فيها مهما كان ذلك مخالفا لآراء العلماء المتقدمين ، أو مناهضا لما ذهب اليه شيوخه أنفسهم ، فنراه آخذًا فى تعقب آراء العلماء وأقوالهم ـ ومحللا ـ حتى إذا انتهى بهم الأمر إلى مجانبة الصواب ، وتَدَعنهم الوجـــه الصحيح ، أدلى هو برأيه إدلاء العالم المتمكن فى غير تسويف ولا تجريح محتفظا لهم بمكانتهم وسبقهم ، مؤيدًا رأيه بالأسانيد القوية والأدلة المثبته القاطعـــة ،

---

(١) الخزانة ١ : ٤٥٠ بولاق .

(٢) الخزانة ٢ : ١٤٦ بولاق .

وهذا ما حدث فى معرض شرح الشاهد السادس والخمسين ونصه :

قد اصبَحْتَ أمَّ الخِيَارِ تدَّعِى علىَّ ذَنْبًا كلُّه لمْ أصنَعِ

حيث يقول شراح كلام ابن مالك أنهم لم يروا الإجماع على جواز حذف الضمير العائد على المبتدأ من جملة الخبر إذا كان منصوبا مفعولا به ، وكذا أبو حيان . فيرد عليهم البغدادى مصححا لقوله : " أقول : الصحيح جوازه بقلة لوروده فى المتواتر ، قرأ ابن عامر فى سورة الحديد فقط (وكل وعد الله الحسنى) ، وأما فى سورة النساء فقد قرأ مثل الجماعة بالنصب ". (١)

وكذلك عند تعقيبه على كلام سيبويه والسيرافى وأبى إسحق فى نصب لفظة (مثلهم) الواردة فى الشاهد الرابع والسبعين بعد المائتين ونصه :

فاصبَحُوا قد أعادَ اللّهُ دَوْلَتَهُم إذْ هُم قريشٌ وإذْ ما مِثْلُهم بَشَرُ

بعد أن أدلى ثلاثتهم بدلائهم فى تخريج نصبها ولم يصب أى منهم وجه الحقيقة فيه ، إذ يقول البغدادى معقبا على كلامهم قائلا : " أقول مَنْ نَصَبَ لا يَنْصِبُ مع تقدم الخبر ، فلا يصبح هذا جوابا . وقيل : أراد الفرزدق أن يتكلم بلغة الحجاز فغلط ، وهذا باطل ، فإن العربى لا يمكن أن يغلط لسانه وإنما الجائزُ غلطهُ فى المعانى ". (٢)

ومن ذلك ما ورد فى معرض شرح الشاهد الثانى والثمانين بعد المائتين ونصه :

طلبُوا صُلْحَنَا ولاَتَ أوانُ فأجَبْنَا أن ليْسَ حِينَ بَقَاءُ .

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٤ بولاق

(٢) الخزانة ٢ : ١٣١ بولاق

حيث يرى السمين فيما نقله عن الاخفش أنه خرّج البيت على حذف مضاف ، أى (ولات حين أوان) فبقى المضاف اليه مجرورا بعد حذف المضاف واستشهد السمين على ورود ذلك قليلا بقراءة من قرأ (والله يريد الاخرة) (١) فيعقب البغدادى على ذلك بقوله : " أقول :تقدير هذا المضاف لاقرينه تدل عليه . وإن صح إضافة حين إلى أو أن يحصل الحين عامًا والأوان خاصا بحمله على أوان الصلح ". (٢)

٣ — يتهم البغدادى بإكمال الحقائق التى يجد أنها وردت عن العلماء السابقين ناقصة ، ربما عن لسهو منهم أو عدم إلمام بها حتى تَتِمَّ الفائدة ويتحقق الغرض الذى يسعون إلى تحقيقه ، ومثال ذلك ما ورد فى معرض شرح الشاهد الرابع والسبعين بعد المائتين ونصه :

فأصبحوا قد أعاد الله دولتهم اذ هم قريش واذ ما مثلهم بشر

وذلك عند الكلام على نصب كلمة (مثلهم) حيث أورد الرضى الاستراباذى شارح الكافية كل التخاريج التى قيلت فى هذه المسألة ، ثم يجد البغدادى أن هناك تخريجا آخر أغفله الرضى ، فيقول : " وبقى تخريج آخر لم يذكره الشارح المحقق ، وهو أن (مثلهم) خبر ما التميمية ، ولكن بنى (مثل) على الفتح لإضافته الى مبنى ، فإن المضاف إذا كان مبهما كغير ومثل ودون واضيف الى مبنى كقوله تعالى : (انه لحق مثل ما أنتم تنطقون) (٣) فيمن فتح (مثل) أو كقراءة بعضهم (أن يصيبكم مثل ما أصاب) (٤) بالفتح وهذا أقرب ، وزعم ابن مالك أن ذلك لا يكون فى (مثل) لمخالفتها للمبهمات بأن تثنى وتجمع ". (٥)

---

(١) الاية ٦٧ من سورة الانفال .
(٢) الخزانة : ٢ : ١٥٣ بولاق .
(٣) الاية ٢٣ من الذاريات .
(٤) الاية ٨٩ من هود .
(٥) الخزانة ٢ : ١١٣ بولاق .

٤ ـ عندما يرى البغدادى أن العلماء قد اختلفت آراؤهم وتضاربت أقوالهم حيال قاعدة نحوية معينة حتى قاربت الحقيقة أن تضيع وسط هذا الحشد الضخم من الآراء والاقوال ، يقوم هو حكما فاصلا بين العلماء مُظهِرًا أوجه الصواب والخطأ فيما ذهبوا إليه ، ومبرزا الحقيقة فى أقوالهم مع سوق الأدلة المثبتة والبراهين المؤيدة لهذه الحقيقة ، مع الإصرار على ذكر آراء جميع العلماء الذين أدلوا بدلائهم فى بحث هذه القاعدة ـ على ما فيها من صحة وخطأ ، وقوة وضعف ـ إيثارًا للعدالة وإظهارًا لوجه الصواب دون ما تحيز إلى فئة ولا غير لأخرى . ومثال ذلك ما ورد فى معرض شرح الشاهد الثانى والثمانين بعد المائتين ونصه :

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء

فبعد أن أثبت البغدادى آراء العلماء فى جر (أوان) ، حيث قال المبرد والسيرافى أن الاصل (ولات أوان طلبوا) فحذفت الجملة ، وبنى (أوان) على السكون أو على الكسر ، ثم أبدل التنوين من المضاف اليه كما فى يومئذ . وقال ابن هشام فى المغنى : قرئ (ولات حين مناص) (١) بخفض الحين فزعم الفراء أن (لات) تستعمل حرفا جارا لأسماء الزمان خاصة ، وأنشد :

(طلبوا صلحنا ولات أوان)

وأجيب عن البيت بجوابين : أحدهما على إضمار (مِنْ) الاستغراقية ، ونظيرة فى بقاء عمل الجار مع حذفه وزيادته قوله (ألا رجل جزاه الله خيرا) فيمن رواه بجر (رجل) . والثانى أن الأصل (ولا أوان صلح) ثم بنى المضاف لقطعه عن الإضافة ، وكان بناؤه على الكسر لشبهه بنزال وزنًا ، ولأنه قُدِّر بنائه على السكون ثم كسر على أصل التقاء الساكنين كأمس ، ونون للضرورة . وقال

---

(١) الاية ٣ من سورة ص .

الزمخشري للتعويض بعد منذ ، ولو كان كما زعم لأعرب لأن المِعوَّض ينزل منزلة المعوَّض منه ، ثم يقول الزمخشري أنه قد جعل التنوين عِوَضًا من المضاف إليه ثم بنى الحينُ لإضافته الى غير متمكن • وهذا نحوي ما نقله البغدادي عن ابن هشام •

نجد البغدادي بعد أن أثبت كل هذه الأقوال ، يقف إلى جانب الحق ويحتفن وجه الصواب وسط هذا الخضم من الآراء المختلفة والأقوال المتضاربة ، نجده يقف موقف المؤيِّد المنصف والحكم العدل حيث يقول : "أقول تقدير المضاف إليه جملة هو المناسب لتشبيه أوان يومئذ في البناء وفي كون التنوين بدلا من المضاف اليه ، وأما تقديره مفردا ثم تمليل بنائه بقطعه عن الإضافة كما صنع ابن هشام تبعا لغيره ففيه أن ما ذكره مختص بالظروف النسبية ، ويكون بناؤها حينئذ على الضم ، وأما (أوان) فانه ظرف متصرف كما يأتي قريبا وليس مضموما كقبل وبعد ، ويجوز أن يقدر المضاف اليه (ولات أوان نصطلح) فان المنفي في الحقيقة هو أوان الصلح ، أو يقدر جملة إسمية أي (ولات أوان صلحنا ممكن) فإن (أوان) خبر لات وهو منصوب لفظا ومعنى أو مبني على الفتحة لإضافته الى مبني ، واسمها محذوف أي (ولات الأوان)" • (١)

٥ — عندما يصادف البغدادي رأيًا لأحد السابقين أو لأحد شيوخه ، ويرى أن دركه يصعب على الباحث استيعابه يشق على الدارس ، أو أنه ربما يكون مثار شك في نفوس المتأخرين وأذهانهم من حيث صحته ومجانبته للصواب ، نجده يفتعل محاورة بينه وبين متسائل يفترضه ، فيسأله المتسائل ويتصدى هو للرد على تساؤله بما رسخ في ذهنه من الوجه في هذا الرأي مما ينبئ عن توصله الى

---

(١) الخزانة ٢ : ١٥١ بولاق •

الحقيقة العلمية عن ذهن صاف وقريحة ناضجه ، ومثال ذلك ما ورد فى ممرض شرح الشاهد الرابع والثمانين بعد المائتين ونصه :

أفِى أثَرِ الأظْعَانِ عَينُك تَلْمَحُ نعم لَاتَ هَنَّا ، إنَّ قلْبَك مِتْيَحُ

حيث يرى الرضى الاستراباذى أن (هنا) فيه ظرف زمان مقطوع عن الإضافة والأصل (لات هنا تلمح) فحذف تلمح لدلالة ما قبله عليه ، فهنا فى موضع نصب على أنه خبر لات ، واسمها محذوف ، والتقدير (ولات الحين حين لمح عينك) . وهنا يقول البغدادى :

" فإن قلت : لو كانت (هنا) مقطوعة عن الإضافة لوجب أن يلحقها التنوين عوضا من المضاف إليه الجملى .... وإن كان غير ذلك وجب إبدال التنوين عوضا من المضاف إليه كإذ وأوان . وقال شارح بيت لات أوان قبل هذا : ولا يعوض التنوين فى المبنيات من المضاف إليه إلا إذا كان جملة .

قلت : لم يلحق التنوين لأن ألف (هنا) للتأنيث ، فهو مقدر فيها .

فإن قلت : أى ضرورة إلى ادّعاء حذف الجملة المضاف إليها (هنا) مع أنه لم يقل به أحد ولا ابن الحاجب ؟

قلت : لما حقق أن (هنّا) قد تجردت لظرف الزمان كان الظرف لابد له من مظروف ، والنفى فى الحقيقة متوجه إليه ، ولولا اعتباره لما كان معنى لقولنا (لات هنا) ، إذ لا فائدة فى نفى الظرف ، وهذا المحذوف ملحوظ أيضا عند من جعل (هنا) إشارة للمكان فإنه لا يتم المعنى بدونه ، إذ لابد للإشارة من مشار إليه فيكون المنفى فى الحقيقة هذا المشار اليه " . (١)

---

(١) الخزانة ٢ : ١٥٩ — ١٦٠ بولاق .

٦ ـ عقد ما يصادف البغدادى مسألة نحوية قد وقع الخلاف بشأنها بين البصريين والكوفيين ، يأبى إلا أن يورد آراء كل من الفريقين ـ على استطالتها ـ دون تحيز لفئة ولا حيف على الأخرى ، بل يثبت حجج الفريقين على سواء ويعرض أدلتهما كاملة إظهارًا للحقيقة وإيضاحًا لوجه الصواب والخطأ بما تمليه عليه الأمانة العلمية ، ومثال ذلك ما ورد فى معرض شرح الشاهد السابع عشر ونصه :

وما كان حِصْنٌ ولا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فى مَجْمَعِ

حيث يرى الكوفيون جواز ترك صرف المنصرف للضرورة مطلقا فى الأعلام وغيرها ، ويستدلون لذلك بالسماع والقياس أما السماع فكثرة الشواهد وهى تزيد على عشرين بيتا ، وأما القياس فانه لما جاز صرف ما لا ينصرف اتفاقا وهو خلاف القياس جاز العكس أيضا إذ لا فرق بينهما . وأما البصريون فلا يرون جواز ترك الصرف لأن الأصل فى الأسماء الصرف ، حيث يرون أنه لو جاز ذلك أدى إلى رده عن الأصل إلى الفرع ولا نقيس ما ينصرف بما لا ينصرف ، وإنما جاز فى الضرورة صرف ما لا ينصرف لأنه من أصل الاسم ، فإذا اضطروا رده إلى أصله وإن لم ينطقوا به فى السعة كما لم ينطقوا بنحو (صَمَتُوا) فى السعة بخلاف منع الصرف لأنه ليس من أصل المنصرف ألا ينصرف . (١)

ثم أورد البغدادى الجم الغفير من أقوال كل من البصريين والكوفيين وآرائهم وأدلتهم ورد كل فريق على حجج الآخر برغم ما اكتنفها من إسهاب وإطناب ، وكذا آراء العلماء المحايدين كابن الأنبارى وابى على الفارسى والشاطبى حتى تبدو الحقيقة واضحة جلية لا يشوبها لبس ولا ارتياب .

---

(١) الخزانة ٢ : ٧٢ ، ٧٣ بولاق

ورغم ما تقدم ، لا يعدو ما أثبتناه أن يكـــون تمثيلاً لا حصـــرًا لما انتهجه البغدادي وما تنكبه في سبيل عرضه للقواعد النحوية ومعالجتهـــا وتقريبها ، وقد قصرنا ما استشهدنا به لمنهجه النحوي على ما ورد بكتابـــه الثمين خزانة الادب لانه يمثل المرتبة الأولى بين مؤلفاته نظرًا لغزارة مادتـــه العلمية وصقله للغة العرب وعلومها .

(ج) منهج البغدادى اللغوى

عنى عبد القادر البغدادى فى جميع مؤلفاته التى صنفها فى شرح الشواهد العربية بمعالجة تلك الشواهد لغويًا بعد أن يفرغ من معالجتها نحويًا ، ومن ثم فلم يدع فى أحدها جانبا من جوانب اللغة دون أن يلمسه أو يترك عليه بصماته واضحة جلية تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه وسرعة حاضرته • وإذا كنا بصدد سوق بعض الأمثلة ـ دون الحصر ـ لما عالجه البغدادى فى الشواهد من فنون اللغة ، فإننا سوف نجتزئ فى ذلك بما ورد منها فى كتابه (خزانة الأدب) حيث خرج ذلك الكتاب على الناس كأكبر موسوعة صنفت فى شرح الشواهد العربية ، فكان ثمة معين لا ينضب وخزانة لا تنفذ فى شتى علوم اللغة وفنونها ، ومن تلك الأمثلة :

١ ـ بسطه القول فى الضرورة لما لها من تأثير مباشر فى إعراب اللفظ ، ونظرا لاختلاف وجهات نظر العلماء بشأنها • حيث ورد فى معرض شرح الشاهد الأول ونصه :

يقول الحتى وأبغض العجم ناطقا الى ربنا صوت الحمار اليجدع (١)

ان الرضى الاستراباذى وابن هشام فى المغنى ذهبا الى أن (أل) فى اليجدع اسم موصول دخل على صريح الفعل لمشابهته لاسم المفعول ، وهو مع ذلك شاذ قبيح لا يجئ إلا فى ضرورة ، وقال الأخفش أن الشاعر أراد (الذى يجدع) ، وقال ابن السراج أيضا فى كتاب الأصول أن الشاعر لما احتاج إلى رفع القافية قلب الاسم فعاد • وهو من أقبح الضرورات فى الشعر ، وقد قيل أنه لا ضرورة فيه فإنه كان بإمكان الشاعر أن يقول

---

(١) الخزانة ١ : ١٤ بولاق •

(يجدع) بدون أل لاستقامة الوزن • وأن يقول المتقصع • وهنا يعقب البغدادى على ذلك بقوله : " أقول : هذا مبنى على أن معنى الضرورة عند هذا القائل ما ليس للشاعر عنه مندوحه ، وهو فاسد كما يأتى بيانه ، والصحيح تفسيرها بما وقع فى الشعر دون النثر سواء كان للشاعر عنه مندوحة أولا • " (١)

وعندما يقول شارح شواهد الألفية أن ذلك مسلم فى يجدع دون المتقصع فانه يلزمه الإقواء وهو عيب ، يعقب البغدادى على ذلك أيضا بقوله : " أقول : لا يلزمه الإقواء ، فإن اليربوع مرفوع والمتقصع وصفه (٢) ومثل (أل) فيه زائدة والجملة صفة للحمار أو حال منه لأن أل فى الحمار جنسية وهذا لا يتمشى مع أخواته " . (٣)

ثم بسط البغدادى ما قاله الشاطبى فى شرح شواهد ألفية ابن مالك بشأن الضرورة تتميما للفائدة ، حيث يقول : " واعلم أن صريح مذهب الشارح المحقق فى الضرورة ، هو المذهب الثانى وهو ما وقع فى الشعر وهو مذهب الجمهور • وذهب ابن مالك إلى أنها ما ليس للشاعر عنه مندوحه ، فوصل أل بالمضارع وغيره عنده جائز اختيارًا لكنه قليل وقد صرح به فى شرح التسهيل فقال : وعندى أن مثل هذا غير مخصوص بالضرورة لامكان أن يقول الشاعر : صوت الحمار يجدع ، وما من يرى للخل ، والمتقصع واذا لم يفعلوا ذلك مع الاستطاعة ففى ذلك اشعار بالاختيار وعدم الاضطرار وما ذهب اليه باطل من وجوه :

---

(١) الخزانة ١ : ١٤ بولاق •
(٢) يريد بذلك البيت من نفس قصيدة الشاهد ونصه :
فيستخرج اليربوع من نافقائه ومن حجره بالشيحة المتقصع
(٣) الخزانة ١ : ١٤ بولاق •

(أحدهما) اجماع النحاة على عدم اعتبار هذا المنزع وعلى إهماله في النظر القياسي جملة ، ولو كان مبتدأ لنبهوا عليه .

(الثاني) أن الضرورة عند النحاة ليس معناها أنه لا يمكن في الوضع غير ما ذكر ، إذ ما من ضرورة إلا ويمكن أن يعوض من لفظها غيره ، ولا ينكر هذا إلا جاحد لضرورة العقل .... وانما معنى الضرورة أن الشاعر لا يخطر بباله إلا لفظة ما تضمنته ضرورة المنطق به في ذلك الموضع إلى زيادة أو نقص أو غير ذلك بحيث قد يتنبه غيره إلى أن يحتال في شيء يزيل تلك الضرورة .

(الثالث) أنه قد يكون للمعنى عبارتان أو أكثر ، واحدة يلزم فيها ضرورة إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال ، ولا شك أنهم في هذه الحال يوجهون إلى الضرورة ، لأن اعتناءهم بالمعاني أشد من اعتنائهم بالألفاظ ...

(الرابع) أن العرب قد تأبى الكلام القياسي لعارض زحاف فتستجيب المزاحف دون غيره أو بالعكس ، فتركب الضرورة لذلك " . (١)

٢ ـ لا تكاد تقع أيدينا على شاهد في الخزانة قد أغفل البغدادي معالجته من حيث اشتقاق الفاظه وتوليدها وسط أوجه الإعلال والإبدال فيها ـ كلما احتاج الشاهد إلى ذلك ـ وذلك سيرا على ما أخذ البغدادي به نفسه من ضرورة التصدي لمعالجة الشواهد من شتى نواحي اللغة حتى لا يدع أمام الباحث أو الدارس شائبة ولا لبس في فهم الشاهد واستيعاب مرماه ، فمثلا نجده بعد أن يفرغ من شرح الشاهد الرابع والاربعين بعد المائة ونصه : (أطارق كرا) (٢) وهو صدر بيت يقول :

أَطَارِقُ كَرًا أَطَارِقُ كَرًا ... إِنَّ النِّعَامَ فِي القُرَى

---

(١) الخزانة ١ : ١٥ بولاق .
(٢) الخزانة ١ : ٣٩٤ بولاق .

يتصدى لتناول كلمة (كرا) بالتفصيل من حيث اشتقاقها ، وأوجه الإعلال والابدال فيها تحت عنوان (تتمة) فيقول : "كَرَوَان بجمع على كَرَاوين كَوِرْشَان يجمع على وَرَاشِين ، وقالوا يجمع أيضا على غير قياس على كِروان بكسر الكاف وسكون الراء كما يجمع وَرَشَان على وِرْشَان . وهو جمع يحذف الزوائد كأنهم جمعوا كرا مثل أخ وإخوان .

قال ابن جنى فى الخصائص: وذلك أنه لما حذفت ألفه ونونه بقى معك كَرَوَ ، فقلبت واوه ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها طرفا فصارت كرا ، ثم كسرت كرا على كِرْوَان كشيث وشِيثَان ، وخرب وخربان .. وعليه قولهم فى المثل : اطرق كرا إلى هو عندنا ترخيم كروان على قولهم يا حار بالضم . قالوا : والألف فى كروان انما هى بدل من الألف المبدلة من واو كروان . انتهى .

وزعم الرياشى أن الكَرَوَان والكِرْوَان للواحد ، وكذلك وَرَشَان ووِرْشَان . ويرده قول ذى الرمة :

من آل أبى موسى ، ترى الناس حوله كأنهم الكِرْوَان أبصرن بازيا (١)

٣ ـ عندما يصادف البغدادى لفظة فى أحد الشواهد يصعب درك معناها أو يساء فهمها على الوجه الصحيح أو يكثر العلماء من الكلام حولها على وجه قد يتأثر به معنى الشاهد أو يتميع به وجه الصحه فيه ، نجده يتدخل هو فيتناولها مظهرا معناها ، مبينا وجه الصواب فيها حتى يمكن فهم الشاهد على وجهه الصحيح ، ومثال ذلك ما ورد فى معرض شرح الشاهد الثانى ونصه :

(ولا أرضَ أبقلَ إبقالهَا) (٢)

---

(١) الخزانة ١ : ٣٩٦ بولاق .
(٢) الخزانة ١ : ٢١ بولاق .

وهو عجز بيت صدره : (فلا مزنة ودقت ودقها) • حيث كثرت أقوال العلماء ، وتعددت آراؤهم حول تذكير لفظة (أبقل) والواجب فيها التأنيث ، فقد أورد البغدادي ما قاله الدينوري في كتابه (النبات) حول هذه الكلمة برمته حتى تعم الفائدة وتظهر الحقيقة جلية واضحة دون ريب أو لبس ، فقد قال الدينوري : " يقال بقل النبات يبقل بقولا إذا نبت بقله ، وأبقل يبقل ابقالا وهذا أكثر اللغتين وأعرفهما ، وأكثر العلماء يرد بقلة المكان • وقال بعض الرواه : ابقلت الأرض وأبقلها الله وبقل وجه الغلام إذا خرج وجهه • وقال بعض علماء العربية : أبقل المكان ثم يقولون مكان باقِل ، قال : ولا نعلمهم يقولون بقل المكان • ومثله قولهم : أدْرَسَتِ الارض ونَبَتَ دَارِس ولا يقولون غيرها ، وقال أيضا أعْشَبَ البلد ثم قال بَلَد عَاشِب ، وكذا قال أبو عبيدة والاصمعي ، وتبعهما ابن السكيت وغيره ، قالوا : يقال بلد عاشِب ولا يقال الا أعْشَبَ ، وباقل الرَّمْت — وهو نَبْت — وقد أبقل ، ودارِسُ الرَّمْت وقد أدْرَس ، فيقولون في النعت على فاعِل وفي الفعل على أفْعَل ، كذا تكلمت به العرب • قال الدينوري — وتبعه علي بن حمزة البصري في كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة — : وقد جاء عن العرب ما يرد عليهم ، قال رؤبة :

(يَملَحْنَ مِن كلِّ غَرْسٍ مُبْقِلِ)

وقال ابن هرمة :

لرعْتَ بصقراءِ السمالة حرةً لها مرتَعٌ بين النَبيطَيْن مبقِلُ

وقال آخر :

(ولا أرضَ أبقلَ إبْقَالَها)

فجاء به على أبقَل يبقل فهو مُبقِل ، وقال النابغة الجعدي :

عَلى جانِبَي حائرٍ مُفْرِطٍ بيوت تبوأته معشبُ (١)

---

(١) الخزانة ١ : ٢٣ بولاق •

٤ ـ يسير البغدادي في عرضه للحقائق اللغوية على الاثر الاغريقي المعروف " أفلاطون أحب إلى من نفسي " ولكن الحقيقة أحبّ إلىّ من أفلاطون " . فهو حينما يصادف لفظة في شاهد قد كثرت أقوال العلماء المتقدمين في ايضاح معناها وتعددت آراؤهم في تجليه مغزاها دون أن يصيب أيّ منهم جوهر الحقيقة فيها ، يتدخل هو برأيه مجلياً وجهها الصحيح وموضحا المعنى منها محتفظا لسابقيه بمكانتهم ورسخ قدمهم على جادة اللغة وإحاطتهم بظانها . ومثال ذلك ما أورده في معرض شرح الشاهد الثاني وهو :

(فلا مزنة ودقت **ودقها**) (١)

حينما ذهب ابن الحاجب في أماليه إلى أن المزنة ـ واحدة المزن ـ السحابة البيضاء ، ويقال : المطرة . وهنا يتدخل البغدادي مصححا فيقول : " وكلاهما غير صحيح . أما الأول فلأن السحابة البيضاء لا ودق لها ، وأما الثاني فيرده قوله تعالى (أأنتم أنزلتموه من المزن) (٢)

كذلك ما ورد في معرض شرح بيت امرئ القيس :

وهل يَمِنَن من كان أحدث عهده ثلاثين شهرًا في ثلاثة أحوال (٣)

عند شرح قصيدة الشاهد الثالث ، حيث ذهب كل من العسكري ـ نقلا عن الأصمعي وابن السكيت ـ ، وابن السيد والطوسي إلى أن الأحوال في البيت السنون جمع حول ، وهنا يتدخل البغدادي مصححا بقوله : "والقول

---

(١) الخزانة ١ : ٢١ بولاق .
(٢) الخزانة ١ : ٢٢ بولاق .
(٣) الخزانة ١ : ٢٩ بولاق .

فيه عندى أن الأحوال هنا جمع حَال لا جمع حَوْل . وإنما أراد كيف ينعم من كان أقرب عهده بالنعيم ثلاثين شهرا وقد تعاقبت عليه ثلاثة أحوال ، وهى اختلاف الرياح عليه وملازمة الأمطار له ، والقدم المغير لرسومه فتكون (فى) هنا هى التى تقع بمعنى واو الحال فى نحو قولك : مرت عليه ثلاثة أشهر فى نعيم . أى وهذه حالة ". (١)

كما يقوم البغدادى مصححا لما قاله بعض فضلاء العجم فى شرح شواهد المفصل عند شرح الشاهد الثالث والثمانين بعد المائتين ونصه :

حَنَّتْ نَوَارُ ولاتَ هنَّا حَنَّتِ وبدا الذى كانت نُوَارُ أجَنَّتِ (٢)

حيث قالوا : " نوار اسم لابنة عبد شمس وكانت قد عشقت ملكا فهم الملك أن يوقع بعبد شمس ، فشعرت نوار بذلك وآذنت أباها ، فقال رجل من أقربائها : حنت نوار أى اشتاقت إلى من تحبه وليس الوقت وقت الحنين والاشتياق إليه لظهور العداوة بيننا وظهر الذى كانت هذه المرأة أجنته وسترته من الاشتياق ".

وهنا يجد البغدادى أن التأويل لا يصيب وجه الحقيقة فيتدخل مصححا بقوله : " هذا كلامه ، وهو خطأ فاحش ، وما قاله شرح لمثل وهو (حَنَّتْ ولاتَ هنَّت وأنَّى لك مَقْرُوع) " (٣)

٥ — يقوم البغدادى بتصحيح الاخطاء التاريخية التى تقع من العلماء المتقدمين فى معرض شرح الشواهد والتى قد تؤثر فى فهم الشاهد على وجهه الصحيح ، مراعيا فى ذلك الأمانة العلمية فى عرض الحقائق مع سوق الادلة المثبته لما ارتآه والدافعة لما ذهب إليه المتقدمون . ومثال ذلك

---

(١) الخزانة ١ : ٢٩ بولاق .
(٢) الخزانة ٢ : ١٥٦ بولاق .
(٣) الخزانة ٢ : ١٥٨ بولاق .

ما ورد فى معرض شرح الشاهد التاسع والخمسين وهو قول الفرزدق :

تعمرت ما معن بتارك حقه ولا منسئ معن ولا متيسر (١)

حيث قال شراح كتاب سيبويه أن الفرزدق عنى بالبيت معن ابن زائدة الشيبانى وهو أحد أجداد العرب وسمحائهم ، فوصفه ظلما بسوء الاقتضاء وأخذ الغريم على عسرة وأنه لا ينسئه بدينه . وهنا يتدخل البغدادى مصححا لقولهم بقوله : " وهذا غير صحيح ، فإن معن بن زائدة متأخر عن الفرزدق ، فإنه قد توفى الفرزدق فى ستة عشر ومائه وتوفى معن بن زائدة فى ستة ثمان وخمسين ومائه " . (٢)

٦ — عندما يصادف البغدادى نصا ضاربا فى القدم بحيث يصبح من غير المتيسر للباحث أو الدارس أن يضع يده عليه . يأبى إلا أن يورده كاملا تحقيقا للفائدة ، وحتى يجد كل من الباحث والدارس الحقيقة أمامهما كاملة غير منقوصه وهم فى غناء عن طول بحث وتنقيب قد يعيبهما الاستمرار فيها مما قد يقعد بهما عن مواصلة البحث والدراسة ، ومثال ذلك ما أورده البغدادى فى معرض شرح الشاهد الثانى والسبعين بعد المائتين ونصه :

(إلا أوارى ما إن لا أبينها) (٣)

حيث أثبت ما أورده الفراء فى تفسيره لآية الكريمة (لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقه) (٤) برمته بقوله : " وقد أورد الفراء (فى تفسيره) الرواية التى ذكرها الشارح فى أواخر سورة النساء عند قوله

---

(١) الخزانة ١ : ١٨١ بولاق .
(٢) الخزانة ١ : ١٨٢ بولاق .
(٣) الخزانة ٢ : ١٢٥ بولاق .
(٤) الآية ١١٤ من سورة النساء

تعالى (لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة) (١) قال : من في موضع خفض ونصب : الخفض الا فيمن أمر بصدقه ، والنجوى ههنا رجال كما قال تعالى (واذ هم نجوى) (٢) ومن جعل النجوى فِعْلا كما قال تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة) (٣) ، فمِنْ حينئذ في موضع رفع : وأما النصب فان تجعل النجوى فِعْلا فاذا استثنيت الشيء من خلافه كان الوجه النصب ، كما قال الشاعر :

..... وما بالربع من أحد
الا أواريا لا ما أبينها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد

وقد تكون في موضع رفع وان رددت على خلافها ، قال الشاعر :

وبلدة ليس بها أنيس الا اليعافير والا العيس . انتهى

وانما سقنا كلامة في الموضعين برمته للتبرك ، وليعلم طرز تفسيره ، فانه لقدمه قلما يطلع عليه أحد ". (٤)

٧ — يقوم البغدادي بتصحيح نسبة الشواهد الى قائليها ، ولو كان ذلك مخالفا لرأي شيوخه ، وهذا شأن العالم المحقق المدقق الذي يؤثر الحقيقة على ما سواها ، ومثال ذلك تصحيحه نسبة الشاهد السابع والعشرين بعد المائتين لقائلة ونصه :

في ليلة لا ترى بها أحدا يحكي علينا ، إلا كواكبها (٥)

---

(١) الاية ١١٤ من سورة النساء .
(٢) الاية ٤٧ من سورة الاسراء .
(٣) الاية ٧ من المجادلة .
(٤) الخزانة ٢ : ١٢٥ بولاق .
(٥) الخزانة ٢ : ١٨ بولاق .

حيث يقول : " وهذا البيت نسبه الشارح المحقق إلى عمدى ابن زيد ، موافقة لشراح وشواهد سيبويه ولم ينسبه سيبويه فى كتابه إلى أحد ، وإنما أورده غفلاً . وقد تصفحت ديوان عدى بن زيد مرتين فلم أجده فيه ، وإنما هذا البيت من أبيات لأحيحة بن الجُلاَح الأنصارى أثبتها له الأصبهانى فى الاغانى .. (١)".

(١) الخزانة ٢: ٢٠ بولاق .

" الفصل الثانـــــى "

جهود البغدادى فى دراسة النحو واللغـــة

أ ــ فى مجال التأليف والتصنيـــف

ب ــ فى مجال علوم العربية وفنونها مما اشتمل عليـــه خزانـــة الأدب .

جهود البغـــــدادى
فى دراسة النحـــو واللغـــــة

يعتبر عبد القادر البغدادى علماً من الأعلام المبرزين فى مجـال العربية وعلومها ، الذين نذروا حياتهم لخدمة لغة الضاد وفنونهـــا ، وتنقيتها من شائبة ، وتخليصها من كل ما يكتنفها من لبس أو غموض ، حـتى لقد أصبح يعد من أولئك الرواد الذين أسهموا بلبنات ذات قيمة فى بنـــاء صرح لغتنا القومية فى وقت كانت أشد ما تكون حاجة إلى تلك اللبنـــات ، وأرسو اللغة القرآن وعائم فى وقت كانت فى أمس الحاجة الى تلك الدعامات ، وتركوا ببصماتهم واضحة جلية على أولى أسس قومتنا العربية أجمل ما تكـــون وضوحا وبهاء تلك البصمات .

ولم تقتصر جهود البغدادى على شق من اللغة العربية دون غيره ، ولم يتوجه اهتمامه الى فن من فنون لغة القرآن دون سواه ، وانما قـــد امتدت مظلة جهوده حتى شملت كل فنون العربية وعلومها مما يمكن أن يندرج تحت مناحيها ، النحو واللغة ، وسوف نؤيد قولنا هذا بنصوص مـــن كتاباته فى حينه ، وما علينا الآن إلا أن نتناول ما بذله البغدادى فـــى سبيل تدعيم لغة الضاد وصيانتها من جهود بناءة مخلصة أتت أكلها إبـــان حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، ولا تزال دانية القطوف تنيـــر العقول وتضفى الأذهان مما يتهددها من جموع فكرى وظماً على وثقافـــى الى يومنا هذا .

١ ـ التأليف والتصنيـــف

أولا : فى مجال شرح الشواهد :

للبغدادى فى مجال شرح شواهد العربية صولات وجولات ، ولا يمكن أن ينكر ما بذله فى هذا المجال إلا جاحد حانـق ، فقد خلّف فـــى

هذا المضمار آثارا طيبة تدل على حسن بلائه وجميل صنعه إلى وقتنا هذا ، وستظل معالم بارزة طالما بقيت لغة القرآن بخير وطالما هيأ الله لها من العلماء الغيورين من يذود عن حياضها ، ويذب عن حدودها اعتداء المعتدين وحنق الحانقين ويرد عنها سهام الكائدين لها إلى نحورهم خاسرين .

فقد تصدى البغدادى لشرح شواهد العربية التى ذخرت بها أمهات الكتب وجلائل المصنفات والتى عولجت بطريقة قد تتفق وعصور مؤلفيها ، أما فى عصر البغدادى وما تلاه إلى عصرنا هذا فربما يصعب دركها على الباحثين ويجد الدارسون مشقة أيما مشقة فى استساغتها واستيعابها نظرا للتطور والتغير اللذين طرآ على الاذهان وغزوا العقول مصاحبين لكل تقدم يطرأ على وجه الحياة فى عالمنا الذى لا يفتأ يتطور ويتغير يوما إثر يوم ، وإذا أمعنا النظر نجده يلقى من أوجه التطور وأساليب التغير والتقدم الشئ الكثير فى اليوم الواحد . ومن هنا وجد البغدادى أنه لزاما عليه ومن حق اللغة العربية عليه أن يتناول تلك الشواهد بالطريقة التى تلقى بها أمام الباحثين والدارسين فيجد فيها الجميع غناء من جوع وريًا من ظمأ وملأ من صدى . وتاهيك فى ذلك الهون الهاسع والهوة السحيقة بين أسلوبى كتاب سيبويه وكتاب خزانة الأدب للبغدادى حتى تلمس بعد الشقة واتساع الفجوة بينهما رغم أن كلا من الاسلوبين كان مفهوما ومطروقا من الناس فى عهد مؤلفه . واليك ما قام البغدادى على انجازه فى مجال شرح الشواهد من أعمال إحقاقا للحق وعملا بمبدأ الإنصاف .

١ ـ شرح شواهد الكافية :

وانطلاقا من هذا المبدأ الذى أخذ البغدادى نفسه بـــــه ، بدأ بشرح شواهد شرح الرضى الاستراباذى لكافية ابن الحاجب ، وهى من أمهات الكتب التى صنفت فى مجال النحو العربى ، وقد حلل البغدادى مسالمها كل شاهد فيها معالجة نحوية أقـــرب ما تكون إلى أفهام الناس فى العصر الحديث ، ومحاولا ايصـــال القواعد النحوية إلى أذهان الباحثين والدارسين من أقـــــرب الطرق وأيسرها ، قائما على تخريجها تخريجا دقيقا مبسطـــا عاملا على تنقيتها مما يكتنفها من لبس أو غموض ، مع الإصـــرار على اثبات كل ما دار حيالها من آراء العلماء السابقين عـــلا بما تقتضيه الامانة العلمية ، حتى تكون أمام الباحثين والدارسين واضحة جلية تغنيهم عن طول بحث وتنقيب قد يحيهم الاستمرار فيها أو يقعد بهما عن الاسترسال ـ وراءها .

٢ ـ شرح شواهد الشافية :

كما قام البغدادى بشرح شواهد شرح الرضى والجاربردى لشافيه ابن الحاجب ، وهى الكتاب الذى اختصه ابن الحاجب بعلـــم الصرف ، وربما كانت هذه المحاولة من المؤلف من أولـــــى الخطوات التى اتخذت لفصل النحو عن الصرف بعد أن كـــان الأول يشملها واسمه يعمهما . وقد قام البغدادى على شـــرح هذه الشواهد شرحا مستفيضا يفى بالغرض الذى يجد فيه كـــل من الباحث والدارس حتى نهايته المنشودة ، والتى لم يكن من المتيسر له جمع شتاتها المتفرق فى مصنفات عفا عليها الزمن وقال منهـــا تعاقب الايام .

٣ — شرح شواهد المغنى :

وقام البغدادى كذلك بشرح شواهد مغنى اللبيب عن كتاب الاعاريب لابن هشام الانصارى ، وهو سفر جليل يقف فى مصاف الكتب القيمة والمصنفات النافعة التى عنيت بتدعيم القواعد النحوية وتخريجها ، وقد قام العلامة جلال الدين السيوطى وغيره بشرح شواهده ، ولكن شرح البغدادى لها فاق كل الشروح التى صدرت لها جودة واتقانا ومراعاة للأمانة العلمية ، واعترافا بحق كل عالم فيما ذهب اليه من آراء وما ورد عنه من أقوال دون حيف أو تزييف ، وهذا المصنف القيم يشتمل على تسعمائة وستة وأربعين شاهدا .

٤ — شرح شواهد التحفة الوردية :

وقد قام البغدادى كذلك بشرح شواهد التحفة الوردية وهى منظومه فى النحو لابن الوردى اختصارا لمقدمة فى النحو تسمى اللمحة البدرية لابى حيان ، وتحوى مائتين واثنى عشر شاهدا ، قام البغدادى على شرحها خير قيام ، ولم يألُ جهدا فى ايضاح ما حوته من قواعد نحوية وما اشتملت عليه من اتجاهات يصعب دركها على الباحثين والدارسين فى عصرنا هذا نظرا لبعد المسافة الزمنية بين عصر مؤلفها وعصرنا الحاضر .

ثانيا : فى مجال الشروح العامة :

ولم تقتصر جهود عالمنا البغدادى على شرح شواهد العربية ، وانما امتدت الى شروح العديد من المؤلفات الاخرى التى ذخرت بها اللغة العربية بغرض تيسيرها والتبسط فى تناولها والاستفادة

منها نظرا لتطور العهود والازمان وتغيير الافهام والاذهـــان كما قدمنا ، ومن أجلّ ما تناوله البغدادى فى شروحه :

١ — شرح مقصورة ابن دريد :

وهى منظومة ألفها ابن دريد فى مدح ابنى ميكال اللذيـــن كانا على عمالة فارس فى عهده ، وقد قام البغدادى بتجلية مـــا اشتملت عليه من قواعد نحوية قيمة ونكات أدبية نادرة ، مما كـــان له جميل الأثر فى تحقيق النفع للباحثين والدارسين فى مجـــال العربية وعلومها .

٢ — مختصر تمام المتون الى شرح رسالة ابن زيدون :

ومن مؤلفات البغدادى القيمة فى مجال الشروح العامة شرحـــه لرسالة ابن زيدون ، وابن زيدون هو ذلك الشاعر الأندلســـى الذى كان معاصر للخليفة المستكفى ، ولا يخفى ما كان بينه وبين ابنة المستكفى من حب عفيف وعاطفة جارفة مما جر عليه الشقـــاء والتشريد على يدى رجال أبيها المستكفى .

٣ — لغت شاهنامة :

وهى شرح بالتركية لقريب الالفاظ الفارسية التى وردت فـــى شهنامة الفردوس وشهنامة الفرد وسى ملحمة فارسية تحكى تاريـــخ دولة الفرس منذ نشأتها إلى ما قبل الفتح الإسلامى فى ستيـــن الف بيت ، وقام البغدادى بذلك الشرح على أكمل وجه حتى يسهل استيعابها والاستفادة منها وحتى تكون بين يدى الباحثيـــن والدارسين يسيرة المأخذ طيعة المنال .

ثالثا : في مجال الحواشي :

اراد البغدادي أن يغشى جل مجالات العربية إن لم يكن كلها ، وأن يدلي بدلوه في كل علوم العربية وفنونها ، ولذا نجده لم يصادف بابا من أبوابها الا وطرقه وترك عليه بصمات جلية تدل على حسن بلاء وجميل صنيع .

١ — حاشية على شرح ابن هشام لقصيدة "بانت سعاد" :

و "بانت سعاد" قصيدة في نحو أربعمائة بيت نظمها كعب ابن زهير في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وقام على شرحها ابن هشام ، ولكن البغدادي يعد أن قرأ هذا الشرح بمصر (١) وجده يفتقر الى الكثير من المعالجة والإيضاح فوضع عليه حاشيته المعروفة متناولا فيها كل بيت بما يستحق من البحث والدراسة والشرح والتحليل مع العناية باثبات القواعد النحوية التي اشتملت عليها وتخريجها ، حتى قيل : "بل إن حاشيته على شرح بانت سعاد لابن هشام كان معنيا فيها بشرح شواهد ذلك الشرح عناية كبرى (٢)

رابعا : في مجال التعريب :

عرفنا من سيرة البغدادي أنه قد استفاد من تصارح الدولتين الصفوية والتركية في العراق فحذق لغتيهما الفارسية والتركية ، مما

---

(١) مقدمة الحاشية للمؤلف .
(٢) مجلة الزهراء ج ٤ م ٥ شوال سنة ١٣٤٨ .

خول له الاطلاع على آدابهما والإفادة منها أيما افادة ، ومن ثم نجده بنظام ما حصله من معارف ومدارك من هاتين اللغتين إلى جانب لغته العربية في عقد واحد ظهرت آثاره واضحة في تعريبه للتحفة الشاهدية .

١ ـ تعريب التحفة الشاهدية :

وأصل هذه التحفة منظومة في الكلمات الفارسية وتفسيرها باللغة التركية على بحر البحور الشعرية العربية نظمها الكاتب التركي المعروف بالشاهدي ، وقد قام البغدادي بتعريبها شارحا كل ما جاء بها من ألفاظ صعبة المنال يشق درکها على الباحثين والدارسين للأدب العربي وعلاقته بالآداب الاخرى ، وقد أورد البغدادي نقدا للشاهدي لاستعماله بعض الكلمات الفارسية وهو ينم عن علم واسع ويد بيضاء حاضرة .

خامسا : في مجال الخلق والإبداع :

لم يكن البغدادي في كل ما قام به تابعا للعلماء والمؤلفين قبله ، ولم يتوقف جهوده عند شروح ما خلفوه أو تفسيره أو تعريبه مما تقدم إثباته ، وإنما كان له مما ألفه ابتداء مالم يسبق إليه وما كانت تفتقر إليه أمهات المؤلفات العربية ومصنفاتها ومن ذلك :ـ

١ ـ رسالة في معنى التلميذ :

فقد ألف البغدادي رسالة قيمة جليلة النفع في معنى كلمة (تلميذ) موضحا أصولها واشتقاقها وتوليدها ، موردا كل ما قاله العلماء السابقون بشأنها ، ومستشهدا لما أتى به بما ورد في شعر الأقدمين ونثرهم نظراً لخلو الكتب المتواترة من التعرض لهذه الكلمة ـ كما بين هو في صدر هذه الرسالة .

سادسا : في مجال التراجم :

وللبغدادي مؤلف في التراجم ولكنه لم يضع له عنوانا ، ولم يعثر عليه في مكتبات مصر العامة أو الخاصة ، ولكن بروكلمان ذكر أنه موجود في مكتبة عاشر أفندي بالقسطنطينية برقم ١ : ٦٢٧ . (١)

هذا ـ ومن أهم ما استحدثه البغدادي في طريق ما بذله في مجالات التعريب وعلومها وفنونها كما تقدم نزوعه الى البعد عن التعسف ومجانبة التعقيد وضرورة التبسط والتيسير في تقعيد القواعد وعرضها والاستدلال لها ، وعدم اللجوء الى التقدير طالما أن الاسلوب لا يحتاج اليه عملا بأن ما لا يحتاج إلى تقدير خير مما يحتاج اليه : وتتمثل دعوته هذه فيما أتى به من آراء جادة وتنبيهات مفيدة ، وسوف نستشهد لما نقول بمثال أو مثالين على سبيل التمثيل لا الحصر ونقتصر فيما نستشهد به مما ورد في كتابه (خزانة الأدب) حيث هو المؤلف الذي ضم شتات العربية ولم شعثها وبه خلد اسم البغدادي الى يومنا هذا .

فمثلا نجد البغدادي في معرض شرح الشاهد الثالث والسبعين بعد المائتين ونصه :

وما الدهر إلا منجنونا بأهله وما صاحب الحاجات إلا معذبا (٢)

بعد أن يورد آراء كل من يونس وصاحب اللب والسيد عبد الله شارح اللب وابن هشام في نصب كلمتي (منجنونا ، ومعذبا) على اختلافها وتفرقها ، يعقب هو على كل هذه الآراء بقوله : " وعندي أن يكون

---

(١) بروكلمان ٢ : ٣٠٧ النسخة الالمانية عن مقدمة الخزانة شرح الاستاذ عبد السلام هارون

(٢) الخزانة ٢ : ١٢٩ بولاق .

من قبيل تأويل من قرأ (ونحن عصبة) (١) بالنصب ، أى نرى عصبة : والظاهر أن هذا أسهل ". (٢)

وقد ورد أيضا فى معرض شرح بيتى الفرزدق :

مازال مذ عقدت يداه إزاره وسما فأدرك خمسة الأشبار
يدنى خوافق من خوافق للفتى فى كل مهبط الغبار مثار

وهما ضمن القصيدة التى انتزع منها الشاهد الثلاثون . (٣) بعد أن أثبت ما قال به ابن السيد فى شرح شواهد الجمل من أن معنى (فأدرك خمسة الاشبار) أى ارتفع وتجاوز حد الصبا . ثم أورد — أى ابن السيد — كلاما مطولا للفلاسفة للتدليل على صحة هذا المعنى الذى أتى به ، نجد البغدادى يعقب على كلامه بقوله : " وقوله (ارتفع وتجاوز حد الصبا) شرح به المعنى المراد ولا حاجة بعده إلى نقل كلام الفلاسفة لانه خارج عن المقام ، بل مفسد لانه رتب بعده قوله (فاذا تجاوز الصبى أربعة أشبار فقد أخذ فى الترقى إلى غاية الكمال) وهذا غير متصور لان الطفل الذى تجاوز أربعة أشبار يشير نفسه لا يحسن عقد إزاره فضلا عن الأخذ فى الترقى إلى غاية الكمال ، وإنما المعنى تجاوز خمسة أشبار يشير الرجال وهى ثلث قامة الرجل ". (٤) كما يبرز ميله إلى البساطة واليسر ، ويتضح رفضه للتعسف والتقعر فى قوله بعد أن أورد اتجاهات ستة مختلفة فى تفسير معنى (فأدرك خمسة الاشبار) وهى : أولها ما قال به ابن السيد السابق ايضاحه من أنه ارتفع وتجاوز حد الصبا . وثانيها أن المراد به السيف وهو ما قال به ابن هشام اللخمى فى شرح شواهد الجمل . وثالثها

---

(١) الاية ٨ ، ١٤ من سورة يوسف .
(٢) الخزانة ٢ : ١٢٩ بولاق .
(٣) الخزانة ١ : ١٠٣ بولاق .
(٤) الخزانة ١ : ١٠٤ بولاق .

أن الشاعر أراد بذلك عصا الخطابة • ورابعها أن المراد هو الخيزرانة التي يحبها الخلفاء في أيديهم • وخامسها أن المراد بذلك خلال المجد الخمسة الاعتدال والعفة والعدل والشجاعة والوفاء • وسادسها أن المراد بهذه العبارة القبر لأن البيت مرثية • وبعد أن أورد كذلك أقوالهم في إعراب (خمسة الاشبار) من أن أدرك بمعنى انتهى ويكون انتصاب خمسة الاشبار على أنه مفعول على أسقاط حرف الجر أي انتهى إلى خمسة أشبار ، نجده يعقب على ذلك بقوله : " هذا كله تعسف لا ضرورة تدعو إليه ومثل هذا قول ابن يعمون في شرح شواهد الإيضاح : ويجوز نصبه نصب الظروف لقوله مقدارا أي قدر مقدار خمسة الاشبار • أ هـ فانه تعسف أيضا لانه يكون المدرك غير معلوم وهو ونصب قوله أدرك غير مفيد شيئا • ومن فسر الجملة بالشيب والوسجا والخيزرانه فهو على حذف مضاف أي فأدرك أخذ خمسة الاشبار للقتال به أو للحبس باليد أو للخطابة • وقال ابن يعمون بعد جعل الجملة مفعولا لادرك على تقدير معناها السيف أو خلال المجد الخمسة ما نصه : ويجوز نصب خمسة نعتا لإزاره أو بدلا منه أو عطف بيان • أ هـ فتأمل • • (١)

ب ـ <u>فنون العربية وعلومها مما اشتملت عليه خزانة الأدب :</u>

ومن حق البغدادي علينا ، بل ومما يمليه علينا واجب الإنصاف ـ ونحن بصدد إظهار ما بذله من جهود في دراسة النحو واللغة ، وما تتكبده من مشاق في خدمة العربية وعلومها ـ ألا تخمطه حقه ولا تنقص من قدره ننتهم باثبات طرفا من الطرف ، أو نثر قطرات من بحره المتدفق الذي ينم عن سمة الاطلاع وصفاء قريحة وحضور بديهة ، وسوف نجتزئ في ذلك

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٥ بولاق •

ببعض فقرات مما ورد بكتاب " خزانة الادب " الذى أبى إلا أن يخرجه للناس أكبر موسوعة ضمت فى مجال العربية وعلومها من حيث غزارة مادته وتنوعها وشمولها لجميع فنون لغة الضاد ، حتى ليجد الباحث والدارس المادة موضوع البحث أو الدراسة ميسرة متكاملة دون الحاجة إلى الرجوع الى مؤلفات متعددة متناثرة قد يحالفه الحظ فيعثر على ضالته أو يمضى وقته بحثا وتنقيبا دون طائل بسبب فقد هذه المؤلفات أو اندثارها . ومن أمثلة ما حواه الخزانة من غنون :

أولا : فى مجال الصرف :

خزانة الادب " كتاب صنف أصلا فى علم النحو ، ولكن البغدادى أراد أن يضمنه طرفا من جميع علوم العربية وفنونها ، وهذا ما يضفينى من الإتيان بدليل على أن الخزانة يحوى بين دفتيه نحوا والا كان ما أقدمه من أدلة على ذلك من باب تحصيل الحاصل . ولكن فى مجال الصرف فلا نكاد نجد شاهدا فى الخزانة أو غيره من مؤلفات عبد القادر إلا وعالجه صرفيا بعد معالجته نحويا ، ومثال ذلك ما أورده فى معرض شرح الشاهد الثامن عشر ونصه :

أرقنى الليلة برق بالتهم يالك برقا من يشقه لا يلم (١)

حيث يقول : " قال الشارح : وكذا (تهام) بفتح التاء فى المنسوب الى التهم بمعنى تهامة . يريد أن الالف فى تهام بالفتح عوض من احدى يائى النسب ، كما فى يمان اذ هو منسوب إلى يمن ، وانما قيد بفتح التاء لانك إذا كسرتها قلت تهامى بتشديد الياء لانه منسوب الى تهامه بالكسر ، فالألف من لفظها وليست بدلا .

---

(١) الخزانة ١ : ٧٤ بولاق .

قال المرزوقى فى فصيح ثعلب : رجل تَهام أى من أهل تَهامـــه ، والأصل تَهَمِىّ لأن تَهْمًا قد وضع موضع تهامة ، لكنهم حذفوا إحدى يـــاء ى النسب وأبدلوا منها ألفا وأنشد هذا البيت عن أبى على الفارسى : وقـــال ابن جنى فى الخصائص : فإن قلت : فإن فى تهامة ألفا ، فلِمَ ذهبت إلـــى أن هذه الألف فى تهام عوض من إحدى الياءين للإضافه ، قيل : قـــال الخليل فى هذا : كأنهم نسبوه إلى فَعَل أو فَعَل ، وكأنهم حكوا صيغة تهامـــة وأصاروها إلى تَبَّ أو تَهَم ، ثم أضافوا اليه فقالوا: تَهام . وإنما مَثَّل الخليـــل بين فَعَل وفَعَل ولم يقطع بأحدهما لأنه قد جاء هذا العمل فى هذين المثالين جميعا ، وهو الشأم واليمن وهذا الترخيم الذى أشرف عليه الخليل ظنًّا قـــد جاء به السماع نصًّا ، أنشدنا أبو على قال : أنشد احمد بن يحيى :

أَرَقَنِي اللَّيْلَةَ برقٌ بالتَّهَـــم . البيت

وقال أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم : التَّهَم بفتح أوله وثانيه ، قالـــه ابن الأعرابى . أنشد :

أَرَّقَنِى اللَّيْلَةَ برقٌ بالتَّهَـــم . البيت(١)

الى غير ذلك مما ذكره فى شرح الشاهد الثالث والتسعين حول كلمة (التلبية) وما ذكره فى شرح الشاهد الرابع والأربعين بعد المائه حول كلمة (كـــروان) وما ذكره فى شرح الشاهد السادس والعشرين بعد الثلاثمائه حول كلمة (فـــم)

---

(١) الخزانة ١ : ٧٤ ، ٧٥ بولاق .

ثانيا : في مجال فقه اللغة :

حتى فقه اللغة لم يشأ البغدادي أن يخرج مصنفه (خزانة الأدب) خلواً منه ، فلا يكاد يصادف شاهدا أو لقطة في شاهد تحتاج إلى معالجة من جانب هذا الفن إلاّ وبسط القول فيها بما يوفيها حقها من الإبانة والإيضاح ، ومثال ذلك ما ورد في معرض شرح الشاهد الحادي والثلاثين بعد الثلثمائة ونصه :

(حَتَّى إذَا خَرَجَتْ مِنْ فُمِّـــه) (١)

حيث يقول : " أقول : قال ابن جني في (سر الصناعة) في حرف الميم وهذه عبارته : اعلم أن الميم حرف مجهور يكون أصلا وبدلا وزائدا ، فالأصل نحو مرس وسمر ورسم . وأما البدل فقد أبدلت من الواو ، والنون واليا والـلام أما إبدالها من الواو فقولهم : فُوْه بوزن حَوْط ، فحذفت الهاء تخفيفا ، فلمـا بقي على حرفين ثانيهما حرف لين كرهوا حذفه للتنوين فيجحفوا به فأبدلـوا من الواو ميما للقوت لأنهما شفهيتان وفي الميم هواء في الفم يضارع امتـداد الواو . ويدل على أن الفم مفتوح الفاء وجودها إياها مفتوحه في هذا اللفـظ وهو المشهور " . (٢)

وكذلك ما أورده في شرح الشاهدين السادس والخمسين بعد التسعمائه والسابع والخمسين بعد التسعمائه عن (عين الكشكشة) وهما آخر شاهدين في الخزانة .

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٨٣ بولاق .
(٢) المصدر السابق .

ثالثا : في مجال لهجات العرب :

كذلك عندما يصادف البغدادي لفظة قد تناوشتها لهجات القبائل واختلف النطق بها تبعا لاختلاف هذه اللهجات لا يتورع عن تناولها بالتفصيل والتفسير ويورد كل ما قيل بشأنها حتى يجلوها ويكشف ما اكتنفها من غموض فمثلا نجده في معرض شرح بيت زهير بن أبي سلمى :

فَسَتَعْرِكُكُم عَرْكَ الرَّحَى بِثِقَالِها وَتُلْقِحْ كِشَافًا ثُمَّ تَحْمِلْ فَتُتْئِمِ (١)

وهو أحد أبيات القصيدة التي انتزع منها الشاهد السادس والخمسين بعد المائه . يقول : " قال صعوداء ... قال : والكِشَافُ في لغة كنانه وهذيل وخزاعة : الإبل التي لم تحمل عامين ، وتميم وقيس وأسد وربيعه يقولون : الكِشَاف التي إذا نتجت ضربها الفحل بعد أيام فلقحت : وبعضهم يقول : هي التي يُحْمَل عليها في الدم ، وأبو نصر يرد هذا كله ويزعم أن الفحل لا يدنوا من الناقة مادامت في دمها ، وأنشد :

(طَبَّ بعض البول ، غَيْرَ ظَلَّام)

قال : فهو لا يدنو منها حاملا ، فكيف يدنو إليها في دمها ، وقال الكِشَاف عندنا أن يُحْمَل على الناقة عامين متتاليين ، وذلك يضربها وهو أردأ النتاج (٢)

رابعا : في مجال الأدب :

يعتبر الخزانة أكبر موسوعة صنفت في العربية وعلومها — كما نوهنا آنفا — ولذا نجد البغدادي لم يصرف اهتمامه الى فنون يعنها دون أخرى ، ولم يُعْنَ [illegible] القواعد وتخريجها وهو بصدد شرح الشواهد فحسب ، بل نجد

(١) الخزانة ١ : ٤٤١ بولاق
(٢) الخزانة ١ : ٤٤١ بولاق .

الأدب أيضا قد حَظِىَ بقسط وافر من اهتمام البغدادى وعنايته ، فمثلا نجده بعد أن ينتهى من الكلام عن شاهد ما ومعالجته نحويا ولغويا وغير ذلك يتذكر حادثة أو بيّة لها ارتباط بالشاهد فيمد إلى سردها ـ على طولها ـ بعد أن يُمَنْوِنَ لها بكلمة (تتمه) أو (تتمات) أو (فائدة) ، ومثال ذلك ما أورده بعد الفراغ من شرح الشاهد السابع والثلاثين بعد المائة حين يقول :

" روى المرزبانى فى الموشح عن الصولى بسنده أن الوليد بن عبد الملك تهاجر مع أخيه مسلمه فى شعر امرئ القيس والنابغة الذبيانى فى وصف طول الليل أيهما أجود ، فرضيا بالشعبى فأحضر ، فأنشد الوليد :

كُلِينى لَهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ ... وليلٍ أُقاسِيهِ بَطِىءِ الكَواكِبِ
تَطاوَلَ حتى قُلْتُ ليسَ بمُنْقَضٍ ... وليسَ الذى يَرْعَى النجومَ بآيِبِ
وصَدْرٍ أراحَ الليلُ عازِبَ هَمِّهِ ... تَضاعَفَ فيهِ الحُزْنُ مِنْ كُلِّ جانِبِ (١)

وأنشد مسلمه قول امرئ القيس :

ولَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أرْخَى سُدُولَهُ ... عليَّ بأنْواعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِى
فقلتُ لهُ لمّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ ... وأرْدَفَ أعْجازاً ونَاءَ بِكَلْكَلِ
ألا أيُّها اللَّيْلُ الطَّوِيلُ ألا انْجَلِى ... بِصُبْحٍ وما الإصْباحُ مِنْكَ بأمْثَلِ
فيالَكَ مِنْ لَيْلٍ كأنَّ نُجُومَهُ ... بِكُلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ
كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فى مَصامِها ... بأمْراسِ كَتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

---

(١) الخزانة ١ : ٣٧١ بولاق .

قال : فضرب الوليد برجله طربا ، فقال الشعبى : بانت القضية .
قال الصولى : فأما قول النابغة :

وصدر أراج الليل عازب همـــــه

فانه جعل صدره مألفاً للهموم وجعلها كالنَّعَم العازبة بالنهار عنه ، الرائحـــة مع الليل إليه ، كما تريح الرعاة السائمة بالليل إلى مكانها ، وهو أول مـــن وصف أن الهموم متزايدة بالليل وتبعه الناس . فقال المجنون :

يَضُمُّ الىَّ الليْلُ أطْفَالَ حُبِّهَـــا كَمَا ضَمَّ أزْرَارَ القَمِيصِ البَنَائِـــقُ

وهذا من المقلوب ، أراد : كما ضم أزرارُ القميصِ البنائقَ — ومثل هذا كثيـــر — فجعل المجنون ما يأتيه فى ليله مما عَزُبَ عنه فى نهاره كالأطفال الناشئة . وقال ابن الدمينة :

أَظَلَّ نَهَارِى فِيكُمْ مُتَعَلِّـــلاً وَيَجْمَعُنِى والهمم بالليْلِ جامـــع

ويروى صدره : أقضَىَّ نَهارِى بِالحَدِيثِ وَبالمُنَى .

فالشعراء على هذا متفقون ولم يشذ عنه منهم الاَّ أحذقهم بالشعر وهـــو امرؤ القيس فإنه بحذقه وحسن طبعه وجودة قريحته كره أن يقول أن الهم فـــى حبه يخف عنه فى نهاره ويزيد فى ليله ، فجعل الليل والنهار سواء عليه فـــى قلقه وهمّه وجزعه وغمّه فقال :

ألاَ أيُّها الليْلُ الطَّوِيلُ ..... البيت

وقد أحسن فى هذا المعنى الذى ذهب إليه وإن كانت العادة غيره و[illegible] لا توجيه ، وقد صب الله على امرئ القيس بعده شاعراً أراه [illegible] معناه فـــى المعقول وأن الصورة تدفعه والقياس لا يوجبه والعادة غير جارية به حتى لو كـــان

المراد عليه من حُذّاق المتكلمين ما بلغ فى كثير نثره ما أتَى به فى قليل نظمه .
وهذا الطرماح بن حكيم الطائى فإنه ابتدأ قصيدته فقال :

ألاَ ايُّها اللَّيلُ الطَّوِيلُ أَلاَ اصْبِحِ بِتَمٍّ . وما الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَرْوَحِ

فأتى بلفظ امرئ القيس ومعناه ، ثم عطف محتجا مستدركا فقال :

بَلَى إِنَّ لِلْعَيْنَيْنِ فِى الصُّبْحِ رَاحَةً لِطَرْحِهِما طَرْفَيْهِما كلَّ مَطْرَحِ

فأحسن فى قوله وأجمل ، وأتى بحق لا يدفع ، وبين عن الفرق بين ليله ونهاره وإنما أجمع الشعراء على ذلك من تضاعف بلائهم بالليل وشدة كلفهم لقلة المساعد وفقد الحبيب ، وتقييد اللحظ عن أقصى مرامى النظر الذى لا بد أن يؤدى إلى القلب بتأمله شيئا يخفف عنه . أو يغلب عليه فينسى ما سواه . وأبيات امرئ القيس فى وصف الليل اشتمل الإحسان عليها ولاح الحذق فيها وبان الطبع بها ، فما فيها مُعَاب الا من جهة واحدة عند الحُذاق ينقد الشعر وهو قوله :
فقلت له لما تمطى .... البيت ، لم يشرح (فقلت له) إلا فى بيت بعده ، وهذا عيب لأن خير الشعر ما لم يحتج بيت منه إلى بيت آخر ، وقد تبع الناس امرأ القيس وصدقوا قوله ، وجعلوا نهارهم كليلهم ، فقال النجدى فى غضب الفتح عليه :

وألبَسْتنِى سُخْطَ امْرِئٍ بِتُّ مُوهِنًا أرَى سُخْطَه لَيْلاً مَعَ اللَّيْلِ مظلما

وكأنه من قول أبى عينية فى التذكر لوطنه :

طَالَ مِنْ ذِكْرِهِ بِجُرْجَانَ لَيْلِى ، ونَهَارِى عَلَىَّ كاللَّيْلِ دَاجِى . (١)

---

(١) الخزانة ١ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ بولاق .

خامسا : فى مجال البلاغة العربية :

حتى البلاغة العربية لم يفت البغدادى أن يضمنها خزانته بين ما ضمنها من علوم العربية وآدابها ، فالمتصفح للكتاب كثيرا ما يقف على فصول بأكملها قد قصرها البغدادى على الحديث عن قيم بلاغية جيده وأسس جمالية نادرة ، ومن ذلك ما أورده فى معرض شرح الشاهد السابع والثمانين وهو قول عمر بن أبى ربيعه :

أَيُّهَا المُنْكِحُ الثُّرَيا سُهَيْلاً عَمْرَكَ اللَّهَ كيفَ يلْتَقِيَانِ (١)

حيث يقول البغدادى : " وحكم له بين (الثريا) و (سهيل) ثورية لطيفة ، فإن الثريا يحتمل المرأة المذكورة . (٢) وهو المعنى البعيد المورَّى عنه وهو المراد ، ويحتمل ثريا السماء ، وهو المعنى القريب المورَّى به . وسهيل يحتمل الرجل المذكور (٣) ، وهذا المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد ، ويحتمل النجم المعروف بسهيل . فتمكن للشاعر أن وَرَّى بالنجمين عن الشخصين ليبلغ من الإنكار على من جمع بينهما ما أراد ، وهذه أحسن تورية وقعت فى شعر المتقدمين .

وفى شرح بديعية العميان لابن جابر : لا يقال إن التورية فى الثريا مرشحه بقوله شامِيَّة إذ ليست من لوازم المُوَرَّى به ، ولا مبينه إذ ليست من لوازم المُوَرَّى ، إذ المرأة شامية الدار والنجم أيضا شامى ، فاشتركا فى ذلك . ولا يكون الترشيح والبيتين إلا بلازم خاص : وكذلك التورية فى سهيل لا يقال أنها مرشحة ولا مبينة بيمان ، إذ هو صفة مشتركه بينهما ، لأن سهيلا

---

(١) الخزانة ١ : ٢٣٨ بولاق .
(٢) وهى الثريا بنت على بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر .
(٣) وهو سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى .

الذى هو رجل يمان كسهيل الذى هو النجم • وسبب هذين : أن سهيـــلا المذكور تزوج الثريا المذكورة وكان بينها بون بعيد فى الخُلُق ، كانت الثريـا مشهورة فى زمانها بالحسن والجمال ، وكان سهيل قبيح المنظر ، وهـــذا مراده بقوله : عمرك الله كيف يلتقيان ، أى كيف يلتقيان مع تفاوت ما بينهمـــا فى الحسن والقبح • (١) انتهى ".

سادسا : فى مجال العروض :

والعروض كذلك ــ كفنٍّ من فنون اللغة ــ لم يسلم من تناول البغدادى إياه متى وجد مدعاة إلى تناوله فى خزانته ، فيبسط فيه القول شارحا موضحـــا حتى تعم الفائدة ويتحقق الغرض المقصود ، فمن ذلك ما جاء فى معرض شـــرح الشاهد الحادى والثلاثين ، وهو قول حسان بن ثابت فى مدح النبى صلـــى الله عليه وسلم :

وشَقَّ له مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّـــه فذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وهَذَا مُحَمَّدُ (٢)

حيث يقول البغدادى : " والصواب فى روايته (شق له من اسمه) بدون واو فإنها للعطف ولم يتقدم شىء يعطف عليه ، ولكن يبقى الشعر مخروما ، والخـرم جائز عندهم ، وهو بالخاء المعجمة والراء المهملة عبارة عن حذف أول الوتـــد المجموع فى أول البيت ، وذلك نحو فَعُولُنْ ، ومَفَاعِيلُنْ ، ومفاعلتن ". (٣)

وفى ثنايا خزانة الأدب الكثير الوافر مما تناول فيه البغدادى فـــن العروض بالشرح والتفسير والتصريف وربما كان أبرز ما أورده فى هذا الشـــأن ما جاء فى معرض شرح الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائه ، ونصه :

وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤْثَفَيْنَ (٤)

---

(١) الخزانة ١ : ٢٤٠ بولاق •
(٢) الخزانة ١ : ١٠٩ بولاق •
(٣) المصدر السابق •
(٤) الخزانة ١ : ٣٦٧ بولاق •

حيث يقول البغدادى : " وهو من قصيدة لخطام المجاشعى ، وهى من بحر السريع ، وربما حسب من لا يحسن الشعر أنه من الرجز كما توهم بعضهم . لأن الرجز لا يكون فيه مفعولات فيرد الى فعولات . ومثله :

قَدْ عَرَضَتْ أَرْوَى يَقُولُ أَفْنَاءْ

وهو مستفعلن مستفعلن فعولات ". (١)

سابعا : فى مجال النقد :

ومن فنون الأدب القيمة التى لم يغفلها البغدادى فى خزانته لارتباطه الوثيق بكلام العرب — شعره ونثره — النقد ، إذ لم يألُ البغدادى جهدا فى بيان وتفصيل القول فيه ، كلما رأى فى ذلك منفعة للباحث أو مأربا للدارس . ومثال ذلك ما نقله البغدادى عن الإمام العاقلانى مما ورد فى كتابه (إعجاز القرآن) نقدًا لمعلقة امرئ القيس : " ومما يعدونه من محاسن هذه القصيدة هذه الأبيات الثلاثة . (٢) وكان بعضهم يعارضها بقول النابغة

قَلِقَ لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ ... وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ
وَصَدْرٍ أَرَاحَ اللَّيْلَ عَازِبَ هَمِّهِ ... تَضَاعَفَ فِيهِ الحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
تَقَاعَسَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ ... وَلَيْسَ الَّذِى يَتْلُو النُّجُومَ بِآيِبِ

وقد جرى ذلك بين يدى الخلفاء ، فقدمت أبيات امرئ القيس واستحسنت ، وقد جعل لليل صدرا يثقل تنحيه ، وبطئ تقضيه ، وجعل له أردافا كثيرة ، وجعل له صلبا يمتد ويتطاول ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره أبو تمام من الاستعارات الوحشية البعيدة المستنكرة ، ورأوا أن الألفاظ

---

(١) الخزانة ١ : ٣٦٧ بولاق .
(٢) الابيات الثلاث وهى :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَه ... عَلَىَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِى
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ ... وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِى ... بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

جميلة • واعلم أن هذا صالح جميل ، وليس من الباب الذى يقال إنه متنـاه عجيب ، وفيه إلمام بالتكلف ، ودخول فى التعمل "• (١)

هذا بخلاف مالم أتعرض له مما حواه الخزانة من هذا الفن لضيـق المقام وخشية الإطالة والاستطراد •

ثامنا : فى مجال الأمثال العربية :

ومما تناوله البغدادى فى خزانته من حيث وثاقة صلته بلغة العـرب وكلامهم ، ومن حيث إضاءته الطريق أمام الباحث والدارس لتفهم لغـة الضاد وعلومها وآدابها ، الأمثال العربية ، إذ هى حديث العربى فى غدوه ورواحه ، وما ينطق به أينما حل وحيثما سار ، ولذا نجد البغدادى لا يدخر وسعًا فى تجليتها وتوضيحها ، مبينا مواردها ومضاربها والغرض المقصـود بها ، منوّهًا عن كل من ورد المثل فى مصنفاتهم ، ذاكرًا جميع أقوال العلمـاء بشأنه ، مثبتاً ما هو فيه • ومثال ذلك ما ذكره فى خزانته بشأن المثل العربى القائل :

(أَصَبُّ مِنَ المُتَمَنِّيَـةِ)

والمتمنية هذه ـ كما قال النسابون ـ هى الفريعة بنت همّام أم الحجاج بن يوسف الثقفى ، ويقال لها الذلفاء وقد هويت فتى من بنى سليم يقـال له نصر بن الحجاج بن علاط ، وكان أحسن أهل زمانه صورة فضنيت من أجلـه وما من الوجد به ، ثم لهجت بذكره حتى صار ذكره هَجّيراها ، وكانت حينئـذ تحت المغيرة بن شعبه ـ كذا أورد حمزة الأصبهانى فى (الدرة الفاخـرة) ـ بتصرف •

---

(١) الشاهد العاشر بعد المائتين ـ الخزانة ١ : ٥٦٠ بولاق •

والمتمثية هذه هى قائلة الشاهد الخامس والستين بعد المائتين ونصه :

أَلاَ سَبِيلَ إِلى خَمْرٍ فأَشْرَبَهَا أَمْ لا سَبِيلَ إِلى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجِ (١)

وفى هذا الصدد يقول البغدادى ـ بما عرف عنه من كونه شارحا موضحا جليا " وقد ذكر خبرها مع نصر بن حجاج جماعة منهم الجاحظ فى كتاب المحاسن والمساوىء ، وأبو القاسم الزجاجى فى أماليه الوسطى ، وأبو الحسن على بن محمد المدائنى فى كتاب المغربين ، وحمزة الأصبهانى فى أمثاله ، والسهيلى فى الروض الأنف ، واسماعيل بن هبة الله الموصلى فى كتاب غاية السائل الى معرفة الأوائل ، وقد جمعت بين ما اتفقوا عليه وبين ما انفردوا به . قالوا : أول من عس بالليل فى الإسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فبينا ليلة سمع امرأة تقول :

أَلاَ سَبِيلَ إِلى خَمْرٍ فَأَشْرَبَهَا أَمْ لاَ سَبِيلَ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجِ
إِلَى فَتَىً مَاجِدِ الأَخْلاَقِ ذِى كَرَمٍ سَهْلِ المَحَيَّا كَرِيمٍ غَيْرِ فِجَّاجِ

فقال عمر : من هذه المتمنية ؟ فلزمها هذا الاسم ، واستلبثه نساء المدينة فضربن به المثل وقلن (أَصَبُّ مِنَ المُتَمَنِّيَةِ) . (٢)

وغير هذا كثير مما يحوى الخزانة بين دفتيه من نفائس وذخائر ، حتى أصبح جديرًا بأن يسمى (خزانة الادب) ، مثال ذلك ما أورده البغدادى حول مَوْرِدِ المثل العربى (أَدْنَفُ مِنَ المُتَمَنِّيَ) فى نفس الشاهد ، كذا ما أتى به حول مَوْرِدِ المثل القائل (أَنْدَمُ مِنَ الكَسْعِيِّ) فى الشاهد السابع والسبعين بعد المائتين ، وما قاله حول المثل القائل (أَشْأَمُ مِنْ غُرَابِ العَيْنِ) فى

---

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ بولاق .

(٢) تناول البغدادى هذا المثل فى الخزانة بإسهاب ، مُورِدًا كل الأقوال التى قيلت فيه ، ولكنى تصرفت بعض الشىء فى كلام البغدادى ، مغضيا عن الأقوال المتعددة فى سبب قول المثل وموردِه وغيره منعًا للإطناب والاستطراد ومَنْ أراد الاستزادة والإفادة فعليه الرجوع إلى الخزانه ٢ : ١٠٩ بولاق شاهد ٢٦٥ .

الشاهد الثامن والسبعين بعد المائتين على لسان ابن خلف ، هذا غير ما حواه الخزانة من مجموعة نادرة من الأمثال العربية على لسان عبيد بن الأبرص في معرض شرح الشاهد السادس عشر بعد المائه ، إلى غير ذلك مما تجاوزت عن إيراده خشية الإطالة والإطناب مما قد يثقل على القارىء ، وفي الخزانة معين لا ينضب لمن أراد الإستزادة والاستفادة .

تاسعا : في مجال السيرة النبوية :

والسيرة النبوية المطرة لم يفت البغدادي أن يدبج خزانته بفصول شيقة منها كلما سنحت له الفرصه ، أو وجد إلى ذلك سبيلا ، ومثال ذلك ما أورده في معرض شرح الشاهد الخامس عشر بعد المائتين ونصه :

فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ وَابْشِرْ بِذَاكَ وَقَرَّ مِنْهُ عُيُونَا (١)

حيث يقول البغدادي : " قال السيوطي في شرح شواهد المغني : أخرج ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن يعقوب بن عتبة بن المغيره بن الأخفش أن قريشا أتت أبا طالب ، فكلمته في النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه فقال له : يابن أخي ، ان قومك قد جاؤني فقالوا كذا وكذا ، فابق علي وعلى نفسك ولا تحمّلني من الأمر مالا أطيق أنا ولا أنت ، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك ، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه وأنه خاذله ، فقال : يا عم ، لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه ، ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ، فلما ولىّ قال له ـ حين رأى ما بلغ من

---

(١) الخزانة ١ : ٥٠٧ بولاق .

الأمر برسول الله صلى الله عليه وسلم — : يا ابن أخى ، إمْضِ على أمـــرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا أُسْلِمُك بشىء أبدا ، وقال أبو طالب فى ذلـــك هذه الأبيـات :

واللهِ لَنْ يَصِلوا إليْكَ بِجَمْعِهِم ... حتَّى أُوَسَّدَ فى التُرابِ دَفينَـا
فاصْدَعْ بأمْرِكَ ما عَلَيْكَ غَضاضَـة ... وأبْشِرْ بذاكَ وَقَرَّ مِنْه عُيُونَـــا
ودَعَوْتَنِى وزَعَمْتَ أنَّكَ ناصِـحٌ ... ولَقَدْ صَدَقْتَ وكُنْتَ ثَمَّ أمِينَـــا
وعَرَضْتَ دِينًا لا مَحَالَةَ أنَّـــهُ ... مِنْ خَيْرِ أدْيانِ البَرِيَّةِ دِينَـــا
لولا الَمَلامَةُ أو حِذارَ مَسَبَّـــةٍ ... لَوَجَدْتَنِى سَمْحًا بذاكَ مُبِينَـــا

هذا بخلاف ما أورده البغدادى فى الشاهد الثامن والستين بعد المائه فى شأن وفادة بنى عامر على النبى صلى الله عليه وسلم ، وما أورده فى الشاهـــد السبعين بعد المائتين فى شأن وفَادَةِ فروة بن مسيك المرادى مع قومه ، إلـــى غير ذلك مما يضيق به المقام ويجل عن الحصر من خير السيرة الشريفة المطهرة .

عاشرا : فى مجال التاريـــخ :

وما حواه الخزانة من تاريخ العرب وأيامهم — فى جاهليتهم وإسلامهـــم حشد كثير وجم غفير ، فمن ذلك ما أورده البغدادى فى معرض شرح الشاهـــد السابع والثلاثين بعد المائه — نقلا عن كتاب العمدة لابن رشيق — فى شـــأن تاريخ حكم الغساسنة للشام ، وما ذكره فى الشاهد الخامس والخمسين بعـــد المائه فى شأن ملوك الحِيرَة ، وما جاء فى معرض شرح الشاهد السـادس والخمسين بعد المائه عن ذكر حرب عَبْسٍ وذبيان ، وما ورد فى شرح الشاهـد للسبعين بعد المائتين عن يوم الروم بين مراد وبنى الحارث ، وكذا ما سطـــره البغدادى فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين عن يوم قُلاَب ، ثـــم

ما أورده فى الشاهد الثالث والعشرين بعد المائتين (١) حيث يقول عن يوم حليمة : " ويوم حليمة ، قال العسكرى فى التصحيف : هو يوم كان فيه ملوك الشام من الغسانيين وملوك العراق ، فقل فيه المنذر — إمّا جَدّ النعمان أو أبوه — وقيل فى هذا اليوم : ما يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسِرٍّ . انتهى ". (٢)

وفى الدرة الفاخرة لحمزة الأصبهانى : .... وهو أشهر أيام العرب . وإنما نسب إلى حليمة لأنها حضرت المعركة محفزة لعسكر أبيها ، فتزعم العرب أن الغبار ارتفع يوم حليمة حتى سد عين الشمس وظهرت الكواكب المتباعدة عن مطلع الشمس ، فسار المثل بهذا اليوم : لأُرِيَنَّكَ الكَوَاكِبَ ظُهْرًا . (٣)

أحد عشر : فى مجال الأخبار :

والأخبار العربية المشوقة والممتعة والمبينة لحياة العرب الاجتماعية والفكرية — فى الجاهلية والإسلام — أورد البغدادى فى خزانته منها طُرَفًا شيّقة يلذ للقارئ الاستمتاع بها ، ويحق للباحث والدارس الإلمام بها : فمن ذلك ما أورده فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائتين من خبر مَاوِيَّةَ وحاتم ، وما ذكره فى الشاهد التسعين بعد المائتين من أخبار المجنون ، وما جاء من خبر جَبَلَةَ بنِ الأَيْهَمِ الغَسَّانِىِّ الذى وَطِئَ إزاره فى الحج عند الكلام عن الشاهد الخامس عشر بعد الثلاثمائة ، وكذا ما ورد فى الشاهد الثالث والعشرين بعد الثلاثمائة من خبر هجاء بِشْرِ بنِ أبى خَازِمٍ لأَوْسِ بنِ حَارِثَةَ بن لأْمٍ ، وما ذكره من خبر يزيد بن مفرغ فى الشاهد الثالث بعد الثلاثمائة .. وغير ذلك كثير مما حواه الخزانة من أخبار العرب وأحاديثهم ويُجتزى فى ذلك

---

(١) الخزانة ٢ : ١١ بولاق .
(٢) حليمة هى بنت الحارث بن شمر الغسانى الأصغر ملك عرب الشام .
(٣) قد تصرفت فى قول حمزة الأصبهانى بعض التصرف بغية الإيجاز وعدم الاستطراد .

بما ورد من خبر مَاوِيَةَ وحَاتِم المتقدم ذكره (١) حيث يقول البغدادى :
" ان معاوية تذاكروا عنده ملوك العرب حتى ذكروا الزَّبَّاء ومَاوِيَّة ، فقال معاوية : إنى لأحب أن أسمع حديث ماوية وحاتم ، فقال رجل من القوم : أفلا أحدثك به ؟ فقال معاوية : بلى . فقال : إن ماوية كانت ملكه ، وكانت تتزوج من أرادت وأنها بعثت يوما غلمانا لها وأمرتهم أن يأتوها بأجسم من يجدونه من الحيرة ، فجاءوا بحاتم فأكرمته ، وبعد أن رحل عنها وعنه نفسه إليها ، فأتاها يخطبها ، فوجد عندها النابغة ورجلا من الأنصار من النَّبِيتِ ، فقالت : انقلبوا إلى رحالكم ولْيَقُلْ كل منكم شعرا يذكر فيه فعاله ومنصبه فإنى أتزوج أكرمكم وأشعركم ، فانصرفوا ، فنحر كل واحد منهم جزورا ، ولبست ماوية ثيابا لِأمَةٍ لها ، فأعقبتهم ، فأتت النبيتى ، فاستطعمته من جزوره ، فأطعمها ثيل جزوره — أى وعاء قذيه — فأخذته ، ثم أتت النابغة الذبيانى ، فاستطعمته ، فأطعمها ذنب جمله ، فأخذته ، ثم أتت حاتما وقد نصب قدره ، فاستطعمته ، فقال لها : قِرِّى حتى أعطيك ما تنتفعين به ، فأعطاها من العجز والسنام ، ومثلها من المخدش وهو عند الحارك ، ثم انصرفت ، فأرسل إليها كل واحد ظهر جمله ، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أهدى إليها ، وصبحوهما فاستنشدتهم ، فأنشد النبيتى :

هَلَّا سَأَلْتِ النَّبِيتِيِّينَ مَا حَسَبِى ... عِنْدَ الشِّقَاءِ إذا ما هَبَّتِ الرِّيحُ

وبعده أبيات ثلاثة . ثم قالت : أنشدنا يا نابغة . فأنشدها :

هَلَّا سَأَلْتِ بَنِى ذُبْيَانَ مَا حَسَبِى ... إذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الأَشْمَطَ البَرِمَا

---

(١) الخزانة ٢ : ١٦٥ بولاق . وهذه رواية صاحب الأغانى ، وهناك رواية أخرى أوردها الزجاجى فى أماليه الوسطى ضربنا عنها صفحا لطولها .

وبعده بيتان ، ثم قالت : يا أخاطبه ، أنشدنا ـ فأنشدها :

أَمَا وِيَّ قد طَالَ التَجَنُّبَ والهَجْرَ وقَد عَذَرَتْنِي في طِلابكم العُذْرُ

إلى آخر القصيدة . فلما فرغ حاتم من إنشاده دعت بالغداء وكانت قد أمرت إماءها أن تقدمن إلى كل رجل ما كان أطعمها ، وتقدمن إليهم ما كانت أمرتهن أن يقدمنه ، فنكس التميمي والنابغة رأسهما فلما نظر حاتم ذلك وعَ بالذي قدمته إليهما وأطعمهما مما قُدِّم له ، فتسللا منها . وقالت: إن حاتما أكرمكم وأشعركم . فلما خرجا قالت : يا حاتم ، خَلِّ سبيل امرأتك فأبى ، فزوجه ، فلما انصرف عنها ماتت امرأته ، فعاد إليها فتزوجها ، فولت له عَدِيًّا . وكان عدي أسلم وحسن إسلامه أ . هـ مختصرا .

ثاني عشر : في مجال تخريج القراءات :

وإلى جانب ما يحويه الخزانة من دُرَر وما يشتمل عليه من نفائس نجده لا يخلو من فصول رائعة ، ولقطات نادرة في مجال القراءات وتخريجها ، وبيان أوجه الصواب فيها ، وما أجمع عليه الجمهور وما رَدَّه آخرون ، مثال ذلك ما أورده في الشاهد الثالث والسبعين بعد المائتين في تأويل من قرأ (وَنَحْنُ عُصْبَة) بالنصب ، وقراءة ابن مسعود (إِنْ كُلٌّ إِلاَّ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) وكذا ما ذكره في معرض شرح الشاهد الثاني والعشرين بعد الثلاثمائة (١) في تأويل قراءة حمزة (مَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) (٢) حيث ورد الشاهد (قال لها : هَلْ لَكِ يَا تَافِيَّ) شاهدا على أن كسرياء المتكلم من نحو (فِيَّ) لغة بني يربوع ، لكنه عند النحاة ضعيف كقراءة حمزة (ما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ)

---

(١) الخزانة ج٢: ٢٥٨ ، ٢٥٩ بولاق .
(٢) الآية ٢٢ من سورة إبراهيم .

ويقول البغداد ى فى ذلك : " واعلم أن القراء والزجاج وغيرهما قد أنكروا هذه القراءة والشعر ، أما القراء فقال (فى تفسيره) : الياء من مُصْرِخِىّ مفتوحه لأن الياء من المتكلم تُسَكَّن اذا تحرك ما قبلها ، وتنصب ارادة الهاء كما قرئ (لَكُمْ دِينُكُم وَلِيَ دِين) (١) بنصب الياء وجزمها ، فإذا سُكِّن ما قبلها رُدَّت إلى الفتح الذى كان لها ، فالياء من مصرخى ساكنه والياء بعدها من المتكلم ساكنة ، تحركت إلى حركة كانت لها ، فهذا مُطَّرد فى الكلام . وقد خفّف الياء من مصرخى الأعمش ويحيى بن ثابت جميعا حدثنى القاسم بن معن عن الأعمش عن يحيى أنه خفّف الياء ، ولعلها من وهم القراء طبقة يحيى فإنه قل من سَلِمَ منهم من الوَهْم ، ولعله ظن الباء من بمصرخى خافضة للحرف كله ، والياء من المتكلم خارجه من ذلك ، ومما نرى أنهم وهموا فيه قولهم (فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ) (٢) وظنوا — والله أعلم — أن الجزم فى الهاء ، والهاء فى موضع نصب ، وقد انجزم الفعل بسقوط الياء منه ، ومما وهموا فيه قوله (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُون) (٣) حدثنى مَنْدَل بن على الكنزى عن الاعمش قال : كنت عند ابرهيم وطلحة بن مصرّف يقرأ (قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُون) (٤) بنصب اللام من حوله فقال لى ابرهيم : ما تزال تأتينا بحرف أشنع ، إنما هى لمن حولِه بخفض اللام . قال : قلت : لا ، إنما هى حولَه ، فقال ابرهيم : ياطلحة ، كيف تقول ؟ قال : كما قلت . قال الأعمش قلت : لَحَنْتُما ، لا أجالسكما اليوم . قال القراء : وقد سمعت بعض العرب ينشد :

قَالَ لَهَا : هَلْ لَكِ يَا تَافِىّ قَالَتْ لَهُ : مَا أَنْتَ بِالمَرْضِىّ

---

(١) الاية ٦ من سورة الكافرون .
(٢) الاية ١٥ من سورة النساء .
(٣) الاية ٢١٠ من سورة الشعراء .
(٤) الاية ٢٥ من سورة الشعراء .

فخفض الياء من في — فان يك ذلك صحيحا فهو مما يلتقى من الساكنين فيخفض الآخر منهما ، وان كان له أصل في الفتح ، ألا ترى أنهم يقولون لم أرَه مُذُ اليوم ومُذْ اليوم ، والرفع في الذال هو الوجه لأنه أصل حركة مذ والخفض جائز ، وكذلك الياء في مصرخي خفضت ولها أصل في النصب انتهى كلام الفراء .

وأما الزجاج فقد قال (في تفسيره) : قرأ حمزة والأعمش (بمصرخي بكسر الياء ، وهذه عند النحويين رديئة مرذولة ، ولا وجه لها الا وُجَيْهٌ ضعيف ذكره بعض النحويين وذلك أن ياء الاضافة اذا لم يكن قبلها ساكن حركت الى الفتح ، ويجوز اسكان الياء لثقل الياء التي قبلها كسرة فاذا كان قبل الياء ساكن حركت الى الفتح لا غير ، ومن أجاز بمصرخي بالكسر لزمه أن يقول (هَذَهِ عَصَايِ أَتَوَكَّأُ عليهَا) (١) وأجاز القرّاء على وجه ضعيف الكسر لأن أصل التقاء الساكنين الكسر وأنشد :

قال لها : هَلْ لَكِ يَا تَافِيَّ الخ

وهذا الشعر مما لا يلتفت اليه ، وهل مثل هذا أسهل ، وليس يعرف قائل هذا الشعر من العرب ، ولا هو مما يحتج به في كتاب الله تعالى . انتهى كلام الزَّجَّاج " . (٢)

ثالث عشر : في مجال المعارف العامة :

في معرض الكلام عن الشاهد وشرحه قد يعرض للبغدادي عارض يجد أنه من الأنفع للدارس أن يلم به ، أو يتحتم على الباحث أن يحيط به علما ، على الرغم من أن هذا العارض قد يتصل بالشاهد أو قصيدته

---

(١) الاية ١٨ من سورة طه .

(٢) للتخريج ، وهو طويلة تزيد على الصفحات الثلاثة آثرت الاكتفاء بما أثبت ومن شاء الاستزادة فليرجع الى الخزانة ٢ : ٢٥٩ وما بعدها (بولاق) .

أو قائله بسبب وقد لا يمت إليهم بصلة ، ولكن البغدادى فى كلتا الحالين يؤثر أن يطرحه بين يدى هؤلاء حتى يزدادوا به معرفة أو يضيفوا به إلى مداركهم معلومات جديدة ، وربما كان أى منهما فى حاجة ماسة اليه فيجد فيه ضالته المنشودة ومثال ذلك ما أورده فى الشاهد السابع والعشرين بعد المائتين عمن سموا بمحمد فى الجاهلية . (١)

أ ـ أسواق العرب :

كذلك ما أورده فى نهاية الكلام عن الشاهد السابع والعشرين بعد الثلاثمائة عن أسواق العرب تحت عنوان (تتمة) (٢) حيث يقول : " قال ابن حجر فى شرح البخارى : أسواق العرب فى الجاهلية أربعة : ذو المَجَاز وعُكَاظ ، ومِجَنَّة ، وحُبَاشَة . أما ذو المجاز فقد تقدم نقله عنه . (٣)

وأما عُكاظ بضم أوله فمن ابن إسحق : انها فيما بين نخلة والطائف الى بلد يقال لها الفُتُق بضم الفاء والمثناه بعدها قاف . وعن ابن الكلبى : كانت بأسفل مكة على بريد منها غربى البيضاء وكانت لكنانة .

وأما حُبَاشَة بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة وبعد الألف شين معجمه ، فكانت فى ديار بَارِق نحو قَنُونَا بفتح القاف وبضم النون الخفيفة وبعد النون ألف مقصورة ، من مكة إلى جهة اليمن على ست مراحل . وقد ذكر فى الحديث الثلاث الأُوَلُ ، وإنما لم تذكر حباشة فى الحديث لأنها لم تكن من مواسم الحج ، وإنما كانت تقام فى شهر رجب . قال الفاكهى :

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٤ بولاق .
(٢) الخزانة ٢ : ٢٧٤ بولاق .
(٣) سبق أن نقل البغدادى كلام ابن حجر عن ذى المجاز ٢ : ٢٧٣ بولاق .

ولم تزل هذه الأسواق قائمة فى الإسلام إلى أن كان أول ما ترك منها سوق حباشة فى زمن داود بن عيسى بن موسى العباسى فى سنة سبع وتسعين ومائه • ثم أسند عن ابن الكلبى : أن كل شريف إنما كان يأتى سوق بلده إلا سوق عكاظ ، فإنهم كانوا يتوافون بها من كل جهة ، وكانت أعظم تلك الأسواق ، وقد ورد ذكرها فى أحاديث • منها حديث ابن عباس رضى الله عنهما : " انطلق النبى صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ " الحديث فى قصة الجن • وروى الزبير بن بكار (فى كتاب النسب) أنها كانت تقام صبيح هلال ذى القعدة إلى أن يمضى عشرون يوما • قال : ثم تقوم سوق مَجَنَّة عشرة أيام إلى هلال ذى الحجة • ثم تقوم سوق ذى المجاز ثمانية أيام ، ثم يتوجهون إلى مِنَى بالحج • وفى حديث جابر : " ان النبى صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم فى الموسم بمجنة وعكاظ يبلغ رسالات ربه " • انتهى ما أورده ابن حجر • (١)

وفيه : أن أسواق العرب أكثر من هذا ، جمعها صاحب قبائل العرب قال : (دومة الجندل) كانت تقام أول يوم من ربيع الأول إلى النصف منه ، وكانت المبايعة فيه إلقاء الحجارة على السلعة فمَن أعجبَتْه ألقى حجرا ، فتُرِكَت له • و(المُشَقَّر) تقام من أول يوم من جمادى الآخرة • وكان بيعهم بالملامسة والإيماء والهمهمة خوف الحلف والكذب • ثم (هُمار) بضم الهاء المهملة تقوم لعشر يمضين من رجب وخمسة أيام • ثم (الشَّحْر) بالكسر يقوم فى النصف من شعبان ، وكان بيعهم فيه بالحجارة أيضا • ثم (صنعاء) فى النصف من شهر رمضان إلى آخره • ثم سوق (حضرموت) فى النصف من ذى القعدة • ثم سوق (عكاظ) فى هذا اليوم بأعلى نجد قريب من عرفات ، وعكاظ من أعظم أسواق العرب ، وكان يأتيها قريش وهوازن

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٧٤ ، ٢٧٥ بولاق •

وقطنان وسليم والأحابيش وعقيل والمصطلق ، وطوائف العرب إلى آخـــر ذى القعدة ، فإن أحل ذو الحجة أتوا (ذا المجاز) — وهو قريب مـــن عكاظ — ثم يسوقه إلى الثروية ، ثم يصيرون الى مِنىً ، وتقوم سوق (نطاه) بخيبر وسوق (حَجْر) بفتح المهملة وسكون الجيم يوم عاشوراء إلى آخـــر المحرم . هذا ما أورده صاحب قبائل العرب . (١)

هذا — إلى الكثير الوافر من المعارف النفيسة التى يذخر بها كتـاب الخزانة والذى لم أشأ أن أعمد إلى حشده فى هذا البحث خشية الإطالـــة والاستطراد .

ب — جَمَراتُ العـــرب :

وعن جَمَراتِ العرب يقول البغدادى فى معرض شرح الشاهد الرابع (٢) " واعلم أن جمرات العرب ثلاثة : وهم بنو نمير بن عامر بن صعصعة ، وبنـــو الحارث بن كعب ، وبنو ضبية ابن أُدّ . فطفئت جمرتان وهما بنو ضبيه " لأنها حالفت الرباب ، وبنو الحارث بن كعب لأنها حالفت مِذْحِجًا ، وبقيت نمير لـم تحالف فهى على كثرتها ومنعتها ، وكان الرجل منهم إذا قيل له : مَـــنْ أنت ؟ قال : نمير ، إدلالاً بنسبه ، وافتخارا بمنصبه ، حتى قال جريـــر :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّك مِنْ نمير ... البيت

وكعب وكلاب إبنا ربيعة بن صعصعة . والتجمير فى كلام العرب التجميع ، وإنما سموا بذلك لأنهم متوافرون فى أنفسهم لم يَدْخِلوا معهم غيرَهم . وفـــى القاموس : الجَمْرة : النار المتقدة ، وألف فارس ، والقبيلة لا تنضم إلى أحد ،

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٧٥ بولاق
(٢) الخزانة ١ : ٢٦ بولاق .

أو التى فيها ثلاثمائه فارس • وجمرات العرب : بنو ضَبَّة بن أُدّ ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو دِيزن بن عامر ، أو عَيْس ، وضبة والحارث لأن أمّهم رأت فى المنام أنها خرج من فرجها ثلاث جمرات ، فتزوجها كعب بن المدان فولدت له الحارث • وهم أشراف اليمن • ثم تزوجها بَغِيضُ بن رَيْث فولدت له عَبْساً ، وهم فرسان العرب • ثم تزوجها أُدّ فولدت له ضَبَّة • فجمرتان من مُضَر ، وجمرة من اليمن •

جـ ـ الأماكن والدِّيار :

وقد أورد البغدادى فى خزانته الكثرة الوافرة من ذكر الأماكن والدِّيار ويُجتزئ فى ذلك بما أورده فى صدر شرح الشاهد السابع والعشرين بعد الثلاثمائه حيث يقول : (١) " و (ذو النُّجَيل) فى رواية ثعلب بضم النون وفتح الجيم ، كذا رأيته مضبوطا (فى نسخة صحيحة قديمة من أمالى سيه عليها خطوط الأئمة) • قال ابن الأثير (فى المَرَصّع) : ذو النجيل بضم النون وفتح الجيم : موضع من أعراض المدينة وَيَنْبُع • أهـ • وروى أيضا : (ذو النُّخَيل) بضم النون وفتح الخاء المعجمة وهو مناسب أيضا ، قال ابن الأثير (فى المَرَصّع) : هو عين قرب المدينة ، وأخرى قرب مكه ، وموضع دَوْمَن وحضرموت ، وكلا هذين اللفظين غير موجود فى معجم ما استعجم للمُكبّرى " •

ويقول البغدادى أيضا : (٢) و " ذو بَقَر " بفتح الموحدة والثانى قرية فى ديار بنى أسد وقال أبو حاتم عن الأصمعى : هو قاع يَقْرِى الماء ، وقال يعقوب : هو واو فوق الرَّيْذة • إنتهى •

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٧٣ بولاق •
(٢) الخزانة ٢ : ٢٧٤ بولاق •

هذا — إلى الجم الغفير من النفائس القوائد ، والكم الوفير من الدرر الفرائد التى ذخر بها السِّفر الجليل ، حتى إنه ليعتبر كل ما أثبته فى هذا البحث مما حواه الخزانة — على وفرته — طَرَفًا من الطُّرَف ، وإن شئت فقل هو شَذْرَة فى عِقْدِ نَحْرٍ ونقطة فى ماءِ نَهْر ، مما جعل كتاب الخزانة مرجعا شاملا ، وثبتا كاملا لشتى المعارف والمدارك ، ومُعِينا وهاديا لكل من أراد الخوض فى بحر العربية اللَّجِّىّ على بصيرة من أمره وهَدْىٍ مما ألفه المؤلفون وصنفه المصنفون وهذا هو المولى محمد المحبى يقول فى الخزانة (شرح شواهد شرح الكافية) : " وألف المؤلفات الفائقة منها شرح شواهد شرح الكافية للرضى الاستراباذى فى ثمانى مجلدات ، جمع فيها علوم الأدب واللغة بأسرها إلا القليل ، ملكته بالروم وانتفعت به ، ونقلت منه فى مجاميع لِي نفائسَ أبحاثٍ يعِزّ وجودها فى غيره " . (١)

---

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٢ .

" الخاتمـــــة "

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانـــا محمد ، إمام المرسلين ، وقائد الغر المحجلين وعلى آله وصحبـــــه أجمعين .

وبعـ ... فإنى عندما عقدت العزم ، وشحذت الهمة على التقدم برسالتى هذه للحصول على درجة الماجستير فى النحو العربى ، حاولت جاهدا أن أكون عند حسن ظن أساتذتى الأفاضل الذين قبلوا مشكوريـــن أن يتصدوا لمناقشتها راضين ، وأن أكون موضع ثقة الباحثين والدارسيـــن فربما وجدوا فيما قمت به ما يغنيهم عن طول بحث ومواصلة تنقيب بغيـــة التوصل إلى مراجع قد تكون تناولتها يد السِلَى أو عبثت بها أحـــداث الزمان . ولذا فقد اخترت 'عالِما مَبَرِّزاً ، أوقف حياته لخدمة اللغـــــة العربية والذود عنها حتى أصبح يحتل مكانة فى مَصَافِ الرواد الأوائـــل الذين يسير الناس على نهجهم ويقتفون أثرهم ويهتدون بهديهـــــم ، ألاَ وهو العالِم العَامِل عبد القادر بن عمر البغدادى صاحب " خزانـــة الأدب ولُبّ لُبَابِ لِسَانِ العرب " .

ويرجع السبب فى اختيارى عبد القادر البغدادى ليكون موضوعـــا لدراستى هذه إلى ما لاحظته من ندرة المصنفات التى عنيت بترجمتـــه ، وقلة المؤلفات التى تصدت للحديث عنه على ما بذله فى مجال النحـــو واللغة من جهود صادقه ، وما أسهم به فى سبيل الحفاظ على تماســـك لغة الضاد وثباتِها أمامَ التياراتِ المعاديةِ شامخةً صامدةً ، هذا - إذا استثنينا من تلك المصنفات كتابَ " خلاصةُ الأثرِ فى أعيانِ القرنِ الحادِىَ عشرَ "

للمحبى ، حيث كان هو المنبع الذى اقتُبِسَت منه كلّ محاولة لترجمة البغدادى بعد ذلك ، التى جاءت كلُّها ترجماتٍ مقتضبةٍ لا تفى بما للعالِم الجليل من قدر ومكانة ولا تشفى غليلَ الباحثِ أو تَرْوِي صدَى الدارسِ .

ولذا فقد استخرت الله جل قدره وعز شأنه فى أن أتخذ من عبد القادر البغدادى مادةً لدراستى هذه ، وأجعلَ من جهوده فى دراسة النحو واللغة محْورا يدور حوله بحثى هذا المتواضع ، إنصافا لما قدمه من أيادٍ بيضاء لرفعة شأن العربية وعلومها ، وما بذله من جهود مشكورة فى سبيل الحفاظ عليها . وما تنكبه من مشاق بغيةَ الذود عن حياضها ضد عبثِ العابثين ، وردِّ كيدِ الكائدين لها إلى نحورهم خاسرين .

وفى سبيل إنجاز ما أخذت نفسى به من إنصاف لعالِمنا ، وإبرازٍ لما تركه على وجه لغة القرآن من بصماتٍ فى عهد بها فيه نور الفكر ، وعَزَّ فيه من يتصدى للدفاع عن وجه الحق ، جعلت دراستى هذه فى أبواب ثلاثة ، يشتمل كل باب منها على فصلين ، فتناولت فى الفصل الأول من الباب الأول العصر الذى نشأ البغدادى بين ظهرانية ، وما اكتنف ذلك العصر من حياة سياسية حافلة بالتطاحن والصدام بين الدولة الصفوية الشيعية والدولة العثمانية السنية الذى انتهى فيه الأمر الى استخلاص العثمانيين للعراق من بين براثن الصفويين الفرس ، ثم تَنَيَّتْ بالحديث عن الحالة الاقتصادية التى سادت هذا العصر ، وما انتاب الاقتصاد فيها من كسادٍ وتدهور نتيجة لهذا الصدام الدامى والدائم بين الدولتين ، ثم ما كان لهذه الحالة الاقتصادية المتدهورة من آثار سيئة على الحياة الاجتماعية التى كان الفرد فيها لا يأمن على نفسه ولا عرضه ولا ماله ، وكيف ترسبت كل سوءات هذه الحالات من سياسية واقتصادية واجتماعية على وجه الحالة العلمية والفكرية التى أصبحت تضرب

بسهم نافذ إلى التأخر والانحدار نظرا لأن كل الجهود قد تضافرت على النيل من العلماء ، وعزل المفكرين عن الحياة العامة ، والقضاء على كل ضوء ينزع إلى الخلق والإبداع فى مهده ، حتى أنه قل أن يبرز فى العصر التركى عالم أو أديب ، اللهم إلا عدد لا يمد وأصابع اليد الواحدة ممن كانوا على صلة بما سبق العصر التركى من عصور التقدم والتحضر أمثال شهاب الدين الخفاجى والزبيدى والصبان والجبرتى ، كما اقتصر التأليف فى ذلك العصر على الشروح والتعليقات وكتابة الحواشى على مؤلفات السابقين ، ثم أعقبت ذلك بالحديث عن الحياة الدينية فى العصر المملوكى والتركى ، وأوضحت أن كلا من المماليك والأتراك كانوا يتخذون من الحياة الدينية وتأكيدها فى نفوس الشعب سندا ودعامة يعتمدون عليها فى إحكام قبضتهم على رقاب الناس حتى يضمنوا ولاءهم وخضوعهم لإرادتهم . وتدرجت فى الحديث بعد ذلك فتناولت ترجمة للبغدادى تضمنت نشأته وسط هذا الخضم المتدفق من الاضطرابات وفقدان الأمن ، وكيف أنه اتخذ من تطاحن الدولتين الفارسية والتركية فى بغداد فرصة سانحة لتنمية مداركه العلمية ، فاستفاد من وجودها فى تعلم لغتيهما وحذق آدابهما ، مما أعانه بعد ذلك على استيعاب كل ما وقعت عليه يده من مؤلفات فارسية أو مصنفات تركية حتى أصبح يغشى مجالات اللغات الثلاث — العربية والفارسية والتركية — على ثقة من العلم وبينة من الأمر ، وأصدق الأمثلة على ذلك تعريبه لرحلة الشاهدى من اللغة التركية ، وكذا شرحه بالتركية على شهنامة الفردوس. وفى ترجمة البغدادى هذه صاحبته فى رحلة القليل وترحاله الكثير بين مصر والشام وبلاد الروم ، وأوضحت كيف أنه كان محل حظوة الولاة وتقدير السلاطين وفى غاية من إقبال الكبراء عليه ، كما أبرزت مكانة البغدادى العلمية ، وكيف أن أستاذه شهاب الدين الخفاجى — على تبحره فى العلوم

ورسوخ قدمه فى المعرفة ـ كان يراجعه فى المسائل المشكلة لمعرفة مظانها ويمهد إليه بنقل الغريب من اللغة ، وبينت أيضا مدى تقدير البغدادى لشيوخه واعترافه بفضلهم عليه ، حتى أنه حينما يصادف قولا لأحد اساتذته لم يُصِب فيه وجه الصواب أو جانَبَ الحقيقة يتلمس له الأعذار ويعتذر عنه جاعدا مظنة الخطأ ، كما ضَمَّنت هذه الترجمة أن البغدادى ـ على تبحره فى الآداب ومعرفته بالشعر ـ لم يكن شاعرا ، ولم يؤثر عنه أن تصدى لقرض الشعر يوما ما ، سوى أربعة أبيات تفرد الشبلى بذكرها عند ترجمته للبغدادى فى كتابه " الجواهر والدرر " إلا أن نسبتها للبغدادى موضع شك المحققين ومحل ريبة المحققين ، ثم ثبت بعد ذلك ثبتا لشيوخ البغدادى ابتداء من محمد بن كمال الدين الحسينى فى الشام وانتهاء بسرى الدين الدرورى فى مصر وأردفت كلا منهم بترجمة وافية معتمدا فيها على أوثق المصادر وأشهر المراجع ، كما أوردت ذكرا لتلاميذ البغدادى الذين وإن لم يجتمعوا لديه فى حلقة درس فقد اجتمعوا على مؤلفاته ومصنفاته شرحا أو تحقيقا أو دراسة .

ثم أتيت إلى الفصل الثانى ، فسقت ثبتا بمؤلفات البغدادى الأحد عشر ، وأتبعت كلا منها بتعريف موجز مرجئا الحديث عنه إلى الفصل الثانى من الباب الثانى حيث أتناوله بدراسة مستفيضة موضحا أسلوب البغدادى فى تأليفه .

ثم تطرقت بعد ذلك إلى الباب الثانى من دراستى هذه ، فأفردت الفصل الأول منه للحديث عن كتاب البغدادى المسمى " خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب " وهو شرح لشواهد شرح الرضى الاستراباذى على كافية ابن الحاجب . وما دعانى لأن أفرد له ذلك الفصل بومت إلا لأنه المصنف الذى خلّد اسم البغدادى وحمله على جناح الشهرة إلى شتى الأمصار ومختلِف البِقاع ، وقد تناولت فى حديثى عن خزانة الأدب تاريخ

تأليفه حيث بدأه المؤلف فى غرة شعبان من سنة ثلاث وسبعين وألف وأتمه فى ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين بعد الألف الهجرى ، وكان حينئذ فى ثمانى مجلدات .. كما ذكر المحبى فى خلاصة الأثر — ثم تكلمت بعد ذلك عن مخطوطات الخزانة ، فأفردت قولا عن مخطوطة الشنقيطى المنقوله من نسخة المؤلف الأصيلة والتى تم نسخها بالمدينة المنورة ، ثم تحدثت بعد ذلك عن طبعات الكتاب الأربعة ، فأثبت أن أولاهما قد تم بمعرفة مطبعة بولاق عام ألف ومائتين وتسع وتسعين هجريه ووقعت فى مجلدات أربعة عليها حاشية هى كتاب المقاصد النحوية فى شرح شواهد شرح الألفية للعينى ، وأما ثانيتهما فتمت بمعرفة المطبعة السلفية بالقاهرة فى المدة من سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائه وألف إلى العام الحادى والخمسين بعد المائة الثالثة عشرة من الهجرة النبوية بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون الأستاذ السابق بكلية دار العلوم وهى طبعة ناقصة تستوعب نحو ثلثى طبعة بولاق وإن كانت تسير على نفس متوالها وترتيبها . وثالثة الطبعات تمت على نفقة دار المصور للطبع والنشر بالقاهرة سنة سبع وأربعين وثلاثمائه وألف هجريه بإشراف الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد الأستاذ السابق بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، وهذه الطبعة أيضا ناقصة وقعت فى جزأين استوعبا المجلد الأول من طبعة بولاق ، وأما الطبعة الأخيرة فقد قامت باخراجها دار الكاتب العربى بالقاهرة ضمن سلسلة " تراثنا " سنة ألف وثلاثمائه وسبع وثمانين هجرية بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، وقد صدر منها حتى الآن أربعة أجزاء فقط ، ويطمع سيادته أن يتمكن من إكمال هذا المصنف الجليل بعون الله تعالى .

ثم دخلت بعد ذلك الى الفصل الثانى ، فتناولت فيه مؤلفات البغدادى الأحد عشر بالدراسة ثم أوضحت طريقته فى تأليف كل منها ، ومنهجه فى تصنيفه وكنت كلما فرغت من الحديث عن أى من هذه المؤلفات سقت مثالا تطبيقيا مما ورد به يوضح ما استنه البغدادى لنفسه فى تأليفه وما أخذ به نفسه فى تصنيفه ، كما ذكرت فى نهاية الحديث عن كل مصنف الأماكن المحفوظ بها حتى يمكن الرجوع إليه عند اقتضاء الأمر ذلك .

واعترافا منى بواجب التلمذة ، وعملا بما تستوجبه الأمانة العلمية ، أقرر أنه قد صادفتنى فى هذا الصدد عقبتان كئودان كادتا أن تقفا حائلا دون إخراج هذه الدراسة على الوجه المرضى الذى حددته لها منذ البدء فى تحريرها وتصويرها ، وأولى العقبتين هى ما ذكره الأستاذ عمر رضا كحالة فى كتابه معجم المؤلفين من أن عبد القادر البغدادى قد صنف مختصرا على كتاب " تمام المتون إلى شرح رسالة ابن زيدون " للعلامة الصَّفَدِى ، ومع استدامة البحث ومواصلة التنقيب لم أعثر لمختصر البغدادى هذا على أثر فى أى من مكتبات القاهرة مما حال دون معالجتى إياه المعالجة اللائقة والمَرْضِيَّة . وأما ثانية العقبتين فهى ما ذكره البغدادى نفسه فى معرض شرح الشاهد الثامن والسبعين بعد المائة من شواهد الخزانة من أنه ألف فى شبيبته شرحا على مقصورة ابن دريد ، كما ذكر ذلك أيضا عند شرحه لآخر شواهد شرح الكافية ، ولكنى قد أعيانى البحث وأعنانى التفتيش دون الوصول الى ذلك الشرح ، كما لم أجد لدى كل من تصدى من العلماء لترجمة البغدادى ما يعين على التوصل اليه ، حيث لم يرد عند ترجمته فى خلاصة الأثر ، ولا فى مجلة الزهراء (شوال سنة ١٣٤٧) ولا فى الترجمة التى أثبتها الأستاذ عبد السلام هارون بصدر النسخة التى قام بتحقيقها للخزانة والتى عنيت بطبعها ونشرها دار الكاتب العربى سوى الإشارة إلى ما ذكره البغدادى نفسه فى معرض شرح الشاهد الثامن والسبعين بعد المائة

المنوه عنه آنفا بشأن شرحه على المقصورة الدريدية •

وإنى اذا اعترف لأساتذتى الأجلاء بعجزى عن التوصل إلى هذين المصنفين وعن التغلب على هاتين العقبتين ، ليحدونى الأمل فى أن أجد لديهم من التوجيه والإرشاد ما ينير لى الطريق ويحط عن طريقى هاتين العقبتين للتوصل إلى هذين المؤلفين حتى أقدم دراستى هـــذه للباحثين والدارسين على وجه مرضى ومقبول •

وبعد أن فرغت من دراسة مؤلفات عالمنا البغدادى •• نحويا ولغويا — وبيان طريقة تأليفه لكل منها ، تطرقت إلى الحديث عن الشواهد المتمثلة فى كتابه " خزانة الأدب " فقسمتها الى صنفين : أولهمـــا : الشواهد النثرية ، وهى تلك المأخوذة من القرآن الكريم وكلام العـرب الممثلين للطبقات الثلاث الأولى من طبقات الشعراء ، وأوضحت أن النحاة القدامى قد أجمعوا على الاستشهاد بما ورد عن هذين المصدريـــن ولم يطعن أحد هم فى ذلك ، وأما الاستشهاد بحديث رسول الله صلـى الله عليه وسلم فقد أثبت أن طائفة من النحاة قد منعت الاستشهاد بـــه لجواز رواية الحديث بالمعنى ، ويمثل هذه الطائفة ابن الضائـــع وأبو حيان ، بينما جوز الاستشهاد به آخرون بناء على أن الأصل فى نقـل الحديث النبوى عدم التبديل لا سيما والتشديد فى الضبط والتحـــرى فى نقل الأحاديث شائع بين النقلة والمحدثين ، ويمثل هذه الفئة الثانية ابن خروف وابن مالك والبدر الدماميني ، وقد اقتفى أثر هؤلاء وسار علـى رأيهم العلامة الرضى الاستراباذى فى شرحه لكافية ابن الحاجب وشافيته ، بل وتوسع فى ذلك حتى أنه كان يستشهد بكلام على بن أبى طالب وغيـــره من أهل البيت النبوى إثباتا لقاعدة نحوية أو استئناسا به فى مناسبـات معنوية ، وقد سقت لذلك بعض الأمثلة فى موضعه على سبيل التمثيـــل لا الحصر • وقد توسط فريق ثالث من النحاة فى جواز الاستشهاد بحديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يسلك سبيل المنع على إطلاقه ، ولم يقل بالجواز على إطلاقه أيضا ، وقد بَسَطْتُ القول فى ذلك فى موضعه من دراستى هذه بما لا يدع مجالا لتكراره أو الاستطراد فيه ، ويمثل هذا الفريق الثالث العلامة الشاطبى والعلامة السيوطى .

أما الصنف الثانى فهو الشواهد الشعرية ، وقد أوضحت حين الحديث عنه أن النحاة قد اتفقوا على تقسيم الشعراء إلى طبقات أربع : جاهليون ، ومخضرمون ، وإسلاميون ، ومُحْدَثون ويسمونهم " المُوَلَّدُون " وأن الطبقتين الأُولَيَيْن يستشهد بشعرهما إجماعا ، وأما الثالثة فالصحيح الاستشهاد بكلامها ، وأما الطبقة الرابعة وهم المُحْدَثون فلا يصح الاستشهاد بكلامها ، وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم ، وقد انتهج الرضى الاستراباذى نهج جمهرة النحاة فى شرحه على الكافية والشافية حيث رأى فى أغلب الأحيان عدم الاستشهاد بشعر المحدثين بينما انتحى نحو الزمخشرى فى أحيان قليلة حيث كان يستشهد بشعر أبى تمام وهو مُحْدَث اذ كان الزمخشرى يستشهد بشعره فى تفسيره المعروف بالكَشَّاف ، وقد ورد ذلك فى تفسيره لسورة البقرة على وجه التحديد ، وقد فَصَّلْتُ القول فيما اعتمد عليه الزمخشرى فى استشهاده بشعر أبى تمام فى حينه مما يُضْفِينِ من الخوض فى موضوع قد يعتبر الحديث فيه معادًا مكرورًا .

وأحب أن أنوه لأساتذتى الأفاضل وأنا بصدد الحديث عن الشواهد المتمثلة فى خزانة الأدب أننى بعد دراسة مستوعبة لهذا المُصنف الجليل واستقراء مستفيض لشواهده ، قد اكتشفت أن عدة ما حواه من الشواهد تسعمائة وخمسةٌ وخمسون شاهدًا وليس تسعمائة وسبعةٌ وخمسين ، وذلك خلافا لما اتفقت عليه الروايات ، وما أجمع عليه شراح الخزانة ومحققوه جميعهم حيث لم يتنبه أحد منهم إلى ذلك ،

إذ ربما كان كل اهتمامهم منصرفا إلى شرح الشواهد وتحقيقها دون العناية بعدتها وما وقع فيها من لبس أو سهو ، وقد [illegible] على ما ذهبت إليه بدلالات أربع أثبتها فى موضعها من هذه الدراسة ، وأهيب بمن يتصدى لشرح الخزانة أو تحقيقه من السادة العلماء المعنيين بالبحث والدراسة فى العربية وعلومها أن يفطنوا إلى هذا الأمر وأن يولوه قدرًا من اهتمامهم ابتغاء وجه الحق وتحريا للأمانة العلمية بما يتفق ومكانة هذا السفر الجليل .

ثم أعقبت الحديث عن شواهد الخزانة بالحديث عن شواهد سيبويه المتمثلة فى كتابه وسرت فى معالجة الثانية على نفس النهج الذى عالجت به الأولى ، وأوضحت أن سيبويه لم يَرَ الاستشهاد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لإثبات قاعدة نحوية أو صوفية أو حتى لمجرد إيضاح مسألة معنوية حيث كان يرى عدم الثقة فى نقل الحديث بلفظه الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم نظرا لتصريح العلماء بجواز رواية الحديث النبوى بالمعنى ، بينما كان يرى الاستشهاد بكلام العرب وأمثالهم السائرة التى كان يسمعها من العلماء الذين أخذ عنهم أو التى كان يأخذها مشافهة من العرب ، فضلا عن استشهاده المطلق بما ورد فى القرآن الكريم وكلام الطبقات الثلاث الأُوَل من الشعراء دون المُحْدَثِين الذين يمثلون الطبقة الرابعة ، كما تعرضت فى ذلك لأسلوب كتاب سيبويه موردا رأى العلماء فيه أمثال الشيخ محمد الطنطاوى والدكتور أحمد أحمد بدوى .

ثم تحدثت بعد ذلك عن صلة شواهد الخزانة بشواهد سيبويه فى كتابه وأوضحت أن العلاقة وطيدة والصلة أكيدة بين ما حواه كِلَا المُصَنَّفَيْن من شواهد إذ بلغ ما ورد بخزانة الأدب من شواهد كتاب سيبويه ثلاثمائة وثلاثةً وعشرين شاهدًا ، فضلا عن اثنين وثلاثين بيتا من

أبيات سيبويه الخمسين المجهولة القائل •

وما أن أتممت الكلام عن شواهد الخزانة وشواهد كتاب سيبويه والصلة بينهما ، حتى أتيت إلى الباب الثالث من دراستى هذه ،فقصرت الفصل الأول منه على الحديث عن أمور ثلاثة :

أولها : مذهب البغدادى النحوى ، وأعنى بذلك إلى أى المدرستين كان ينتمى ، إلى مدرسة البصرة أم إلى مدرسة الكوفه ، وقد أثبتُّ فى حديثى هذا بما لا يدع مجالا لشك أو ريبه ـ وعلى تفرد فى هذا الأمر حيث لم يتقدمنى أحد من الباحثين إلى ذلك ـ أن عبد القادر بن عمر البغدادى كان ينتمى إلى مدرسة البَصْرة النحوية ، وقد سقت لذلك غير دليل واحد ، فعلى الرغم من أنه يقف من علماء البصريين والكوفيين موقف المنصف على سواء بينهما عند تناوله لآرائهم فى ثنايا شرحه للشواهد إلا أنه كانت تظهر فى بعض المواضع نزعته البصرية وان لم يشأ أن يبرزها صراحة بل كان ذلك يأتى رغمًا عنه بما يتضح معه أنه وان كان يقف موقف النصفة من كلا المدرستين إلا أن ميلهُ وصفوه مع البصريين علاوة على أن شيوخَه جميعَهم يضربون بسهم نافذ إلى المدرسة البصرية ، وقد أسهبت القول فى هذا الصدد فى موضعه من دراستى هذه فمَن شاء الاستزادة والإيضاح فعليه بما سطرت آنفا فربما وجد فيه غناءً أىَّ غناء • وحيث أن ما توصلت إليه بجَهْدى لم يقل به أحد من السادة العلماء الذين عنوا بترجمة البغدادى أو الذين عكفوا على شرح مصنفاته أو تحقيقها ، فإنى أضع هذه الحقيقة بين يدى من يتصدى بعد ذلك لدراسة مؤلفات البغدادى أو شرحها أو تحقيقها حتى يكون على بينه من أمره ، حيث أن ما أخذ به البغدادى نفسه من الحيدة ومراعاة الأمانة العلمية فى عرض آراء علماء المدرستين على سواء إنما يحيط مذهبه النحوى الذى يعتنقه ويدين بالولاء لمبادئه بشىء من الغموض قد يحتاج إلى امعان نظر وإعمال فكر حتى تستبين نزعته ويعلم ولاؤه وصفوه •

وأما الأمر الثانى مما خصصت به هذا الفصل فهو منهج البغدادى النحوى ، وأعنى بذلك الآراء التى ضمنها البغدادى خزانته فى الأغلب الأعم ، وقد تحدثت فى ذلك عما استنه البغدادى لنفسه وسار عليه محافظا وملازما — فى شرحه للشواهد ، مراعيا الدقة العلمية فى عرضه للحقائق ، متخذا العيدة شعارًا له فى إثبات آراء العلماء ثم التعقيب عليها بما يراه متمشيا مع الحقيقة ملازما لجادة الصواب وقد أثبتُّ فى هذا الصدد بعض آراء البغدادى التى كان يسوقها عندما يضطر إلى التدخل برأيه لحسم خلاف ينشب بين العلماء حول قاعدة نحوية أو صرفية ، أو مسألة معنوية دون أن يصيب أحدهم وجه الحقيقة أو للوقوف إلى جانب رأى يرى فيه وجه الصواب دون غيره من الآراء ..

ثم ختمت الفصل بالحديث عن الأمر الثالث وهو منهج البغدادى اللغوى ، وأعنى بذلك النهج الذى رسمه لنفسه وأخذها به فى معالجته للمسائل التى تتعلق بفنون العربية جميعها دون فن النحو حيث سبق تناوله فى الأمر الثانى ، وقد عرضت هنا لبعض آراء البغدادى التى وردت فى خزانته غالبا مما يتصل اتصالا مباشرا باللغة وفنونها بعد تجريدها من فن النحو كما أسلفت ، وقد سقت بعض الأمثلة لما كان يذهب إليه البغدادى فى آرائه فى موضعه من هذه الدراسة على سبيل التمثيل لا الحصر ، مُحيلاً الباحثين والدارسين ممن يريدون الاستفادة وكثرة الإفادة إلى كتاب الخزانة فهو معين لا ينضب ومورد لا يُسْبَرُ غَوْرُهُ ولا يُدْرَكُ حَدُّهُ .

والآن آتى إلى الفصل الخاتم من دراستى هذه عن العلامة عبد القادر البغدادى ، وقد قصرته بومته على تناول جهوده فى دراسة النحو واللغة ، تلك الجهود التى بذلها مختارا وعن رضاء تام ، فبدأت هذا الفصل بذكر ما أسهم به فى إثراء المكتبة العربية ، وما شارك به فى

سبيل تدعيم صرحها الشامخ والحفاظ على بقائه متماسكا وطيد الأركان فأضاف إليه من علمه وتبحره فى العلوم لبنات كان أشد ما يكون حاجة إليها فى عصر كانت فيه لغة القرآن هدفا لسهام مسمومة ومؤامرات محمومة من جانب الكائدين لها والمتآمرين عليها بغية النيل منها وإثارة فى عضدها باعتبارها الدعامة القوية وأولى المقومات التى ترتكز عليها القومية العربية والوحدة الوطنية • وقد عنيت فى تناولى لهذه الجهود بما صنفه فى مجال شروح الشواهد ، وأتبعت كل مصنف منها بكلمة موجزة تعرّفه وتوضح أثره فى صقل معارف الباحثين وتنمية مدارك الدارسين ، ثم تناولت فى حديثى ما ألفه البغدادى فى مجال الشروح العامة كشرحه لمقصورة ابن دريد ، وكتابه مختصر تمام المتون إلى شرح رسالة ابن زيدون ، وشرحه باللغة التركية على شهنامة الفردوسى الفارسية المسمى " لغت شاهنامة " ، كما ذكرت ما قدمه فى مجال الحواشى مثل حاشيته على شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام الانصارى ، ثم تناولت ما ألفه فى مجال التصريف كتصريفه لتحفة الشاهدى المنقولة من أصل فارسى وقد سماه المحبى " الجامع بين الفارسى والتركى " ثم نوهت بعد ذلك بما صنفه إنشاء وإبداعا مثل رسالته فى شرح معنى التلميذ ، وهو بحث لغوى حول لفظة (تلميذ) ، ثم ختمت حديثى عن مؤلفات البغدادى بما قدمه للعربية فى مجال التراجم ، فقد ذكر بروكلمان فى نسخته الألمانية أن البغدادى قد ألف كتابا فى التراجم بدون عنوان وأنه موجود بمكتبة عاشر أفندى بالقسطنطينية •

وبعد أن فرغت من تناولت مؤلفات البغدادى ومصنفاته ، تنبيت بالتقوية بالجهد المضنى والعبء الشاق الذى تحمله البغدادى فى سبيل إخراج كتابه " خزانة الادب " على وجه يُرْضِى الباحثين والدارسين والنقاد على سواء حتى خرج بحق كأكبر موسوعة صُنِّفَتْ فى العربية وعلومها •

وقد أشرت فى حديثى عن هذا السفر الجليل إلى ما عالجه فيه البغدادى من فنون العربية وعلومها ، حتى أنه لم يترك منها فنا إلا طرقه ، ولا عِلْماً إلا وبسط القول فيه ، كما أَثْبَتُّ لذلك بعض الأمثلة مما ورد فى الخزانة تأييدًا لما سطرت وتأكيدًا لما أَثْبَتُّ ، ومن الأبواب التى عالجها البغدادى فى خزانته على سبيل التمثيل لا الحصر : فن الصرف فقه اللغة ، لهجات العرب ، تخريج القراءات ، الأدب ، العروض والقافية ، البلاغة العربية ، النقد : التاريخ ، الأمثال العربية ، أيام العرب السيرة النبوية ، المعارف العامة .

وانى اذ أتقدم بهذه الدراسة المتواضعة عن عَلَمٍ من أعلام العربية المبرّزين ، وجندى من جنودها المخلصين الذين تصدوا للدفاع عنها والذود عن حياضها ضد كيد الكائدين وحقد الحاقدين ، عن عبد القادر البغدادى ثم المصرى ـ كما يسميه الأستاذ عمر رضا كحالة فى كتابه معجم المؤلفين ـ إنما أتقدم بها إلى أساتذتى الأفاضل لا لمجرد الحصول على درجة علمية ، وإنما أقصى ما آمله وأطمح إليه ، أن يتفضلوا مهنئين ، وأن يتكرموا مجزولين بتنبيهى إلى ما فرط منى من تقصير ، وما شاب عملى المتواضع هذا من نقص أو خطأ نتيجة الجَهْد المضنى الذى بذلته فيه ، حتى أتداركه على نهج من الصواب ، وعلى هَدْيٍ من توجيههم ، وتوفيق من الله عز شأنه وتجلت مشيئته ، ورحم الله عمر بن الخطاب حيث يقول : " رحم الله امرأً أهدى إلىَّ عيوبى " .

وإنى لأعترف أنه على الرغم مما بذلته فى هذا العمل المتواضع من جَهْد ضَنْنٍ ، وما تحملته فى سبيل إنجازه من عناءٍ شاقٍ ، إلاّ أنه جَهْد المُقِلّ بالنسبة لسعة اطلاع أساتذتى وسرعة حاضرتهم وصفاء قريحتهم .

ولا يسعني في موقفي هذا إلاّ أن اتقدم بالشكر الجزيل والثنـــاء العميم إلى السيد الأستاذ الدكتور عبد الحميد السيد طلب الـــذي أولاني من جُدْيِه وعطفه وتوجيهه الشيء الكثير في سبيل إخراج دراستي هذه على وجه يرضى الله ويرْضَى عنه العاملون في مجال لغتنا الجميلـة ـ لغة القرآن . كما اتقدم بجزيل شكري وتقديري إلى السيد الأستـــاذ عبد السلام محمد هارون والسيد الأستاذ الدكتور ابراهيم نجا .

لتفضلهما بقبول التصدي لمناقشة عملي هذا المتواضع ، والتنبيـــه إلى ما وقع فيه من أوجه النقص والتقصير حتى يخرج للباحثين والدارسين عملاً متكاملاً علّه يتحقق به نفعٌ لو بقسط ولو قليل في صقل معارف شبابنا وتنمية مداركهم .

وفقنا الله وإياكم إلى ما فيه إعلاء شأن لغتنا القومية ، وهدانـــا لما يعود على أمتنا العربية بالنفع ، ويحقق لها العزة والسؤدد ، إنـــه سميع مجيب .

الباحـــــث

فهـــرس الشواهـــد

مرتبة بحسب ترتيب ورودها فى صفحات البحث

شواهد خزانة الادب

رقم الشاهد	الشاهـــــد	رقم الصفحـــة
٤٥	فأتت طلاق ــ والطلاق اليـــــه ــ	
	ثلاثا ، ومن يخرق أعق وأظلـــم	٢٨ ، ٨١
٣٩	نبئت أخوالى بنى يزيـــــــد	
	ظلما علينا لهم فديـــــــد	٣٠ ، ٨٩، ١٦٨
٢٣٣	رأيت الناس ما حاشا قريشـــــا	
	فانا نحن أفضلهم فعـــــالا	٣٠
٤٥	ليبك يزيد ضارع الخصومـــــــة	
	ومختبط مما تطيح الطوائـــــح	٣٠
٢٢٧	فى ليلة لا ترى بها أحـــــــدا	
	يحكى علينا ، الا كواكبهـــــا	٢٩ ، ١٣٥
٢٨٠	(ولا ت ساعة منـــــدم)	٢٩ ، ٣٨
١٣	ألا يا نخلة من ذات عـــــرق	
	عليك ورحمة الله الســـــلام	٦٩ ، ١٠٢
٤٨٠	كأن فصلتهم مراكبهـــــــا	
	د يار بكر ، ولم تخلع ولم تهـــب	٧٤
٩٥٧	فصينا ــ عيناها وجيد ش جيدهـــا	
	سوى أن عظم الساق منن دقيـــق	١٤ ، ٧٤ ، ٧٩
١	يقول الخنا ، وأبغض العجم ناطقـــا	
	الى ربنا صوت الحمار اليجـــدع	٣٤ ، ٧٨ ، ١٢٧

رقم الشاهد	الشاهد	رقم الصفحة
٢١٨	(يا جارة ما أنت جارة)	٧٨ ، ٨٢
٢١٩	ولدة ليس بها طروق	
	ولا خلا الجن بها انيس	٧٨
٤١٨	لعمرى لانت البيت أكرم أهله	
	وأقعد فى أفيائه والأصائل	٧٩
٤٥١	أتوا نارى فقلت منون أنتم	
	فقالوا : الجن ، قلت عموا ظلاما	٧٩
٧٠٩	خرجت على أقذائه فى ثيابه	
	على طرفه من دارة بحسام	٧٩
٧١٠	(تعلم أن بعد الغى رشدا)	
٨١	من صد عن نيرانها	
	فأنا ابن قيس لا براح	٨١
٨٢	هذا سراقة للقرآن يدرسه	
	والمرء عند الرشا ان يلقها ذيب	٨١
١٥٥	أقارع عوف ، لا أحاول غيرها	
	وجوه قرود تبتغى من تجادع	٨١
١٥٦	فكلا أراهم أصبحوا يعقلونه	
	صحيحات مال طالعات بمخرم	٨١
٢٤٦	(وكان طوى كشحا على مستكنه)	٨١
٣٣١	(حتى اذا خرجت من فمه)	٧٦ ، ١٥٠
١٠٣	وان تعتذر بالمحل من ذى ضروعها	
	الى الضيف يجرح فى عراقيبها تصلى	٨٢

رقم الشاهد	الشاهد	رقم الصفحة
١٠٤	(يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام)	٨٢
٢٣٧	(ولم يمنع الشرب منها غير أن نطقت)	٩٢
٥٧	ثلاث كلهن قتلت عمدا	
	فأخزى الله رابعة تعود	٩٨
٩	يحجل فيها مقلو الخجول	
	بفيا على شقية كالمشلول	٩٨
٢٧٣	وما الدهر الا منجونا بأهله	
	وما صاحب الحاجات الا معذبا	١٠٠
٢٠٩	(وصتوت قد قويت تكتمل)	١٥٢
٢٠٧	أنا ابن دارة مشهورا بها نسبي	
	وهل بدارة يا للناس من عار	١٥٢
٢٠٨	أفي الولائم أولادًا لواحدة	
	وفي العبارة أولادًا لسلات	١٥٣
٥٢٨	سبحانه ثم سبحانا نعوذ به	
	وقبلنا سبح الجودي والجمد	١٥٣
٧٠١	متى تأته تعشو الى ضوء ناره	
	تجد حطبا جزلا ونارا تأججا	١٥٣
٧٠٣	دعش فاذهب جانبا	
	يوما ، وأكفف جانبا	١٥٣
٣٠٢	(هل لك ياتافي)	١٦٧
١٦٠	اذا ابن أبي موسى بلالا بلغته	
	فقام بفأس بين وصليك جاوز	١٨٣

رقم الشاهد	الشاهد	رقم الصفحة
٢٨١	الماطفون تحين ما من عاطف	
	والمطممون زمان أين المطعم	١٨٤
٥٦	قد أصبحت أم الخيار تدعى	
	علىّ ذنبا كله لم أصنع	١٨٥
٢٧٤	فأصبحوا قد أعاد الله دولتهم	
	اذ هم قريش واذ ما مثلهم بشر	١٨٥
٢٨٢	طلبوا صلحنا ولات أوان	
	فأجبنا أن ليس حين بقاء	١٨٥
٢٨٤	أفى أثر الاظعان عينك تلمح	
	نعم لات هنا ، ان قلبك متيح	١٨٩
١٧	وما كان حصن ولا حابس	
	يفوقان مرداس فى مجمع	١٩٠
١٤١	(أطرق كرا)	١٩٤
٢	(ولا أرض أبقل ابقالها)	١٩٦ ، ١٩٧
٢٨٣	حنت نوار ولات هنا حنت	
	وبدا الذى كانت نوار أجنت	١٩٨
٥٩	لعمرك ما معن بتارك حقه	
	ولا منسىء معن ولا متيسر	١٩٨
٢٧٢	(إلا أوارى ما ان لا أبينها)	١٩٨
١٨	أرقت الليلة برق بالتهم	
	يالك برقا من يشقه لا يلم	٢١٣
٨٧	أيها المنكح الثريا سهيلا	
	عمرك الله ، كيف يلتقيان	٢٢٠

رقم الشاهد	الشاهد	رقم الصفحة
٣١	وشق له من اسمه ليجلـــه	
	فذو العرش محمود وذاك محمد	٢٢١
١٣٥	(وصاليات ككما يؤثفين .)	٢٢١
٢٦٥	الا سبيل الى خمر فأشربهـــا	
	أم لا سبيل الى نصر بن حجـاج	٢٢٤
٢١٥	فاصدع بأمرك ما عليك غضاضـــة	
	وابشر بذاك وقرّ منه عيونـــا	٢٢٥

شواهد الشافيـــة

	فهو ذا القد رجا الناس الغيـــر	
١	من أمرهم على يديك والنـــذر	
	من آل صفوان واتباع آخـــــر	
	الطاعنين لا يبالون الغمـــر	١٠٧
٤٩	هم الألى إن فاخروا قال الملـــى	
	بخ بخ امرئ فاخركم عقد البهـــى	١٠٧
٢٤٣	هو الجواد الذى يعطيك نائلـــه	
	عفواً ، ويظلم ، احيانا فيظطلـــم	١١٠

شواهد مغنى اللبيب

٣٢١	اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضـــه	
	فكل رداء يرتد به جميـــــل	١١٢
٣٢٢	وكل رفيق كل رحل داه همـــــا	
	كعاطى القنا قوما هما أخـــوان	١١٣

رقم الشاهد	الشاهد	رقم الصفحة
٩٤٦	ان من صاد عقمقا لمثلـــوم	
	كيف من صاد عقمقان من اليـــوم	١١٤

شواهد التحفة الوردية

١	يا صاح ماهاج الدموع الذرفـــن	
	من طلل كالأتحمى اتهتجـــن	١١٩
٢١٢	تقول ابنتى ان انطلاقك واحـــدا	
	الى الروع يوما تاركى لا أباليـــا	١١٩
١٣	فيوم علينا ويوم لنـــا	
	ويوم نَسَاء ويوم نَسَـــر	١٢٠

شواهد شرح قصيدة "بانت سعاد"

	بانت سعاد فقلبى اليوم متبـــول	
	متيم إثرها لم يفد مكبـــول	١٢٥
	بأيدى رجال لم يشيموا سيوفهـــم	
	ولم تكثر القتلى بها حين سلـــت	١٢٥
	لكنها خلت قد سيط من دمهـــا	
	فجمع ، وولع ، واخلاف ، وتبديـــل	١٢٥
	ولو أنا على حجر ذبحنـــا	
	جرى الدميان بالخبر اليقـــين	١٢٥
	ان سليمى والله يكلؤهـــا	
	ضنت بشئ ما كان يرزؤهـــا	١٢٧

شواهد (رسالة فى معنى " تلميذ ")

الشاهـــــد	رقم الصفحـــة
فالماء يجلو متونهن كمـــــا	
يجلو التلاميذ لوحا قشيبـــا	١٣٦
والأرض صقلنا وكانت أمنـــــا	
فيها مقامتنا وفيها تولـــــد	
وبها تلاميذ على قذفاتهـــــا	
حبسوا قياما فالفرائص ترعـــد	١٣٦
تنقى الشعر بمدريـــــــة	١٣٦
كالحماليج فى أيدى التـــلام	١٣٧
وسربال مضاعفـــــة دلاص	
قد أحرز شكلها صنع التـــلام	١٣٧

شواهد كتاب سيبويـــه

قالت فطيمة جل شعرك مدحـــه	
أفبعد كندة تمدحن قبيـــلا	١٥٩
هل تعرف الدار عن تبراكـــا	
دار لسعدى إذ هى من هواكـــا	١٥٩
(فقد دجا الليل فهيا هيـا)	١٥٩
يمرن بالدهناء خفاف عيابهـــم	
ويخرجن من دارين بجر الحقائب	١٥٩
أكل عام نعم تحوونـــه	
يلقحه قوم وتنتجونـــه	١٥٩

الشاهد	رقم الصفحة
وذكرت تقتد برد مائها	
وعتك البول على أنسائها	١٥٩
انس بحبلك واصل حبلى	
وبريش نبلك رائش نبلى	١٥٩
هل أتت باعث دينار لحاجتنا	
أو عبد رب أخا عون بن مخراق	١٥٩
وما لكم والفرط لا تقربونه	
وقد خلته أدنى مرد العاقل	١٥٩
معاوى اننا بشرقا سجح	
فلسنا بالجبال ولا الحديدا	١٦٠
لبيك يزيد ضارع فى خصومه	
ومختبط مما تطيح الطوائح	١٦١
كروا الى حريتكم تعمرونها	
كما تكسر الى أوطانها البقر	١٦١
حذار أمورا لا تضيرو آمن	
ماليس منجيه من الأقدار	١٦١
هم الفاعلون الخير والآمرونه	
اذا ما خشوا يوما من الامر معظما	١٦٢
ولم يرتفق والناس محتضرونه	
جميعا وأيدى المعتقين رواهقه	١٦٢
اذا ما الخبز تأومه بلحم	
فذاك أمانة الله الثريد	١٦٢

فهرس الآيات القرآنية

مرتبة بحسب ترتيب السور فى المصحف الشريف

الآيـــــة	رقمهـــا	الســـورة	رقم الصفحـــة
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت	٦٥	البقـــرة	١٦٦
... تولّه ما تولى ونُصْلِه جهـــنم	١٥	النســـاء	١٦٧
وكلا وعد الله الحســـنى	٩٥	„	١٨٥
لا خير فى كثير من نجواهم الا مـــن أمر بصدقـــه	١١٤	„	١٩٩
والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ...	٣٨	المائـــدة	١٦٦
... وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهـــم	٦٠	الانفـــال	١٦٦
... والله يريد الآخـــرة	٦٧	„	١٨٦
ومن خِزْى يومئـــذ ...	٦٦	هـــود	٩٣
وإن يصبكم مثل ما أصـــاب ...	٨٦	„	١٨٦
وإن كلًّا لما ليوفينهم ربك أعمالهم	١١١	„	٢٢٩
.. ونحن عصبـــة ...	١٤٢٨	يوســـف	٢١١
ما أنتم بمصرخـــى ..	٢٢	ابراهيـــم	١٦٧
وان ربك ليحكم بينهم .	١٢٤	النحـــل	١٦٥
واذ هم نجـــوى ..	٤٧	الاســـراء	٢٠٠
.. هى عصاى أتوكأ عليها ..	١٨	طـــه	٢٣١
سورة أنزلناها وفرضناها .	١	النـــور	١٦٦
الزانية والزانى فاجلدوا كل واحـــد منهما مائة جلـــدة .	٢	„	١٦٦

الآيـــــــة	رقمهـا	الســـورة	رقم الصفحـة
أهذا الذي بعث الله رسولا	٤١	الفرقـــان	٤١
قال لمن حوله ألا تستمعون	٢٥	الشـــعراء	٢٣٠
... وما تنزلت به الشياطين	٢١٠	"	٢٣٠
وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكـــم	١٢	العنكبوت	١٦٧
.. ولات حين مناص .	٣	ص	١٨٨
مثل الجنة التي وعد المتقون	١٥	محمـــد	١٦٦
.. لا يلتكم من أعمالكم شيئا .	١٤	الحجـرات	١٠٤
وإنه لحق مثل ما تنطقـون	٢٣	الذاريـات	١٨٦
أ أنتم أنزلتموه من المزن ..	٦٩	الواقعـــة	١٩٧
ما يكون من نجوى ثلاثـة ...	٧	المجادلـة	٢٠٠
يوم لا تملـــك ...	١٩	الانفطـــار	٩٢

فهرس الاحاديث النبويـــة
مرتبة بحسب ترتيب ورودها فى صفحات البحث

الحديـــــث	رقم الصفحـــة
الثيب يعرب عنها لسانها ...	١٤٤
إنما الاعمال بالنيات ، وإنما الولاء للمعتق .	١٤٤
لا صلاة لجار المسجد فى غير المسجد .	١٤٤
ثلاث كذابات فى ذات الله ...	١٦٨
إنما الجفاء والقسوة فى الفدادين .	١٦٨
خير المال سكة مأبورة وفرس مأمورة .	١٤٤
ان الله نهاكم عن قيل وقال ...	١٤٤
انكن صواحبات يوسف .	١٤٤
إنا معشر الانبياء فينا بك .	١٤٤
انطلق النبى صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ " ابن عباس "	٢٣٣
ليث النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم فى الموسم بمجنة وعكاظ يبلغ رسالات ربه . " جابر " ...	٢٣٣
من حديث على بن أبى طالب كرم الله وجهه	
بينا هو يستقبلها فى حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته .	١٤٣
... وأنتم والساعة فى قرن واحد .	١٤٥
... فهم والجنة كمن رآها .	١٤٥
نحمده على عظيم إحسانه ، ونير برهانه ، ونوامى فضله وامتنانه ، حمدا يكون لحقه أداء .	١٤٥
... فأعطاه النظرة استحقاقا للسخطة ، واستتماما للبلية ، والمستحق للسخطة أبليس ، والمعطى النظرة هو الله تعالى .	١٤٥ ، ١٦٩

فهـــــرس الأعـــلام

مرتبة ترتيبا أبجديا بحسب الشهرة والكنية ما أمكن

(أ)

الآمدى (سيف الدين) : ٩١

ابراهيم كتخدا : ٢٣ ، ٤١

الأبشيهى : ١٧

الأحمر (على بن المبارك) : ١٤١ .

الأخطل : ٣٠ ، ٦١

الأخفش (سعيد بن مسعدة) : ١٠٥ ، ١٢١ ، ١٥٥ ، ١٦٣

الاسفراييني : ٣٥

ابن الأسلت (قيس) : ٩٤ ، ٩٥ .

الأصفهانى (أبوالفرج) : ٤٧

الأصمعى : ١٢٨

الاعرابى (أبو محمد) : ٢٧

الأعشى : ٩٧ ، ١٤٠ ، ١٤٦ .

الاعلم الشنتمرى : ١١٠ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .

امرؤ القيس : ٩٢ ، ٩٧ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥٨ .

أمية بن أبى الصلت : ١٣٦

ابن الانبارى (كمال الدين) : ١٦٠

الأنصارى (زكريا) : ٣٥

الأنطاكى (داود) : ٣٥

ابن إياس الحنفى : ٧ ، ٨ ، ١١

(ب)

بروكلمان (كارل) : ٦٥ ، ١٣٦ .

بشار بن برد : ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٦٣ .

أبو بكر الصديق : ١١٨ .
البوصيرى : ١٧ .
البيضاوى : ٣١ .

(ت)

أبو تمام : ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٧٠ .
تيمور (أحمد باشا) : ٤٣ ، ٤٤ ، ٦٥ ، ٨٠ ، ١٢٤ ، ١٣٥ .
تيمور لنك : ١٧ .

(ث)

الثورى (سفيان) : ١٤١ .

(ج)

الجاربردى : ٥٧ ، ١٠٧ .
الجامى : ١٧ ، ٣٨ .
الجبرتى : ١٠ ، ١٥ ، ٤٨ .
الجرمى : ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٣ .
جريـــر : ٣٠ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .
الجزائرى (عبد القادر) : ٢١

(ح)

ابن الحاجب : ١٦ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٦٨ ، ٨٥ ، ١٦٤ .
ابن حجـــر : ٥٥ .
الحريرى : ٢٤ .
حسان بن ثابت : ٤٩ ، ٥٠ ، ١٤٦ .
الحسينى (محمد بن كمال الدين) : ٢١ ، ٣٢ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٢٦ .
الحمصى (يس) : ٢٢ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٨ .
أبو حيان : ١٤١ .

(خ)

ابن خروف : ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٦٧

الخزرجى (ابن غانم) : ٣٥ .

الخطيب (محب الدين) : ٢٧ ، ٤٤ ، ٨٠ .

الخفاجى (شهاب الدين) : ١٥ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٢ .

الخليل بن أحمد الفراهيدى : ١٤١ ، ١٥٥ .

(د)

الدورى (سرى الدين) : ٢٢ ، ٣٩ .

ابن دريد : ٦٤ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ .

الدقيقى : ١٣١ .

الدماميني (البدر) : ١٤٢ .

الدينورى : ١٣٦ .

(ذ)

ذو الرمة : ٦٧ ، ١٤٧ .

(س)

السجستانى (أبو حاتم) : ٢٧ .

السخاوى (علم الدين) : ١٠٩ .

سليم الأول : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٩ .

سيبويه : ٢٩ ، ٥٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١١٠ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٤١ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٠ .

السيرافى : ٩٥ .

ابن السيد : ١٢٨ .

ابن سيده : ١٢٥ .
السيوطى (جلال الدين) : ٣٠ ، ٥١ ، ٥٩ ، ٨٦ ، ١٤٣ .

(ش)

الشاطبى : ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١٤٣ .
الشاهدى (ابراهيم دده) : ٦٠ ، ٦١ .
الشبراملسى (نور الدين) : ٢٢ ، ٣٨ .
ابن شبرمه (عبد الله) : ١٤٧ .
الشبلى : ٢٥ ، ٣٩ .
الشنقيطى : ٢٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٦٤ .
الشنوانى (أبو بكر) : ٣٥ ، ٣٨ .

(ر)

الرافعى (عبد الرحمن) : ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٤٨ .
ابن رشيق : ١٤٦ ، ١٤٧ .
الرضى الاسترابادى : ١٦ ، ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٩ .
الرملى (شمس الدين) : ٣٥ ، ٣٨ .
ابن الرمجاج : ٣٠ ، ١٤٤ .
الريس (محمد ضياء الدين) : ١٣ ، ١٤ ، ١٦ .

(ز)
الزبيدى : ١٥ ، ٤٠ ، ٤٨ .
الزبير بن بكار : ٥٤ ، ٩٥ .
الزمخشرى : ٩٢ ، ١٤٨ ، ١٦٤ ، ١٦٩ .
زهير بن أبى سلمى : ٩٠ ، ١١١ .
ابن زيدون : ٤٩ ، ٦٥ ، ١٣٨ .
(ص)
الصاغانى : ١٣٥ .
الصبـــان : ١٥ ، ٤٨ .
الصفدى (صلاح الدين) : ٦٥ ، ١٣٨ .
الصفوى (اسماعيل) : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٢٠ .
(ض)
ابن الضائع : ١٤١ ، ١٤٢ .
(ط)
ابن الطثرية : ٩٧ .
الطرماح : ١٣٧ .
طومانباى : ٦ .
(ظ)
الظاهر بيبرس : ٦
(ع)
ابن عباس (عبد الله) : ٥٥
عبد بنى الحسحاس : ١٢٩ .
عبد الحميد (محمد محيى الدين) : ٤٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٨٢ .
عبد الله بن أبى اسحق : ١٤٧ .

ابن عبدوس : ٦٥ ، ١٣٨ .
العسكرى : ٢٦٠
على بن أبى طالب : ٣٢ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٦٩ .
على مبارك : ١٨ .
العلقمى : ٣٥ .
عمر بن الخطاب : ١٠٧ .
أبو عبيد الهراء : ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٥٥ .
عمرو بن [illegible] : ٩٥ .
عمرو بن محمد بكرنى ! ٣٥ ،
عيسى بن عمر : ١٥٥ ؛
العينى : ٣٠ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١٤٤ .

(غ)

الغورى (قنصوه) : ٥ ، ٦ .

(ف)

الفاكهى : ٥٤ .
الفراء : ٢٩ ، ١٤١ .
الفردوس : ٦٣ ، ١٣٠ ، ١٣١ .
الفرزدق : ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .
الفرضى (محمد بن يحيى) : ٢١ ، ٣٣ .
الفيروزابادى (مجد الدين) : ١٣٥ .

(ق)

القانونى (سليمان) : ٥
ابن قتيبة : ١٤٦ ، ١٦٠ .
القلقشندى : ١٧ .

(ك)

كحالة (عمر) : ٦٥ ، ١٣٨ .
الكسائي : ١٤١ ، ١٥٤ .
كعب بن زهير بن أبي سلمى : ٦١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،
ابن الكلبي (هشام) : ٩٥ .
الكميت : ١٤٧ .
كوبريللي (أحمد بن محمد) : ١٤ ، ٢٣ ، ٤١ ، ٦١ ،
كوبريللي (محمد بن ابرهيم) : ١٤ ، ٦١ .
كوجاك (احمد ظافر) : ٥٩ ،

(ل)

لبيد بن ربيعة : ١٩٠ ، ١٤٦ .

(م)

المازني : ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٦٥ .
ابن مالك : ٥٠ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٦٧ .
المبرد : ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .
المتنبي : ١٤٩ .
المحبي : ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ،
٧٢ ، ٧٧ ، ١١٣ .
محمد بن ابرهيم خان : ٢٣ ، ٤١ ، ٥٦ ، ٦٨ .
مرجليوث : ٢٨ .
ابن المستوفي : ٥١ .
المسعودي : ١٣١ .
المقري (أبو العباس) : ٣٢ .
ابن مكرم : ١٣٥ .
ابن منظور : ١٧ .

الميداني (الشمس) : ٢٧ ، ٣٢ .
ميرزا (حسين) : ١٧ .
ابن ميكال (اسماعيل) : ٦٤ .
الميمني (عبد العزيز) : ٢٧ ، ٨٠ .
الميموني (برهان الدين) : ٢٣ ، ٣٨ .

(ن)

ابن نباته المصري : ١٧ .
النمر بن تولب : ١٢١ .
أبو نواس : ١٤٥ ، ١٤٦ .

(هـ)

عبد السلام هارون : ٣٩ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١٢٣ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٥٢ .
ابن هشام الانصاري : ٢٣ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٥١ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٤ ، ١٤٣ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٦٤ .
هشام الضرير : ١٤١ .
ابن هشام اللخمي : ٦٤ ، ١٣٣ .
ابن هرمة (ابرهيم) : ١٢٨ .

(و)

ابن الوردي : ٥٩ ، ١١٧ .
ولادة بنت المستكفي بالله : ٦٥ ، ١٣٨ .

(ي)

ياقوت الحموي : ٢٧ ، ٢٨ .
يونس : ١٥٥ .

فهرس البلدان
مرتب ترتيبا أبجديا بحسب أوائل الأسماء

(أ)

الآستانه : ٦ ، ١٠ ، ٢٦ .

آسيا الصغرى : ٣ ، ٤ .

أدرنة : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٦٣ ، ١٣٠ .

الاسكندرية : ٥٠ .

إسنا : ٥٠ .

ألبانيا : ١٤ .

الأناضول : ٤ ، ٥ .

الأندلس : ١٤١ ، ١٥٥ .

(ب)

باز : ٦٣ .

البصرة : ٦٤ .

بطرسبرج : ٦٣ ، ٦٥ ، ١٣٥ .

(ج)

حجر : ٥٥

حضرموت : ٥٥ .

حمص : ٣٧ .

(خ)

خراسان : ١٧ .

خيبر : ٥٥ .

(د)

دمشق : ٢١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٦١ ، ٦٢ .

دياربكر : ٤ .

(ذ)

ذو القدرية : ٥ •

(ر)

الريدانيـــة : ٦ •

(س)

سوريـــا : ١٧ •

(ش)

الشـــام : ٥ ، ٦ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٣ •

الشحر : ٥٥

شيراطس : ٣٧ •

(ص)

الصعيـد : ٦ •

صَمـــار : ٥٥

صنعـــاء : ٥٥ •

(ط)

طبران : ٦٣ •

طـــوس : ٦٣

(ع)

العراق : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ •

(ف)

فارس : ١٧ •

(ق)

القاهرة : ١٠ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٠ ،
٤٣ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ١٣٩ •

قرطبـــه : ١٥ .
القسطنطينية : ٢٢ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٥٩ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٦ ،
١٣٩ .
قونيـــة : ٦٠ .

(ل)

ليـــدن : ٢٧

(م)

مجلة : ٥٤ ، ٥٥ .
المدينة المنورة : ١٦ ، ٢٦ ، ٧٦ .
من دايق : ٥ .
مُغْلَـــة : ٦٠ .
مصر : ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٦١ .
مكـــة : ١٩ .
مِـــنَى : ٥٥ .

(هـ)

هـــراه : ١٧ .
الهنـــد : ٧ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ١٢٦ .

مصادر البحث ومراجعه
مرتبة ترتيبا أبجديا

القرآن الكريم : كتاب العربية الأول

(أ)

ابن رشيق : عبد الرءوف مخلوف سلسلة أعلام العرب

ابن قتيبة : د . عبد الحميد سند الجندى سلسلة أعلام العرب

إحياء النحو : د . ابراهيم مصطفى لجنة التأليف بالقاهرة

أخبار النحويين البصريين : أبو سعيد السيرافى مطبعة السعادة بالقاهرة

الأشباه والنظائر : جلال الدين السيوطى (ط ٢)

دار المعارف النظامية — حيدر آباد — الهند

الأشرف قنصوة الغورى : د . محمد رزق سليم سلسلة أعلام العرب

الأعلام : خير الدين الزركلى (ط ٣)

مطبعة كوستاتسوماس وشركاه بالقاهرة

الأغانى : أبو الفرج الأصفهانى دار التحرير للطبع والنشر بالقاهرة

الأغانى : أبو الفرج الأصبهانى دار الشعب للطبع والنشر بالقاهرة

الاقتراح : جلال الدين السيوطى مطبعة السعادة بالقاهرة

الألفية : ابن مالك مكتبة ومطبعة صبيح بالقاهرة

ألفية ابن مالك : لابن مالك مكتبة ومطبعة صبيح بالقاهرة

الأمالى : أحمد بن يحيى ثعلب

الأمالى : عبد الرحمن بن إسحق الزّجّاجى مطبعة السعادة بالقاهرة

إنباه الرواة على أنباه النحاة : القِفْطى مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين :

جلال الدين بن الانبارى (ط ١) مطبعة الآستانة بالقاهرة

الإيضاح الشعرى : أبو على القالى مطبعة السعادة بالقاهرة

(ب)

بدائع الزهور فى وقائع الدهور : ابن إياس الحنفـــى
دار الشعب للطبع والنشر بالقاهرة

بغداد مدينة الســلام : طـــه الراوى
مكتبة ومطبعة المعارف ببغداد

بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطى
مطبعة السعادة بالقاهرة

(ت)

تاريخ آداب اللغة العربية : جورجى زيـــدان
مطبعة الهلال بالفجالة بالقاهرة

تاريخ الأدب العربى : كارل بروكلمان ــ ترجمة د • عبد الحليم النجار
دار المعارف بالقاهرة

تاريخ الأدب الفارسى : د • رضا زادة ــ ترجمة د • هنداوى
مطبعة السعادة بالقاهرة

تاريخ آل عثمـــان : يوسف أصـــاف
مكتبة ومطبعة المعاهد بمصر

تاريخ بغداد : الخطيب البغدادى مطبعة السعادة بالقاهرة

تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر : عبد الرحمن الرافعى
لجنة البيان العربى بالقاهرة

تاريخ الشرق العربى والخلافة العثمانية : د • محمد ضياء الدين الريس
مطبعة السعادة بالقاهـــرة

التبيين فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين : أبو البقاء العكبرى
مطبعة السعادة بالقاهرة

تحفة الناظرين : الشيخ الشرقاوى مطبعة الأزهر بالقاهرة

تطور الأدب الحديث فى مصر : د • أحمد هيكل
دار المعارف بالقاهرة

تمام المتون الى شرح رسالة ابن زيدون : صلاح الدين الصَفَدى
(مخطوط) مكتبة الأزهر

تمريب تحفة الشاهدى : عبد القادر البغـــدادى
(مخطوط) دار الكتب المصرية بالقاهرة

(ح)

حاشية على شرح قصيدة " بانت سعاد " : عبد القادر البغدادى
(مخطوط) دار الكتب المصرية بالقاهرة

(خ)

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر البغدادى
المطبعة الأميرية ببولاق — مصر

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر البغدادى
(تحقيق عبد السلام هارون) المطبعة السلفية بالقاهرة

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر البغدادى
(تحقيق عبد السلام هارون) دار الكاتب العربى بالقاهرة

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر البغدادى
(تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد) مطبعة دار المصورىالقاهرة

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر البغدادى
(مخطوط) دار الكتب المصرية بالقاهرة

الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جنى (تحقيق د • محمد على النجار)
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

الخطط التوفيقية : على مبارك : المطبعة الأميرية ببولاق — مصر

خطط المقريـــزى : المقريزى : دار التحرير للطبع والنشر بالقاهرة

خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر : المحبى
المطبعة الوهبية بالقاهرة

(د)

الدولة العثمانية والشرق العربى : د . محمد أنيس : الانجلو المصرية

(ر)

ريحانة الألباء وزهرة الحياة الدنيا : شهاب الدين الخفاجى
مطبعة على جودت — تركيا

رسالة فى معنى التلميذ : عبد القادر البغدادى
(مخطوط) دار الكتب المصرية بالقاهرة

(س)

سيبويه أمام النحاة : د . على النجدى
مطبعة السعادة بالقاهرة

سيبويه (حياته وكتابه) : د . أحمد أحمد بدوى (ط ٢)
مكتبة نهضة مصر بالقاهرة

السيد عمر مكرم : محمد فريد أبو حديد
دار الهلال بالقاهرة

(ش)

شرح البخارى : ابن حجر

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ط ١٠)
مطبعة السعادة بالقاهرة

شرح أبيات مغنى اللبيب : عبد القادر البغدادى
(مخطوط) دار الكتب المصرية بالقاهرة

شرح التحفة الوردية : عبد القادر البغدادى
(مخطوط) دار الكتب المصرية بالقاهرة

شرح الشافيـــة : الرضى الاستراباذى المطبعة الأميرية ببولاق ـ مصر
شرح شافية ابن الحاجب : الرضى الاستراباذى
(تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد وآخرين)
مطبعة حجازى بالقاهـــــرة
شرح شواهد التحفة الوردية : عبد القادر البغدادى
(مخطوط) مسودة بدار الكتب المصرية بالقاهرة
شرح شواهد الشافيـــة : عبد القادر البغدادى
(مخطوط) دار الكتب المصرية بالقاهرة
شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام : ابن هشام الأنصـارى
المطبعة الميمنية بالقاهرة
شرح الكافيـــة : الرضى الاستراباذى مطبعة الآستانة بالقاهرة
شرح أبيات سيبويه : الأعلم الشنتمرى مطبعة السعادة بالقاهرة
شرح المفصـــل : ابن يعيش مطبعة محمد منير بالقاهرة
شرح مغنى اللبيـــب : محمد محى الدين عبد الحميـــد
مطبعة الترقى بالقاهرة
شرح نهج البلاغة : ابن أبى الحديـــــد
مطبعة مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة
الشعر والشعراء : ابن قتيبه • تحقيق احمد شاكر
مطبعة مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة

(ص)

صحيح البخارى : محمد بن اسماعيل البخارى
المطبعة الأميرية ببولاق مصـــر
صحيح مسلـــم : مسلم بن الحجاج القشيرى
المطبعة الأميرية ببولاق مصـــر

صحيح مسلم بشرح النـــووى : الامام النـــووى
مطبعة دار الشعب بالقاهـــرة

(ض)

الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر : للألوسى — شرح محمد بهجة الأثرى
المطبعة العربية ببغداد

(ط)

طبقات النحاة : ابن قاضى شهبـــة (مخطوط) دار الكتب المصرية بالقاهرة
طبقات النحويين واللغويين : للزبيدى — تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
دار المعارف بالقاهرة
طبقات الشعراء : محمد بن سلام الجمحى — تحقيق احمد شاكر
دار المعارف بالقاهرة

(ع)

عجائب الآثار فى التراجم والأخبار : الجبرتـــى
لجنة البيان العربى — القاهـــرة
العُمْدة فى صناعة الشعر ونقده : ابن رشيق القيروانى
مطبعة هندية بالقاهرة
عيون الأخبار : ابن قتيبة مطبعة دار الكتب المصرية — بالقاهرة

(ف)

الفتوحات العثمانية للديار المصرية : الصديقى مطبعة السعادة بالقاهرة
فحولة الشعـــراء : الأصمعى المطبعة المنيرية بالقاهرة
فرحة الأديب : أبو محمد الأعرابى مطبعة السعادة بالقاهرة
فرحة الأديب : أبو محمد الأعرابى (مخطوط) دار الكتب المصرية بالقاهرة
الفهرست : ابن النديـــم المطبعة الرحمانية بالقاهرة

(ق)

قبايل العـــرب : للفاكهى مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

(ك)

الكامـــل : محمد بن يزيد المبرد
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، السيد شحاته
مطبعة نهضة مصـــر

الكتاب : (ط ١) أبو بشر عثمان بن قنبر (سيبويه)
المطبعة الأميرية ببولاق مصر .

الكتـــاب : أبو بشر عثمان بن قنبر (سيبويه)
تحقيق عبد السلام هارون دار الكاتب العربى بالقاهرة

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل : محمود بن عمر الزمخشرى
فى وجوه التأويل (ط ١) مطبعة مصطفى محمد بمصر

كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون (ط ١) : ملا كاتب شلبى
در سعادت

(ل)

اللغة والنحويين القديم والحديث : عباس حسن دار المعارف بمصر

لهجـــات العرب : أحمد تيمور دار القلم بالقاهرة

المبرد (أديب النحاة) : أحمد حسين القرنى وآخر
سلسلة أعلام العرب

مجالس العلماء : عبد الرحمن بن إسحاق الزّجّاجى ـــ
تحقيق عبد السلام هارون طبعة الكويت

مراتب النحويين : عبد الواحد اللغوى ـــ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
مطبعة السعادة بالقاهـــرة

المُرصّع : ابن الأثيـــر : مطبعة السعادة بالقاهرة
مروج الذهب : المسعودى دار التحرير للطبع والنشر
المزهر فى علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطى
مطبعة البابى الحلبى بالقاهرة
معجم الأدباء : ياقوت الحموى دار المأمون للطبع والنشر
معجم البلدان : ياقوت الحموى دار المأمون للطبع والنشر
معجم شواهد العربية : عبد السلام هـارون مطابع الدجوى بالقاهرة
معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة مطبعة الترقى بدمشق
مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصارى
مطبعة الترقى بالقاهرة
المفصل فى علم العربية (ط ١) : محمود بن عمر الزمخشرى
مطبعة التقدم بالقاهرة
مقدمة ابن خلـدون : ابن خلدون ـ شرح وتعليق د . على عبد الواحد وافى
لجنة البيان العربى بالقاهرة

(ن)

النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة : ابن تغرى بردى
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
نزهة الألباء فى طبقات الأدباء : كمال الدين ابن الانبارى
مطبعة مصـر
النسـب : للزبير بن بكار مطبعة السعادة بالقاهرة
نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة (ط ٥) : الشيخ محمد الطنطاوى
دار المعارف بالقاهرة
نهج البلاغة : على بن أبى طالب دار الشعب بالقاهرة
نوادر المخطوطات : لجنة حفظ التراث دار الكتب المصرية بالقاهرة

(و)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ابن خلكان ـ تحقيق إحسان عباس
دار الثقافة ـ بيروت

موجـــز البحـــث

لما كنت بصدد التقدم إلى كلية دار العلوم العامرة بمشروع رسالـة لنيل درجة الماجستير فى النحو العربى ، أخذت فى التنقيب والبحـــث المستمرين بين أسفار العربية وصنفاتها ، وأمعنت النظر فى مكنوناتهـــا ومخبآتها لعلى أجد فى أحدها موضوعا جديدا كل الجدة ، ولم أُسْبَـــق إليه من حيث بحثه أو دوسه ، وفى ثنايا رحلتى هذه بين أمهات الكتب ، اعترض طريقى اسم العالم المحقق والعلامة المدقق عبد القادر البغـــدادى صاحب خزانة الأدب ورأيته يلح علىّ الحاحًا لكى أجعله موضوعا لبحثى وأتخذه محورا تدور حوله دراستى لِمَا اكتنفه غموض كاد معه يُنْسَى وما أصابه مـــن عزوف الباحثين والدارسين عن تناوله فى أبحاثهم ورسائلهم حتى كـــاد يصبح بالنسبة لهم نسيا منسيا ، كل ذلك برغم اتخاذهم مؤلفاته ومصنفاتـه موائد يتناولون منها أشهى وجبات العربية سائغة ميسورة ، ومطابع ينهلون منها أعذب جرعات اللغة لذيذة مستساغة .

إزاء ذلك وجدت لزاما على أن أقف من ذلك العالم المَنّـــانّ والعلامة الذى غُمِط حقه فى وقت ارتفع فيه مَنْ كانت تقطع أعناقهم دون اللحاق به أو بلوغ شأوه ، فشحذت الهمة وعقدت العزم وتقدمت للكلية برسالة لنيل درجة الماجستير فى النحو العربى وسمتها باسم " عبد القادر البغـــدادى وجهوده فى دراسة النحو واللغة " وعَهِدت بها إلى من ارتضيت دينـــه وعلمه من بين أساتذة النحو وهو الأستاذ الدكتور عبد الحميد السيد طلـب أستاذ ورئيس قسم الدراسات النحوية بالكلية سابقا . وقد كان لى شرف قبول سيادته الإشراف عليها ، حيث لَقِيتُ مِن علمه وحِلمه الشىء الكثير ، واستفدت من ارشاداته وتوجيهاته أيّما إفادة مما جعلنى أَدِين لسيادته بما له لـــدى من أيادٍ بيضاء لا تُجَدّ ، ومن معروف وحسن صنيع لا يُجحَد .

وقد سرت فى هذه الرسالة على توفيقٍ من الله وهَدْيٍ من توجيه الأستاذ المشرف ، فجعلتها فى أبواب ثلاثة ، ويقع كل باب فى فصلين ، تناولت فى الفصل الأول من الباب الأول تعريف ببيئة البغدادى الاجتماعية والأدبية (عصره) وكيف كانت الأمور تسير فى أقطار الوطن العربى التى ولد البغدادى ونشأ فى أحدها وهو العراق على غير ما يتمنى أهالى البلاد الأصليين ، نظرًا للصراع الذى احتدم بين الصفويين والأتراك فى العراق من جهة ، وبين الأتراك والمماليك فى مصر والشام من جهة أخرى ، مما أصبحت معه البلاد تعيش فى فوضى شاملة وتدهورت تبعا لذلك الحياة الاجتماعية وتبعتها العلمية والأدبية حتى أصبحت البلاد خُلوا من كل معهد للعلم والمعرفة سوى بعض الكتاتيب التى كانت تلحق بالمساجد وحتى هذه الأخيرة لم يدم العهد بها طويلا حيث انْتُهِبَت وأُكِلَت الأموال التى كانت تُوقف للصرف عليها حتى أصبح التعليم فى بلاد الشرق العربى فى الدَّرْك الأسفل من التدهور والضياع وضُرِب سياج منيع حول الوطن العربى حجب عنه ضوء المعرفة وحرمه نور اليقين .

ثم تناولتُ فى هذا الفصل نشأةَ البغدادى وحياتَه فى غَمْرةِ الصراع المحتدم بين الدولتين الصفوية والتركية فى العراق وكيف استطاع أن يُحول ذلك الصراع إلى فرصة سانحةٍ أفاد منها فى تَعَلُّمِ اللغتين التركية والفارسية مما أعانه على الاطلاع على آدابها واتقان علومها ، ثم ثنيت بشبت وافٍ لشيوخ البغدادى وتلاميذه فى القاهرة ودمشق حيث صحبته فى حلّه وترحاله بين مصر وبلاد الروم .

ثم خصّصْتُ الفصل الثانى لذكر مؤلفات البغدادى الإحدى عشرة وأردفتها بتعريف مناسب لكل منها بحيث أصبح وافيا بالغرض لمن أراد أن يلم بما ألفه وصنفه فى علوم العربية على شىء من الإيجاز لو كان فى عَجَلَةٍ من أمره .

وبعد ذلك دلفتُ الى الباب الثانى فقصّرتُ الفصل الأول منه على دراسة مؤلفه الذى خلّد اسمه وحمله على جناح الشهرة وهو خزانة الأدب فدارسته إياه وذاكرا مخطوطاته ونسخه وتحقيقاتها على جانب من الإيضاح والبسط حتى يجد فيه الباحث والدارس بغيته دون تعب أو نصب •

ثم قدّمتُ فى الفصل الثانى دراسةً مستفيضةً لكل مؤلف من مؤلفات البغدادى مُبيِّنا ما يمتاز به كل منها عن سواه ، وموضّحا طريقة تأليفه لكل منها وأعقبت كل دراسة بمثال تطبيقى لما انتهجه فى تأليفه من خطوات تسلفت حتى أخرجته مرجعا شاملا للفن الذى أودعه إياه •

ثم أتيت إلى الباب الخاتم ، فتحدثت فى الفصل الأول منه عن مذهب البغدادى النحوى وموقفه من مدرستى البصرة والكوفة النحويين ، وأثبت للمرة الأولى بما لم أُسْبَق إليه أنه كان بصرى النزعة على الرغم من أنه كان دائما يعرض آراء كلا الفريقين (البصرى والكوفى) بأمانة عالية وحيدة متناهية ، كما أبرزت منهجه فى معالجة القواعد النحوية فى مؤلفاته ولا سيما الخزانة وكذا منهجه فى أخذ وقبول المسائل اللغوية بشىء من اليسر والإيضاح والإبانة مما يجعل أمر الإفادة منها سهل المأخذ طيّع المنال •

ثم ختمت رسالتى هذه بالفصل الثانى الذى قصرته على اثبات ما قدمه البغدادى لدراسة النحو من جهود صادقه وما أسداه لدراسة اللغة من أيادٍ بيضاء مشكورة مما يجعله جديرا بأن يحتل مكان الصدارة بين العلماء العاملين المبرّزين فى مجال اللغة العربية وعلومها •

وفى ختام هذه البحث بخاتمة أوضحت فيها ما انتهجته فى اعداده من سبيل قد بذلت فيه جهدا مخلصا لوجه الله تعالى ووجه العلم •

كما سقت ثبتا مفصلا لفهارس الموضوعات والأعلام والشواهد والآيـــــات القرآنية والأحاديث النبوية ثم البلدان ٠

ثم إنى بعد ذلك أضع رسالتى هذه بين يدى أعضاء لجنـــــة المناقشة [illegible] ٠ علّهم يهدونى إلى ما فرطت فى ثناياها وما فرّطت فيه فى حناياها لعلّى أتدارك ذلك مستقبلا إن شاء الله ٠

والله أسأل أن يوفقنا الى ما فيه خير العربية وسعادة القائميـــن عليها الزائد ـ ن عن حياضها انه سميع مجيب ٠

Summary of thesis

For the subbject of my thesis for M.A. degree of Arts in Arabic philology and grammer I focussed my attention of selecting a unique and antirely new topic that has never been teckled before.

My search for the subject came to a stop before the personalty of the famous Arab thinker "Abdul Kader El Baghdady" the author of the well knon book "Treasury of literature "Despite the various and enaive writings of this author in the field of the Arabic language, this thinker has not been selected as a subject of a research. This has ancouraged me to take him for a subject of my study. The title of my thesis is "Abdul kader El Baghdady and his efgorts in the study of the philolgy and grammer of the Arabic language.

The thesis falls in three chapters, each one is divided into two parts. Idealt in the first part of the first chapter with the age in which el baghdady lived, his breeding and life, his travels through egypt and many other countries, his tutors and students giving full information about each one then and what of he offered to the arabic fanguaze.

In the second part I mentioned the eleven books written by el baghdady followed by a complete famomoarization about each book.

The first part of the second chapter dealt with El baghdady's famous book. Treasury of literature" and what he offered to students in all branches of the arabic language.

The second part of this chapter is deveted to a full study to each book of El baghdady's writings showing his achievements and pointing the merits of each book over other books.

I also mentioned the date in which he started writing every book and date he finished it as a reference to all students interested in the writings of El Baghdady.

Then the third chapter follows. In the first part I dealt with El Baghdady's opinion in philolgy and that he was a follower of the opinion of El Basra scientests.

I spoke also about his way in studying the grammer and all other branches of the arabic lenguage.

The second part is comcerned with the offorts of our thinker in giving a push to study of grammer and all other Arabic sciences. These efforts enabled students who came afterwards to a better understanding and easy way of investigation.

This was fallowed by a complete epilogue about the way I have trodden for preparing this thesis and the cause for choosing El Baghdady as a subject to my research. The thesis comes to an end with an index to the subjects, poetry, quotations from the Holy Koran, prophet's sayings, personalities and at last the countries.

Iask God to give us help so that we may give all efferts to students and those who are engaged in researches to understand and benefit from the Arabic Language and all its Arts.

Salah Raway.